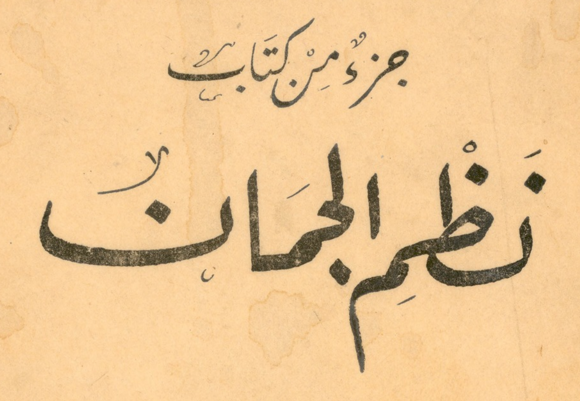
منشورات

كلية الآداب والعلوم الانسانية — جامعة محمد الخامس - الرباط



لابن القطان

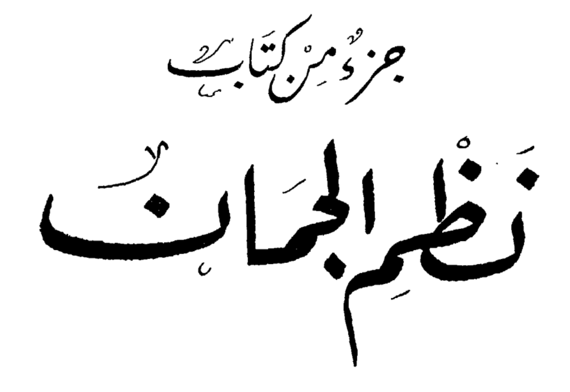
تحقيق : الدكتور محمود علي مكي

بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي

و تحت اشراف معهد مولاي الحسن للبحوث

منشـورات

كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعـة محمد الخامس - الربـاط



لابن القطان

تحقيق : الدكتور محمود علي مكي

بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي

و تحت اشراف معهد مولاي الحسن للبحوث

ابن القطان

كِتَابُ نَظْمِ الجُمَانِ

تقـــــــديم

تمهيد :

بقي تاريخ المغرب والاندلس في ظل دولتي المرابطين والموحدين يكتنفه الغموض والاضطراب حتى نهاية القرن الماضي، فقد كانت مراجعنا عنه لا تتعدى بضعة كتب لم تواله من العناية ما هو جدير به ، مثل كتاب « العبر » لابن خلدون و « الحلل الموشية » لمؤلف مجهول و « روض القرطاس » لابن أبي زرع و « المعجب » لعبد الواحد المراكشي و « تاريخ الدولتين » للزركشي و « الكامل » لابن الاثير، ولهذا فقد كانت كتابة تاريخ علمي دقيق لهاتين الدولتين أمراً عسيراً كل العسر ، لم يقدم عليه في القرن الماضي إلا المؤرخ الالماني جوزيف أشباخ في كتابه عن المرابطين والموحدين الذي قام بترجمته البحاثة المصري الاستاذ محمد عبد الله عنان، وهو محاولة طيبة إلا أنه لم يستطع - بحكم قلة المراجع المعروفة في أيام المؤلف - ان يسد الفراغ أو يفي بالغرض. ثم اضطلع المستشرق الهولندي العظيم رينهارت دوزي بكتابة « تاريخ المسلمين في الاندلس » فأنجز منه ثلاثة أجزاء وقف بها عند فتح المرابطين للاندلس ، وأعقبه الاستاذ ليفي بروفنسال، ولكنه لم يتعد بدوره نهاية الخلافة الاموية في الاندلس، وإن كان كتابه يدل على مدى التقدم الذي أحرزته الدراسات الاندلسية منذ أن وضع دوزي كتابه حتى العصر الحاضر.

على أن السنوات الاخيرة شهدت اهتماما متزايدا من جانب بعض الباحثين من عرب ومستشرقين بالدولتين المرابطية والموحدية اللتين اتحدت تحت رايتهما بلاد المغرب والاندلس في نظام سياسي واحد ، فقد نشر عدد كبير من النصوص المتعلقة بهما ، وتقدمت الابحاث الجزئية الخاصة بهما تقدما ملحوظا . وكان على رأس هذه النصوص الجديدة كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي الذي نشره لوشياني في الجزائر سنة 1903 مع تقديم عظيم القيمة للمستشرق جولدتسهير، ثم كتاب « أخبار المهدي بن تومرت » لابي بكر الصنهاجي الملقب بالبيذق مع مجموعة أخرى من

الرسائل الموحدية و « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » ، وقد نشر ليفى بروفنسال الكتابين في باريس سنة 1928 وفي الرباط سنة 1938 على الترتيب. كذلك قام الدكتور حسين مؤنس وكاتب هذه السطور بنشر عدة مجموعات من رسائل الدولة المرابطية ، هذا الى غير ذلك من نصوص ليست تاريخية بمعنى الكلمة وإن كان لها قيمة كبيرة في إجلاء الكثير من جوانب الحضارة المغربية والاندلسية في ظل هاتين الدولتين العظيمتين.

أما الابحاث الحديثة فقد نشر منها في السنوات العشر الاخيرة كتابان عن دولة المرابطين، أحدهما بالعربية للدكتور حسن أحمد محمود « قيام دولة المرابطين » (القاهرة سنة 1957) والآخر بالاسبانية للدكتور خاثينتو بوسك فيلا وعنوانه « المرابطون » (تطوان سنة 1956) ، وهما بحثان طيبان اجتهد مؤلفاهما ما وسعهما الاجتهاد، غير أن كتابة تاريخ شامل لدولة المرابطين ما زالت أمراً سابقا لاوانه، إذ ما زالت هناك نصوص مخطوطة لا غنى عنها لمؤرخ هذه الدولة ، وكثير منها لم يكن بعد متيسرا بين يدي هذين الباحثين.

وأما الدولة الموحدية فقد كانت أسعد حظا من تلك، إذ توفر عليها عالم إسباني يعتبر اليوم حجة في تاريخ المغرب والاندلس بين القرنين الخامس والسابع الهجريين، ونعني به الاستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا الذي ما زال منذ نحو نصف قرن عاكفا على العمل في هذا الميدان عملا متواصلا بين ترجمة وتاليف ونشر نصوص. وأعانه على ذلك سعة اطلاعه على المراجع الاسلامية والمسيحية على السواء، ثم إحاطته بجميع النصوص العربية التي تناولت دولتي المرابطين والموحدين ، إذ توفر لديه كل ما صدر عنهما من كتاب مطبوع وما احتفظت به خزائن الكتب من أصل مخطوط ، فقام أولا بترجمة نصوص « الحلل الموشية » و « المعجب » و « البيان المغرب » إلى الاسبانية، وتهيأت له في أثناء ذلك أصول فريدة من مخطوطات متصلة بهذا الموضوع ، منها القسم الثاني من كتاب «المن بالامامة» لابن صاحب الصلاة، والجزء الوحيد المعروف لنا من هذا التاريخ القيم لدولة الموحدين هو الذي يوجد الآن في مكتبة « البودليانا » في أوكسفورد (1) ثم عدة نسخ مخطوطة من كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى المراكشي، وهو يعتبر أوسع المصادر التاريخية حول عصر المرابطين والموحدين ، فتوفر على نشره ، وأخرج

---

(1) يقوم الآن على نشر هذا الكتاب الاستاذ عبد الهادي التازي.

منه طبعتين في تطوان في سنتي 1956 و 1961 (1) فضلا عن قطع أخرى عثر عليها بعد ذلك ، ومكنه هذا من إخراج كتابه القيم « التاريخ السياسي لدولة الموحدين » (تطوان 1956 ـ 1957) ، وهو خير ما صدر في هذا الميدان حتى اليوم.

وقد كان من بين المصادر التي رجع إليها أويثي جزء من كتاب « نظم الجمان » كان قد أعاره إياه المستشرق الفرنسي الاستاذ ليفي بروفنسال ، بعد ان نشر هذا منه قطعاً من قبل دون ان يعرف ان مؤلفه هو ابن القطان الكتامي على وجه التأكيد.

واتفق بعد موت الاستاذ ليفي بروفنسال سنة 1956 أن معهد الدراسات الاسلامية تمكن من شراء جزء من تركته من المخطوطات العربية ، وكان من بين هذه المخطوطات تلك القطعة الباقية من « نظم الجمان » ، فعكفت عليها واجتهدت في تحقيق النص وخدمته حسب هذه المخطوطة الوحيدة إذ أنني لا أعرف له نسخة أخرى في أي مكتبة من مكتبات العالم.

مؤلف الكتاب :

وقد كثر انتفاع الناس من كتاب « نظم الجمان » في القديم والحديث ، ولكن الغريب هو أن مؤلفه ربما كان أقل المؤرخين حظا من عناية متتبعي تراجم الرجال، إذ لا نجد أحداً اختصه بترجمة مفردة ولا عنى بالحديث عنه كما عنوا بمن هم أقل كثيراً من طبقته ، حتى اسمه وكنيته اختلف فيهما من أشاروا إليه إشارات عابرة كما سنرى.

وذلك أن معظم من نقلوا عن كتاب « نظم الجمان » مثل ابن عذارى المراكشي وصاحب « الحلل الموشية » وابن الخطيب الغرناطي يكتفون بان يذكروا الاسم الذي اشتهر به المؤلف أي « ابن القطان » دون ان يضيفوا الى ذلك علماً مميزاً ، وهذا هو ما أوقع الباحثين المحدثين في خطأ لم يكد يسلم منه أحدهم منذ أن جرهم إليه الاستاذ ليفي بروفينسال الذي كان أول من أشار الى قيمة الكتاب ونشر فصولا منه. ذلك ان الباحث الفرنسي تنبه الى شخصية عالم مشهور ترجم له بعض المؤرخين المغاربة والاندلسيين وكانت له صلة وثيقة بالموحدين هو « أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان » والمتوفى سنة 628 هـ. (1230م.)،

---

1) صدرت الطبعة الاولى بتحقيق الاستاذ أويثي وحده، وأما الثانية وهي أكمل وأحسن من سابقتها فقد ساهم فيها الاستاذان محمد بن تاويت ومحمد ابرهيم الكتاني.

فظن ان هذا هو صاحب « نظم الجمان » (1) ، وزاد من عقيدة ليفي بروفنسال فيما سبق اليه ظنه أنه رأى ابن القطان يذكر في معرض بعض الاحاديث النبوية في « النظم » أنه ألف كتاباً باسم « الاحكام » (2) ثم رأى في ترجمة علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان المذكور أن له كتابا في شرح « الاحكام » لعبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي (3) ، فأكد ذلك ظنه بأن ابن القطان هذا هو صاحب « النظم » ، وعلى ذلك تابعه بعض الباحثين اللاحقين مثل الاستاذ عبد السلام بن سودة (4) والدكتور احمد مختار العبادي (5) ، وهذ خطأ يتكشف لنا بالمقابلة التاريخية ، فابن القطان المذكور توفي سنة 628 هـ. كما أجمع على ذلك مترجموه، بينما نرى ان صاحب « نظم الجمان » قد أدرك خلافة المرتضي الموحدي أبى حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن (6) ، ونحن نعرف أن المرتضى ولى الخلافة بين سنتي 646 و 665 هـ. (1248 ـ 1266 م .) أي بعد وفاة ابن القطان المذكور بعشرين سنة على أقل تقدير. فالمؤلف إذن شخص آخر يحمل نفس اللقب والنسبة، ولا يتفق مثل ذلك إلا إذا كان بين الرجلين قرابة وثيقة ، ولا أظنني أبعد عن الصواب إذا قلت إن صاحب « نظم الجمان » لا بد ان يكون ابناً لذلك الفقيه المشهور الذي أولاه مؤرخو المغرب بعض عنايتهم كما سنبين في الصفحات التالية .

---

1) انظر ليفي بروفنسال : « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف لظهور الدولة الموحدية » ـ في مجموعة الدراسات المهداة إلى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه، ط. باريس 1925 ، المجلد الثاني ص 336 ـ 338.

2) انظر نص نظم الجمان ص 131 .

3) ولد سنة 510 هـ . وتوفى سنة 581 ، وهو صاحب كتاب « الاحكام » الذي وضع منه نسخاً : كبرى وصغرى ووسطى ، ومن هذا الكتاب مخطوطات كثيرة في مكتبات متعددة. انظر فى ترجمته : بغية الملتمس للضبى ، رقم 1104 ؛ والتكملة لابن الابار ، رقم 1805 ، وعنوان الدراية للغبريني ص 20 ـ 23 ؛ وبروكلمان : تاريخ الآداب العربية 1 / 458 والملحق 1 / 634.

4) في كتابه « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ـ تطوان 1950 ، ص 184.

5) فى مقاله «دراسة حول كتاب الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين» ـ مجلة تطوان ، العدد الخامس سنة 1960، ص 140.

6) انظر نص نظم الجمان ص 180 حيث ينص المؤلف على صلته بالخليفة المرتضى.

ابن القطان « الاب » :

ولهذا فلا بأس في أن نعرف شيئاً عن ابن القطان هذا الذي نزعم أنه أب مؤرخنا ، إذ أن ذلك سيلقي بعض الضوء الكاشف على حياة ابنه.

ولعل أوفى ترجمة له هي التي نجدها في كتاب « جذوة الاقتباس » لابن القاضي (1) ، ونحن ننقلها هنا بنصها:

« علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي ، من أهل مدينة فاس ، وأصله من قرطبة ، يعرف بابن القطان ويكنى أبا الحسن ، سمع أبا عبد الله بن الفخار وأبا الحسن بن النقرات وأبا عبد الله بن البقال وأبا العباس بن سلمة اللورقي وأبا جعفر ابن يحيى الخطيب وأبا ذر الخشني وأبا الوليد زكريا بن عمر القرطبي وأبا الحسن بن مؤمن وأبا عبد الله التجيبي وأبا البقاء يعيش بن القديم وغيرهم ، وممن كتب إليه ولقيه أبو جعفر بن مضاء وأبو محمد التادلي وأبو محمد بن الفرس ، وكتب إليه أبو عبد الله بن زرقون وأبو محمد بن عبيد الله وأبو خالد بن رفاعة وأبو الحسن بن كوثر وأبو عبد الله بن عروس وأبو محمد فليح وسواهم ، وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله واشدهم عناية بالرواية ، مع التفنن في المعرفة والدراية ، وجمع برنامجاً مفيداً في مشيخته ، ورأس طلبة بمراكش ، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة. له كتاب شرح الاحكام لعبد الحق ، ومقالة في الاوزان ، والنظر في احكام النظر ، وحدث وأخذ عنه ، وامتحن بالفتنة الحادثة بالمغرب أول سنة إحدى وعشرين وستمائة، فخرج من مراكش وعاد إليها واضطرب أمره إلى أن توفي بسجلماسة وهو متولي قضائها من علة البطن أول شهر ربيع الاول سنة 628 » .

وقد ترجم لابن القطان هذا مؤرخون آخرون (2) ، ونأخذ من هذه التراجم بعض

---

1) طبعة فاس الحجرية سنة 1309. ص 298 ـ 299 .

2) ابن الابار : التكملة ، رقم 1920 ؛ ابن الزبير : صلة الصلة ، نشر ليفي بروفنسال، طبعة الرباط سنة 1938، رقم 268 ص 131 ـ 132 ؛ أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (على هامش الديباج المذهب لابن فرحون) ، ط . القاهرة سنة 1351 هـ. ص 200 ـ 201 ؛ المقري : نفح الطيب 4 / 171 ؛ وانظر كذلك كتاب المستشرق الاسباني بونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون الاندلسيون (ط . مدريد سنة 1898) ص 275 ، رقم 233.

تفصيلات أخرى حول كتب ابن القطان ، منها ما ذكره ابن الزبير حول كتابه عن « الاحكام » لابي محمد عبد الحق الإشبيلي ، فهو لا يقول إنه شرح له ، وإنما عنوانه عند ابن الزبير « الوهم والإيهام الواقعان على كتاب الأحكام »، ثم يضيف إلى ذلك قوله: « وهو من أجل التواليف في بابه وإن كان لا يخلو من بعض تعسف وتحامل » . ولسنا نعلم إن كان هذا كتابا آخر غير شرحه للأحكام أو أنه هو نفسه الشرح المذكور ضمنه ابن القطان مآخذه على كتاب عبد الحق الإشبيلي ، وعلى أية فقد وصلت إلينا عدة نسخ من كتاب « الوهم والإيهام » بشهادة بروكلمان (1) .

صلته بالموحدين :

وتستوقف نظرنا في ترجمة ابن القطان هذا عبارة أوردها كل من عرضوا له ، وهي أنه « رأس طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة » ، فنحن نرى من ذلك أنه اتصل بسلاطين الدولة الموحدية وخدمهم ، أما رياسته للطلبة في مراكش فإنها تحتاج إلى بعض التفسير ، فنحن نعلم أن « الطلبة » كانوا من أهم أركان الدعوة الموحدية في تنظيم الدولة منذ أن اختط محمد بن تومرت ذلك التنظيم ، وينبغي ألا نفهم من اصطلاح « الطلبة » ما نفهم اليوم بمعنى أنهم شباب في مستهل حياتهم الدراسية، وإنما هم طبقة من أعلى طبقات الدولة الموحدية ، فهم عند ابن اليسع يلون طبقة أهل سبعين أي في المكان الرابع من درجات الدعوة الموحدية (2) ، وهي إذن في المكان الثالث عند من لم يروا أمر أهل سبعين صحيحاً مثل ابن القطان ، فجعلوا الطلبة يلون اهل العشرة واهل الخمسين (3) ، فقد كان هؤلاء هم عمد الدعوة الموحدية والمبشرين بمبادئها كما يتبين من النصوص الموحدية ، وكان ابن تومرت يعنى بتوجيههم إلى قبائلهم حتى يوطدوا أسس الدعوة (4) ، كما كان يهتم بتعليمهم وتربيتهم وإعدادهم لعملهم الدعائي منذ نعومة أظفارهم، أي منذ أن يصبحوا « حفاظاً » والحفاظ هم « صغار الطلبة »

---

1) تاريخ الآداب العربية 1 / 458 والملحق 1 / 634 و 2 / 978.

2) انظر نظم الجمان ص 28.

3) نظم الجمان ص 29 .

4) انظر إشارة البيذق إلى إرسال محمد بن تومرت « طلبة الموحدين » إلى قبائلهم في سنة 522 هـ. (أخبار المهدي ص 132).

ومنهـم تتألف الطبقة التي تلي « الطلبة » بصفـة مباشرة (1) ، وكثيراً ما كان الإمام الموحدي يوجه إليهم رسائل يبثها الخطوط العامة لسياسته ولما ينبغي عليهم أن يتبعوه في أعمال الدعايـة والحفاظ على مصالح الدولة (2) ، ونحـن نرى مـن بين « طلبـة » الموحدين رجالا وصلوا إلى أرقى المناصب وأعزها على الإمام نذكر منهم أبا محمد عطية المنجصي الذي أرسله ابن تومرت إلى غجدامة فقتله أهلها ، واعتبره ابن تومرت شهيداً فاستباح بذلك دماء هذه القبيلة وأموالها (3) ، ومنهم في أيام عبد المؤمن الخطيب أبو الحسن الإشبيلي الذي يسميه ابـن صاحب الصـلاة « شيخ طلبـة الحضرة » وكان عالي المرتبة لدى عبد المؤمن وابنه يوسف، وكان يسمع الطلبة « عقيدة التوحيد » و « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت ويتولى لهم شرح غامضها وتقريب معانيها (4) ؛ وأبو بكر ابـن ميمون القرطبي الذي ولى القضاء لعبد المؤمن والتدريس لطلبـة مراكـش (5) ، والخطيب أبو محمد عبد الله بن جبل الذي ولى الكتابة والخطابة لعبد المؤمن (6) .

ومن هذا نرى أن ابن القطان الـكتامي كـان من أكبـر دعاة الموحدين وأبرز رجال دولتهـم ، ولو أننا استعرنا الاصطلاح الحديث عند الـكلام عن رجـال الدعـوات السياسية أو الدينية لقلنا إنـه كـان من « العقائديين » الذين أسندت اليهم الدولـة الموحدية أكبر مناصبها الدعائية .

---

1) نظم الجمان ص 28 وص 132، والحلل الموشية ص 125، وانظر تعليق الدكـتور أحمد مختار العبادي في مقاله الذي سبقت الاشارة إليه عن الحلل الموشية ص 107 .

2) انظر مجموع الرسائـل الموحديـة ص 1 ، 11 ، 61 (إلى طلبة سبتـة) ، ونظم الجمان ص 150 (إلى طلبة الاندلس) ، ومجـموع الرسائل الموحديـة ص 5 (إلى طـلبـة صنهاجة تاسفرت) ، وابن صاحب الصلاة: المن بالامامة ورقة 79 (من يوسف بن عبد المؤمن إلى جميع الطلبة والاشياخ والعمال من الموحدين ببلاد العدوة والاندلس) .

3) نظم الجمان ص 93 ، والبيذق : أخبار المهدي ص 132 ، وابن خلدون : العبر 6 / 228 .

4) نظم الجمان ص 178 والمن بالامامة ، ورقة 49 .

5) نظم الجمان ص 178 والمراجع المذكورة في الحاشية .

6) نظم الجمان ص 175 و 178 والمراجع المذكورة .

محنتـه ووفاته :

ويستوقف نظرنا بعد ذلك ما ورد في ترجمة ابن القطان هذا من أنـه « امتحن بالفتنة الحادثة بالمغرب أول سنة 621 ، فخرج من مراكش وعاد إليها واضطرب أمره إلى أن توفي بسجلماسة وهو متولي قضائها ». فما هي هذه الفتنة؟ وكيف كانت ملابساتها؟ وأي شر أصاب ابن القطان منها ؟

الحقيقة أن سنة 621 المذكورة كانت فاتحة فترة مشؤومـة على الدولة الموحدية ، فقد بدأ فيها تصدعها وانهيار بنائها وتكالب اعدائها من بني مرين في داخـل أرض المغرب ومن النصارى في بـلاد الاندلس ، هـذا فضلا عـن الخلاف الناشب في صميم الاسرة الحاكمة .

وكان يوسف المستنصر بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور خامس خلفاء الموحدين قد توفي في آخر سنـة 620 (1224) دون أن يعقب ، فاتفق مشايخ الموحديـن في مراكش على مبايعة عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن في 13 من ذي الحجة سنة 620 (7 يناير سنة 1224) ، وكان شيخاً في الستين من عمره ، ولم يمض من خلافته شهران حتى ثار عليه ابن أخيه عبد الله بن يعقوب المنصور، وكان عاملا على مرسية، فنازعه الخلافة ، وتلقب بالعادل، وطاعت له بعض بلاد الاندلس والمغرب، وما زال حتى تمت له البيعة في مراكش ، وخلع عبـد الواحد بن يوسف ثم قتـل بعد ثمانيـة أشهر من ولايته، في سنة 621 في ربيع هذه السنة. غير أن الامور لم تستقر للعادل، إذ سرعان ما أعلن الثورة عليه أحد أفراد الاسرة المؤمنية وهو عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن بن علي المعروف بالبياسي - نسبة إلى مدينة بياسة في الاندلس اطول إقامتـه بها ، ودخلت في طاعة هذا الامير الثائر قرطبة ومالقة وغيرهما من مدن الاندلس حتى كاد ينزع الخلافة من العادل ، ثم زادت الاحوال سوءً منذ أن تحالف البياسي مع فرذلند (فرناندوا الثالث) ملك قشتالـة ، فسلم إليه قيجاطـة Quesada وغيرها من بلاد المسلمين ، واستشرى الداء في المغـرب أيضا ، إذ خالف عـلى العادل عرب الخلط في سنـة 624 (1227) ، وبدا من الواضح أن العـادل قد سقطت هيبتـه وضعفت يده عن القبض على أزمة الدولة، فلم يلبث أخوه نفسه أبو العلا إدريس عامله على إشبيلية أن خلع طاعته ونادى بنفسه خليفة متلقباً بالمأمون . واغتنم الفرصة رجالات الموحدين ومشايخهم فدخلوا على العادل قصره وقبضوا عليه ثم قتلوه بعد أربعة عشر يوماً من خلعه.

ولكن الندم أدركهم بعد ذلك ، فقد خشي هؤلاء استقرار إدريس المأمون على العرش ، إذ ربما همت نفسه بالانتقام منهم والإيقاع بهم لما فعلوه بعمه وأخيه من قبل، فعزموا على مبايعة شاب صغير من الاسرة المالكة هو يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ، ولكن الامر لم يستقر لهذا الخليفة الذي نصبوه ، إذ اجتاز إدريس المأمون من الاندلس الى المغرب فهزمه وتعقبه ، وأوقع بالموحدين الذين بايعوه ثم نكثوا به على أقسى صورة .

ويبدو أن المأمون ضاق بهذه الدعوة الموحدية التي هرمت ودب الفساد في أوصالها ، فأعلن إلغاءها جملة ، وأزال اسم محمد بن تومرت المهدي من السكة والخطبة، وقطع كل ما كان الموحدون قد جروا عليه منذ قيام دولتهم في المغرب ، وكتب في ذلك رسالته التي يقول فيها :

« ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق ، وألا مهدي إلا عيسى بن مريم وما سمي مهدياً إلا أنه تكلم في المهد ، وتلك بدعة قد أزلناها ، والله يعيننا على القلادة التي تقلدناها . قد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة ، فلذلك أزلنا عنه رسمه، فتسقط وتبت ، وتمحى ولا تثبت . وقد كان سيدنا المنصور رضي الله عنه هم أن يصدع بما به الآن صدعنا ، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا ، فلم يساعده لذلك أجله ، فقدم على ربه بصدق نية وخالص طوية (1) ، وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء الصحابة ، فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه ! أف لهم قد ضلوا وأضلوا، ولذلك ولوا وذلوا ، ما تكون لهم الحجة ، على تلك المحجة . اللهم اشهد اللهم اشهد أنا قد تبرأنا منهم تبرؤ أهل الجنة من أهل النار ، ونعوذ بك يا جبار ، من فعلهم الرثيث، وأمرهم الخبيث . إنهم في المعتقد من الكفار . وأنا فيهم كما قال نبيك عليه السلام « رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا » ، والسلام على من اتبع الهدى واستقام (2) ».

---

1) يبدو أن ما أشارت إليه هذه الرسالة من عزم يعقوب المنصور على قطع الدعوة الموحدية وإزالة رسومها صحيح مؤكد ، فنحن نقرأ في « المعجب » لعبد الواحد المراكشي أخباراً تدل على أن المنصور صرح بشكه في الدعوة الموحدية وأعلن استخفافه بقواعدها وطقوسها مثل عصمة المهدي وغير ذلك . انظر المعجب ط . القاهرة سنة 1949، ص 291 - 292

2) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 267 - 268

ونحن نرى من ذلك أن المأمون إنما بدأ بذلك ثورة دينية سياسية هدف بها الى هدم الدعوة الموحدية من أسسها ، فهو لم يكتف باعتبار مهديها محمد بن تومرت مبتدعاً حتى وصمه بأنه كافر بالإسلام . على أنه لم يرقع بذلك للأمة الخرق كما قال في رسالته ، بل لعلنا لا نسرف إذا قلنا إنه زاد من استخفاف الناس بدولة الموحدين بعد أن قوض تلك الدعائم التي استندت إليها خلال أكثر من قرن من الزمان . ولعل هذا هو الذي شجع سيف الدولة محمد بن يوسف بن هود على أن يعلن نفيه للدعوة الموحدية، وإجلاءها بجملة عن الاندلس، والخطبة بها للخليفة العباسي المستنصر في سنة 629.

هذه في رأينا هي الفتنة التي امتحن فيها ابن القطان منذ سنة 621 ، فقد كان من رجالات الدعوة الموحدية ، وكان من الطبيعي أن يلقى من اضطهاد المأمون وتعقبه ما لقى هؤلاء المشايخ الذين اتخذهم خلفاء الموحدين قبله أبواقاً للدعاية ومبشرين بالمبادئ الدينية السياسية التي قام عليها بناء الدولة. ولعل هذا هو ما أدى إلى خروج ابن القطان من مراكش وعودته إليها ثم خروجه منها مرة أخرى حتى توفي في سجلماسة سنة 628 ، ونحن نعلم أن سجلماسة كانت في ذلك الوقت وكراً للثورة التي أعلنها يحيى بن محمد الناصر على عمه المأمون حتى وفاة هذا سنة 629 (1232) ، ويبدو أنه كان مقرباً ليحيى بن الناصر بحكم معارضة كليهما للمأمون وخصومتهما له ، وهذا هو ما يفسر لنا توليه لمنصب القضاء في سجلماسة في ظل يحيى المذكور حتى وفاته.

ابن القطان « الابن »

هكذا مضت حياة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المعروف بابن القطان والذي نرجح أنه والد مؤلف الكتاب الذي نقدم بين يديه بهذه السطور.

وإنما اعتمادنا في هذا الترجيح على إشارات ونبذ هنا وهناك في السطور القليلة التي أشارت بها إليه المراجع المتأخرة ، فقد ذكرنا من قبل أنه لم يفرده احد بترجمة خاصة وأن اسمه الكامل لا يكاد يذكر، وأن كنيته مختلف فيها ، غير أننا نرى صاحب كتاب « مفاخر البربر » يسميه « الفقيه الحسيب الحافظ أبا علي حسين بن القطان الكتامي مؤلف كتاب نظم الجمان » (1) .

1) مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، الرباط سنة 1934 ، ص 65 ؛ هذا ويجدر بالذكر أن صاحب هذا الكتاب يميز بين مؤلف « نظم الجمان » (ابن القطان الابن) وبين أبي الحسن علي بن محمد ابن القطان (الاب) فيترجم لهذا في موضع آخر من كتابه (ص 64) ولو أن الاسم جاء في الاصل « ابن القاضي » وهو تحريف عن « ابن القطان » .

ثم إنني عثرت بعد ذلك في إحدى مخطوطات الخزانة العامة في الرباط على نص آخر يذكر كتاب « نظم الجمان » ويقول إن مؤلفه هو « أبو علي حسن بن علي ابن القطان » (1) .

وعلى الرغم من هذا الخلاف في إيراد اسم مؤلف « النظم » فإننا نستخلص أنه ينبغي أن يكون ابناً لابي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك ابن القطان .

وأخيراً نرى أن ابن عذارى المراكشي يذكر المؤلف أيضاً في « البيان المغرب » في نص سنعرض له بعد قليل ، ولكنه يكنيه بكنية أخرى إذ يقول إنه « أبو محمد» (2)

وليس في وسعنا أن نقطع في هذا الاختلاف برأي، إذ لا تسعفنا النصوص بذلك، ومهما كان الامر عن أبي علي أو أبي محمد الحسن أو الحسين بن القطان مؤلف « نظم الجمان » فإن رأينا فيه هو أنه ابن هذا العالم الذي تعرضنا للحديث عنه من قبل، على أننا لا نعرف شيئاً عن تاريخ مولده ولا وفاته ، ولم تمدنا المراجع بخبر عن حياته باستثناء ذلك النص الذي سنثبته لابن عذارى والذي أشار فيه إلى صلته بالخليفة الموحدي المرتضى وإلى أنه ألف له جملة من الكتب ، وهذا هو ما نستخلصه أيضاً من نفس القطعة التي بقيت لنا من « نظم الجمان ».

الدولة الموحدية في عصر المرتضى :

ونرى من المناسب في هذا المقام أن نعرض شيئاً عن أحوال هذا الخليفة الذي اتصل به مؤلفنا وعاش في بلاطه والف له « نظم الجمان ».

---

1) هذا المخطوط مجموع عنوانه « كتاب الانساب » لابي حيان (رقم 1275 ك) وهو يضم ثلاث رسائل أولاها عن جغرافية المغرب وأصول البربر والفتوح العربية في شمال إفريقية، والثانية هي الرسالة التي نشرها ليفي بروفنسال بعنوان « مفاخر البربر »، والثالثة تتضمن مقتطفات من رسائل وكتب مختلفة حول تاريخ المغرب ، وقد نشر بروفنسال كذلك جزءاً من الرسالة الاولى بعنوان « نص جديد عن فتح العرب للمغرب » في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثاني سنة 1954 ، ص 193 ـ 239 (مع تعليق للدكتور حسين مؤنس) . هذا ويقوم كاتب هذه السطور بالاشتراك مع الزميل الاخ الدكتور أحمد مختار العبادي بتحقيق الرسائل الثلاث بما فيها رسالة « مفاخر البربر » وإعدادها للنشر. وأما النص الذي أشرنا إليه فهو يقع في الرسالة الاولى ص 25

2) البيان المغرب ، القسم الموحدي ص 453 .

وقد انتهينا في الكلام عن الدولة الموحدية إلى سنة 628 التي توفي فيها علي ابن محمد بن عبد الملك بـن القطان أب مؤلف النظم، وأشرنا إلى بدء اختلال الدولـة الموحدية وفسادها منذ أوائل القرن السابع ، وتزايد هـذا الفساد في السنوات التاليـة: فهذه إفريقية تستقل عن سلطان الموحدين وتقوم فيها دولة الحفصيين، وهذه الاندلس تخرج عن أيديهم ويصطرع فيها ثوارها المسلمون مـن أمثال ابن هود وابـن مردنيش وابن الاحمر وعشرات من صغار المنتزين ، ثم يغتنم النصارى هذه الفرصـة ، فيؤرثون من نار العداوات والاحقاد والفتن. وهكذا تقع الحواضر الاندلسية الكبرى في أيديهم واحدة بعد الاخرى ، حتى لا يكاد القرن السابع ينتصف إلا والإسلام قـد انحصر في جانب صغير من جنوب شرقي شبه الجزيرة. حتى المغرب نفسه لم يصف لخلفاء الموحدين، إذ يقاسمهم السلطان هناك بنو مرين ويجرعون ملوكهم من الغصص والهزائم ما يطيح بآخر ما بقي من كرامة دولتهم وهيبتها . وأصبح سلاطين الموحدين في هـذه الفترة أشبه ما يكونون بخلفاء بني العباس بعد المتوكل: يتلاعب بهم مشايخ الموحدين والعرب والغز والنصارى كما كان يتلاعب بأولئك قواد الترك وخدم القصر ونساؤه .

في هذه الظروف التعسة المشؤومة ولي عرش الموحدين أبو حفص عمر بن إسحاق ابن يوسف بن عبـد المؤمن الملقب بالمرتضى (1) ، وذلك أنه لما قتـل علي السعيد في آخر صفر سنة 646 (23 يونية سنـة 1248) وقتل كذلك ابنه الطفـل الذي كان مرشحاً للخلافة بعده اجتمع زعماء الموحدين ومشايخهم، فرشحوا أولا أبا زيد بن إسحاق، وكان عاملا على مراكش ، ولكنه أبى من قبول الخلافة ، وحينئذ اضطروا الى ترشيح أسماء أخـرى لم يظفر واحـد منها بالاجماع ، وأخيراً قام أبو عبد الله محمد بن عبـد الله الجنفيسي وعرض على المجتمعين اسم أبي حفص عمر بن اسحاق ، وكان حاكماً لسلا في ذلك الوقت، ونوه الجنفيسي بخلاله الحميدة، فوقع عليه اجماع الحاضرين وكتبوا عقد البيعة وسلموه الى ابي زيد المذكور باعتباره ممثلا لاخيه ونائباً عنـه إذ أن هذا كان غائباً في سلا ، وتوجه بكتاب البيعة الحاكم ابن أصلماط . فلقي السيد أبا حفص بتامسنا وهو مقبـل من سلا ، فقرئت البيعـة المذكورة وأصفـق الحاضرون على مبايعتـه ، وتلقب بالمرتضى ، وتوجه من ساعتـه إلى مراكش ، فخـرج الناس ورجال الدولـة لاستقبالـه والاحتفاء به ، واستقر له الامر .

---

1) عن خلافة المرتضى انظر ابـن عذارى : البيان المغرب ، القسـم الموحدي، ص 389 ـ 454 ؛ وأويثي : تاريخ الدولة الموحدية 2 / 541 ـ 566

ولكن المشاكل لم تلبث أن عكرت عليه صفو هذا الهدوء ، فقد كان المرينيون في هذا الوقت قد اقتحموا تازة ، ثم توجه أميرهم أبو يحيى بن زكريا المريني الى أجرسيف وسائر القلاع الواقعة على نهر ملوية واستولى على فاس ، فظل فيها عاماً كاملا حتى ربيع الاول سنة 647 (مايو - يونية سنة 1249) ، غير أن أهل فاس أعلنوا ثورتهم عليه ومبايعتهم للمرتضى، ولكن هذه الثورة فشلت بعد أن عجز الموحدون عن بعث إمدادات عسكرية الى المدينة ، وهكذا عادت فاس الى طاعة المرينيين في جمادى الثانية سنة 648 (سبتمبر 1250) .

وزاد في سوء الاحوال أن الأمير أبا يحيى المريني مد سلطانه على رقعة واسعة تمتد بين فازاز والرباط ، وحينئذ قرر المرتضى أن يتدخل بعد أن ظل ثلاث سنوات متقاعداً جانحاً الى الخمول، فجمع جيشاً ضخماً في سنة 649 (1251) وخرج به من مراكش ، فتوجه أولا الى تينملل حيث قام بزيارة ضريح المهدي وتلقى بركاته كما كانت عادة سلاطين الموحدين قبل الشروع في أي غزوة . ثم خرج الى سلا ، ورأى أبو يحيى المريني قوة جيش خصمه فعرض عليه المفاوضة ، وقبل المرتضى فقد كان رجلا مسالماً ميالا الى تجنب كل نزاع مسلح ، ولكن وزراءه ومشايخ الموحدين - وقد ملأهم الغرور والثقة في النصر - رفضوا الصلح، ودارت المعركة، فانتهت بهزيمة جيوش الموحدين دون أن تشتبك في القتال ، ويبدو أن هذه الهزيمة كانت ترجع الى خيانة من الوزير عبد الله بن يونس الذي كان المرتضى قد نكبه قبل ذلك عند عودته مخذولا الى مراكش .

غير أن ما فعله المرتضى بابن يونس كان له بعد ذلك أسوأ الآثار، فقد ترتب عليه أن قائداً من أهل قرابته هو علي بن يدر أخذته الحمية فهرب الى السوس وأعلن الثورة على الخليفة وهزم الجيوش الموحدية التي وجهت لقتاله.

ثم عاد المرتضى الى التوجه بجيشه الى فاس طامعاً في استردادها ، ودارت المفاوضات مرة أخرى ولكنها انتهت بالفشل ، فلما وقعت المعركة في « بني بهلول » بجوار فاس عاد المرينيون فألحقوا بالمرتضى هزيمة ساحقة في جمادى الثانية سنة 653 (يوليه سنة 1255) .

ومنذ هذه الهزيمة قرر المرتضى ألا يخرج للغزو بعدها ، فأمضى الصلح مع أبي يحيى المريني، وعكف على حياة هادئة مسالمة اشتغل خلالها ببناء قصوره والخلو بلذاته، هذا بينما ضعفه المتزايد قد جسر عليه الثوار الآخرين، فهزم علي بن يدر من جديد الجيش الذي وجهه المرتضى الى السوس بقيادة أبي محمد ابن أصناج ، وارتفع أمر

العزفي والي سبتة فمد حكمه على طنجة وأخذ يتصرف كما لو كان أميراً مستقلا ولو أنه كان يخطب للمرتضى ويعلن طاعته له على نحو اسمي محض . ثم خلع أهل سجلماسة طاعة الموحدين وأعلنوا انقيادهم لبني مرين .

وهكذا ظلت أحوال المغرب تسير من سيء الى أسوأ ، حتى انتهى الامر بهجوم السلطان المريني أبي يوسف يعقوب على مراكش نفسها ومحاصرته لها ، فعهد المرتضى بقيادة جيوشه الى أحد أمراء الاسرة الموحدية المالكة : أبي العلا إدريس الملقب بأبي دبوس ، وهو الذي سيكون مصرع المرتضى على يديه فيما بعد. وكان ذلك في أواخر سنة 660 (خريف سنة 1262) ، واستمر القتال شهرين بين الموحدين وبني مرين ، وقتل خلال المعارك الدائرة عبد الله الابن الاكبر لابي يوسف المريني، فبعث اليه المرتضى برسالة عزاء ، وفاوضه في أن يرفع الحصار عن مراكش على أن يؤدي اليه ضريبة سنوية . وفي رجب سنة 661 (مايو - يونيه 1263) رفع المريني الحصار وعاد بجيوشه الى فاس .

على أن هذا النجاح المتواضع الذي أحرزه الموحدون على خصومهم الاقوياء لم يلبث أن أعقبته نتائج وخيمة انتهت أخيراً الى تقويض بناء الدولة الموحدية والى مصرع المرتضى ، ذلك أن أبا دبوس الذي عهد اليه بقيادة المقاومة الموحدية أثناء حصار المرينيين لمراكش قد داخله الغرور ، فاستزاد المرتضى من السلطات ، وأدت تصرفاته الى نفور الوزراء منه ، ورأى هو نفسه أحق بتدبير الامور من جميعهم مما أثارهم عليه، فأوقعوا به لدى المرتضى، واتهموه بأنه كان يكاتب المرينيين سراً ، وإزاء ذلك اختلق حجة لمغادرة العاصمة ، فما إن سنحت له فرصة الفرار حتى توجه الى فاس في محرم سنة 663 (نوفمبر سنة 1264) ، فاجتمع بأبي يوسف المريني، وتعاقد معه على أن يمده بالرجال والمال وعلى أن يكون للمريني لقاء ذلك نصف ما يستولي عليه من البلاد الباقية في حوزة المرتضى. وفي ذي القعدة من سنة 663 (أغسطس- سبتمبر 1265) خرج أبو دبوس بكامل عدته وعديده من فاس الى مكناس ثم توجه منها الى تادلا ، فعيد بها عيد الاضحى (23 سبتمبر 1265) وقضى شتاء هذا العام وربيعه في جمع صفوفه وكسب أنصار جدد من العرب ومن هسكورة وفي مكاتبة جواسيسه في مراكش .

وما إن وصل الخبر الى المرتضى بثورة أبي دبوس حتى ساءت ظنونه بكل من حوله ، فقبض على كثير من وزرائه ورجال دولته متهماً إياهم بموالاة خصمه ، وزاد ذلك

من تذمر الناس منه وضيقهم بحكمه وانحياز الكثيرين الى صفوف أبي دبوس ، فضلا عن أنه كان قد فرق جيوشه في البلاد تاركاً بذلك عاصمته مراكش بلا حامية تحت رحمة أي هجوم مفاجيء . ومع كل ذلك فإن المرتضى لم يعر الامر كبير اهتمام، ورفض نصائح وزيره أبي موسى بن عزوز بأن يسرع باستقدام ابن وانودين وابن عطوش بجيوشهما لانقاذ عرشه المذبذب.

وفي 22 من المحرم سنة 665 (22 أكتوبر 1266) توجه أبو دبوس بجيوشه إلى مراكش ، فاقتحم أسوارها من باب أغمات ، ولم يسع المرتضى حينئذ إلا الفرار من المدينة إلى جبال الاطلس ، فوصل أولا إلى كيك، ولكن أهلها رفضوا مقامه بين أظهرهم، فانتقل إلى أزمور ، ولكن أعوان أبي دبوس قبضوا عليه هناك وأودعوه السجن . ولما علم أبو دبوس بالقبض عليه حتى أمر بأن يكتب إليه لكي يعلن عن المكان الذي أخفى فيه ذخائره وأمواله، ولكن المرتضى أجاب مقسما بأنه لم يكن لديه أي مال وطلب من خليفته العفو والرحمة وناشده أن يرعى فيه حرمة القرابة ، ورق له قلب أبي دبوس أولا ورام إطلاقه ، ولكن ناصحاً له من ذوي قرباه وهو أبو زيد الاعرج شدد عليه في وجوب قتله ، وهكذا صدر الامر بضرب عنقه في الطريق ، ونفذ فيه الحكم في 22 من صفر في هذه السنة (22 نوفمبر 1266).

وكان المرتضى على الرغم من ضعف إرادته وتخاذله المخزي وخلوه من صفات القيادة والحكم رجلا واسع الثقافة محبا للشعر والادب والغناء والبنيان ، وكأنه كان يريد بإقباله على هواياته ولذاته نسيان ما كان يتربص به من كوارث ، وفيه تتمثل مرحلة الانحلال النهائي الذي كان يتهدد دولة الموحدين، إذ أن خليفته أبا دبوس الملقب بالواثق لا يتمتع بالخلافة إلا نحو ثلاث سنين، ثم يجرعه المرينيون من الكأس التي أذاق من قبل مرارتها للمرتضى ، ولا تأتي سنة 668 (1266) حتى يقضي بنو مرين على آخر ما بقي من دولة الموحدين المتداعية.

* * *

في ظل المرتضى - هذا الخليفة التعس الذي وافق حكمه غروب شمس الموحدين - عاش أبو علي الحسن بن القطان، وكان - على ما يبدو - من كتابه ورجال دولته المقربين ، ولم تحدثنا المراجع عن حياته ولا عن دراسته ، إذ أن ما بين أيدينا منها يرخي عليه كما ذكرنا ستاراً من الصمت المطبق .

ولكن في وسعنا أن نتصور شيئاً من ذلك على ضوء ما عرفناه من حياة أبيه الذي كان كما ذكرنا « رئيساً لطلبة مراكش » أي أنه كان من أكبر دعاة الموحدين

المتحمسين لمبادئهم الدينية والسياسية ، بل إنه تعرض في سبيل ذلك لمحنة شديدة أدته وأخرجته عن بلده ، وذلك منذ أعلن المأمون في سنة 624 (1227) تبرؤه من دعوة ابن تومرت وحكمه عليه بالتكفير ، ورأوا رجال الموحدين في هذه الثورة المذهبية خطراً على كيان الدولة كلها وعلى ما أحرزوه في ظلها من مغانم، فاحتملوا المأمون على مضض بعد أن اتبع معهم سياسة حجاجية بالغة القسوة ، حتى إذا حلت به المنية في آخر سنة 629 (أكتوبر 1232) وولي الخلافة بعده ابنه عبد الواحد الرشيد تنفسوا الصعداء واشترطوا على الخليفة الجديد أن يعيد رسوم الدولة التي محاها أبوه وأن يذكر اسم محمد بن تومرت المهدي في الخطبة والمكاتبات والسكة . ويصف لنا ابن عذارى تخوف مشايخ الموحدين من أن يجري الرشيد على سنة أبيه ، ويقول إنهم لما فاوضوه في الامر سكن نفوسهم وجدد تأنيسهم بإعادة تلك الرسوم الموحدية :

« فيالله ، ما ذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح عند سماعه وانطلاق ألسنتهم بالدعاء إلى الله تعالى في نصر خليفتهم وتأييده ، وإعلاء أمره وتجديده ، وشملت الافراح الكبير منهم والصغير ، وعم الجذل الحاضر والبادي ، وعند ذلك تمهدت قواعد الموحدين وتبينوا القصد الجميل فيهم ، وأشاعوه عند قاصيهم ودانيهم ، وبولغ في إدنائهم وتكريمهم ، واحل أشياخ الموحدين على قدم الزمان ، واستبشروا بنعمة من الله ورضوان » ، (1)

وطبيعي أن يتشرب ابن القطان مبادئ الدعوة الموحدية منذ صباه وأن يرث عن أبيه حماسه لها واجتهاده في خدمتها ، ولا سيما بعد أن انجابت عن الافق غيوم هذه الازمة العارضة التي أثارها المأمون، وعادت الدولة الموحدية إلى التمسك برسومها وطقوسها التقليدية القديمة ، ولعل هذا هو ما أوصل ابن القطان إلى خدمة الخليفة المرتضى والعمل في بلاطه . والذي يقرأ ما بقي لنا من نص « نظم الجمان » يجد فيه مظاهر كثيرة لهذا الحماس الشديد للدعوة الموحدية ، وإن كان هذا لا يعني الاخلاص الحقيقي لها ولا الإيمان الصادق بها ، وكل ما هناك هو أن مثل ذلك الحماس كان طريقاً إلى الجاه والسلطان ... طريقاً سلكها أبوه من قبل « فنال بخدمة السلطان دنيا عريضة » كما ذكر من ترجموا له . وما كان أبو علي ابن القطان بدعا في ذلك ، فقد ورث عن أبيه هذه « الوصولية » وكان كغيره من الفقهاء الذين لم يتورعوا عن بذل علمهم وكرامتهم في سبيل عرض الدنيا ، وما كان بذلك بغريب في مثل هذا العصر الذي

---

1) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 305 .

اختلت فيه موازين القيم والاخلاق فأصبح كثير من العلماء يعرضون أنفسهم بضاعة رخيصة لكل متلبس بحكم أو متسور على سلطان . وكتاب « نظم الجمان » كما نستشف من القطعة الباقية منه ليس إلا تاريخا « بلاطيا » خالصا من طراز تلك الكتب التي ألفها مؤرخون « منتفعون » من الدولة التي يستظلون بظلها ، وأمثال هذه التواريخ رأيناها في جميع الدول الاسلامية المختلفة ، وقد سبق ابن القطان إليها في الدولة الموحدية مؤرخون مهدوا له الطريق مثل أبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق صاحب كتاب « أخبار المهدي » وأبي القاسم المؤمن صاحب « فضائل المهدي » وابن الراعي ثم ابن صاحب الصلاة مؤلف كتاب « المن بالامامة » .

مؤلفات ابن القطان :

وقد جمع ابن القطان للمرتضي عدة كتب يذكرها ابن عذارى في ذلك النص الذي اختصه به وفيه يقول :

« وكان (أي المرتضى الموحدي) محبا في مطالعة الكتب وتواليفها ، فألف له الفقيه أبو محمد ابن القطان جملة من الكتب الحفيلة الجليلة، وأمده بالدواوين العظيمة والخيرات الجليلة (كذا ولعلها الجزيلة)، فمنها: « نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان » ، وكتاب « شفاء الغلل، في أخبار الانبياء والرسل » ، وكتاب « الاحكام لبيان آياته عليه السلام » ، وكتاب « المناجاة » ، وكتاب « المسموعات » فيه قصائد متخيرات فيما يخص بالمولد الكريم وشهر رجب وشعبان ورمضان وغير ذلك» (1) .

أما « نظم الجمان » فله موضعه من هذا الحديث، وأما الكتب الاخرى فأغلب الظن أنها فقدت أو ضاعت ، ولم تتحدث عنها المصادر الاخرى التي وقعت إلينا ، فيما عدا إشارة سريعة مقتضبة لابن القطان نفسه في معرض التعليق على الحديث النبوي المشهور « لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة » فهو يقول إنه جود الكلام على هذا الحديث في كتاب « الإحكام » (2) ، وهو كتاب يدل عنوانه وهذه الإشارة إليه على أنه في شرح مجموعة من الاحاديث النبوية أو تفسير غريب ألفاظها (3) .

1) البيان المغرب - القسم الموحدي ص 452 - 453.

2) هذا هو الكتاب الذي خلط بينه ليفي بروفنسال وبين « شرح الاحكام » أو « الوهم والإيهام الواقعين على كتاب الاحكام » ، وهو الذي ألفه ابن القطان الاب معلقا به على « أحكام » عبد الحق الاشبيلي .

3) انظر « نظم الجمان » ص 131 .

كتاب « نظم الجمان »

شهر هذا الكتاب بالمقطع الاول من عنوانه ، وأما المقطع الثاني الذي تقتضيه السجعة المعتادة في عناوين الكتب فهو ما لا يتفق عليه من أشاروا إليه أو اقتطفوا منه، وسنورد فيما يلي الصور المختلفة التي جاء بها هذا المقطع الثاني في المراجع المختلفة.

1 ـ العنوان في المخطوطة الوحيدة الباقية من الكتاب معتمدنا في نشر هذا الجزء هو : « نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ».

2 ـ وتسميه مخطوطة الرباط التي أشرنا إليها من قبل « . . . فيما سلف من أخبار الزمان (1) » وكذلك الفقيه الرهوني فيما نقله عنه العالم المغربي الشيخ عبد الحي الكتاني وسجله بخط يده على غلاف مخطوطة « النظم » كما سنرى بعد.

3 ـ ويذكر ابن عذارى له عنوانين : أولهما « . . . في أخبار الزمان » ، جاء ذلك في مقدمة كتاب البيان المغرب في معرض الكتب والمراجع التي اعتمد عليها في تحرير مؤلفه (2) ، والآخر هو « نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان » ، وقد جاء هذا في حديثه عن الكتب التي ألفها ابن القطان للخليفة المرتضى، وهو الذي أثبتنا نصه منذ قليل.

نقول المؤرخين المتأخرين عن ابن القطان :

الذي يتتبع النقول التي اقتطفها المؤرخون الاندلسيون والمغاربة من « نظم الجمان » يتبين له مدى قيمة هذا الكتاب ووفرة المادة التاريخية التي تضمنتها صفحاته، وسنورد فيما يلي إشارات مقتضبة إلى ما عثرنا عليه من هذه النقول :

أ ـ في كتاب «البيان المغرب» لابن عذارى:

1 ـ يبدأ ابن عذارى في مقدمة كتابه بذكر « نظم الجمان » من بين المراجع التي اعتمد عليها ونقل منها في تاريخه (3).

2 ـ ينقل عنه في الفصل الذي عنونه بقوله «صفة مدينة تيهرت على ما ذكره ابن

1) ص 25 من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 1275 ك

2) البيان المغرب 1 / 3 (ط . ليفي. بروفنسال وكولان)

3) البيان المغرب 1 / 3

القطان (1) » وهو فصل جغرافي طويل يذكر في أثنائه القبائل البربرية التي كانت تسكن هذه المناطق، ويتبع ذلك صفة مدن مغربية أخرى مثل طنجة ومدن إقليم السوس وبلاد هنهاجة وهسكورة وأغمات وغيرها من المواضع ، وهو في كل ذلك ينقل عن مؤرخين وجغرافيين آخرين، وإن كان يغلب على ظننا أن جل اعتماده على ابن القطان.

3 ـ عن غزوات عقبة بن نافع في المغرب وعودته إلى افريقية بعد رجوعه من الجملة التي قادها في بلاد جزولة ثم استشهاده (2) .

4 ـ عن غزوات موسى بن نصير للمغرب الاقصى (3) .

5 ـ عن أصل طارق بن زياد ومستقره من بلاد المغرب قبل فتحه الاندلس ، وما كان يسيطر عليه النصارى من بلاد المغرب (4) .

6 ـ عن تولية هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض على افريقية والمغرب ، والحروب الدائرة بين العرب والبربر ، ولجوء فل العرب بقيادة بلج بن بشر القشيري إلى سبتة ، ثم مكاتبتهم لعرب الاندلس حتى جوازهم إلى تلك البلاد (5) .

7 ـ عن برغواطة وارتدادهم عن الاسلام وخبر بني طريف البرغواطيين (6) .

8 ـ عن عبد الرحمن بن جيب والي إفريقية وخلعه طاعة العباسيين (7) .

9 ـ عن مصرع عمرو بن حفص والي إفريقية للعباسيين على يد الثائر الخارجي أبي حاتم الاباضي سنة 153 (8) .

10 ـ عن موقعة دارت في سنة 224 في موضع بين قفصة وقسطيلية (بافريقية) بين عيسى بن ريعان الازدي وقبائل البربر من لواتة وزواغة ومكناسة (9) .

---

1) البيان 1 / 25 وما بعدها .

2) البيان 1 / 28

3) البيان 1 / 42

4) البيان 1 / 44

5) البيان 1 / 55 ـ 56

6) البيان 1 / 56 ـ 57

7) البيان 1 / 67

8) البيان 1 / 77

9) البيان 1 / 107

11 ـ عن خلو سنة 253 من أخبار إفريقية مما يستحق الذكر (1) .

12 ـ عن أخبار عبيد الله الشيعي (المهدي) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب، والخلاف في نسبه . ومما يجدر بالذكر هنا أن ابن القطان ممن يؤكدون زيف النسب الفاطمي الذي اصطنعه مهدي الشيعة العبيديين (2) .

13 ـ عن الفاطميين في مصر وأخبار خلفائهم وأن نسبتهم إلى علي بن أبي طالب باطلة وأن أكثر اعتقاداتهم كفر. ويلي ذلك كلام عن وفاة المستنصر بن الظاهر وولاية المستعلي ثم الآمر إلى ولاية الحافظ (3) .

14 ـ عن دولة يحيى بن تميم بن المعز أمير إفريقية وفتحه لاقليبية سنة 502 (4)

15 ـ عن غلاء الاسعار والوباء المنتشر في تلمسان في المغرب الاوسط سنة 512 (5) .

16 ـ عن وقعة كتندة بالاندلس التي هزم فيها المرابطون سنة 514 (6) .

17 ـ عن خلع القاسم بن حمود في قرطبة سنة 414 وهزيمة البربر وهروب القاسم ابن حمود إلى إشبيلية ثم محاولة أهل قرطبة إعادة دولة بني أمية وخلافة عبد الرحمن المستظهر بن هشام بن عبد الجبار (7) .

18 ـ عن استخلاف محمد بن عبد الرحمن المستكفي ثم خلعه وفراره ووفاته في أقليج (8) .

19 ـ عن أخبار إسماعيل بن القاضي محمد بن عباد وحروبه مع يحيى بن علي ابن حمود صاحب قرمونة في سنة 427 ومقتل إسماعيل المذكور سنة 431 في حرب نشبت بينه وبين باديس بن حبوس صاحب غرناطة، وعن فرار هشام بن الحكم المؤيد

---

1) البيان 1 / 115

2) البيان 1 / 158 ـ 159

3) البيان 1 / 287

4) البيان 1 / 304 ـ 305

5) البيان 1 / 307

6) البيان 1 / 308

7) البيان 3 / 134 ـ 135

8) البيان 3 / 141 ـ 142

عن قرطبة ، وخبر خلف الحصري الذي زعم ابن عباد بإشبيلية أنه هشام المؤيد (1) .

20 ـ عن خبر إدريس بن يحيى آخر خلفاء الحموديين وخروجه إلى سبتة وبقائه بها عند سواجات البرغواطي وما سبق ذلك من أحداث (2) .

21 ـ عن وفاة خلف الحصري المشبه بهشام المؤيد سنة 451 وقطع ابن عباد للدعوة الهشامية (3)

22 ـ عن مصرع الوزير ابن السقاء على يد عبد الملك بن جهور أمير قرطبة وفساد أمور هذه المدينة على عبد الملك (4)

23 ـ عن المعتضد بن عباد ووفاته سنة 460 وبعض أخباره وصفاته (5)

24 ـ عن خروج يوسف بن تاشفين في سنة 464 إلى بلاد المغرب وعودته إلى وطاط وملوية وناحية جراوة وإخضاعه لقبائلها وغير ذلك من أخبار هذه السنة (6)

25 ـ عن إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي بأمر علي بن يوسف بن تاشفين وما قاله الامام الغزالي في ذلك داعيا الله أن يديل دولته بابن تومرت (7)

26 ـ عن مكوث المهدي في جبل إيجيليز ثلاثة أعوام من سنة 515 إلى سنة 518 وعن التمييز الذي قام به أبو محمد البشير الونشريشي في صفوف الموحدين سنة 519 ، ثم ثورة الفقيه الافريقي علي ابن تومرت بسبب قتله هزميرة تينملل (8)

27 ـ عن هزيمة البحيرة الواقعة على الموحدين بعد حصارهم مراكش سنة 524، (وإن كان النص يذكر ذلك في معرض أحداث سنة 521) (9)

28 ـ عن انتصار الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي على عسكر المرابطين

---

1) البيان 3 / 199 ـ 200

2) البيان 3 / 217

3) البيان 3 / 249.

4) البيان 3 / 251.

5) البيان 3 / 284.

6) البيان (القسم المرابطي الذي نشره أويثي في مقاله « قطعة مخطوطة من البيان المغرب عن المرابطين » ، مجلة إسبريس ـ تمودة، الرباط سنة 1961) ص 57 .

7) نفس المرجع ص 76.

8) نفس المرجع ص 82 ـ 83.

9) نفس المرجع ص 88.

بكيك ، ثم حصارهم لاغمات في سنة 524 ، وعن موت المهدي محمد بن تومرت في هذه السنة (1)

29 - عن فتح عبد المؤمن لتادرارت وبلاد السوس ودخوله تيونوين سنة 529 (2)

ب - في كتاب « الحلل الموشية » :

30 - عن نسب محمد بن تومرت الذي ينتهي كما ذكر ابن القطان إلى الحسن ابن علي بن أبي طالب (3)

31 - عن رحلة محمد بن تومرت من وطنه هرغة بالسوس الاقصى في طلب العلم إلى الاندلس ثم إلى المشرق ولقائه للطرطوشي والغزالي، ثم عن كتاب الاحياء وإحراقه بقرطبة برأي القاضي ابن حمدين (4)

ج - في « أعمال الاعلام » لابن الخطيب الغرناطي :

32 - عن هشام المؤيد وفراره من الفتنة إلى قرية من قرى إشبيلية وتنصيب ابن عباد لرجل شبيه به على عرش الخلافة لكي يحكم القاضي ابن عباد باسمه باعتباره حاجباً له (5)

د - في كتاب « الانساب » لابي حيان :

33 - عن المصامدة وتقسيمهم الى فرقتين ؛ أهل درن وهم متبعون للامام (يعنى ابن تومرت المهدي) وأهل الوطا وهم مخالفون له (6)

* * *

1) البيان (القسم المرابطي) ص 94 .

2) نفس المرجع ص 101.

3) الحلل الموشية ص 84 (والترجمة الاسبانية ص 123) .

4) الحلل ص 85 - 86 (والترجمة الاسبانية ص 124 - 126) .

5) ابن الخطيب : أعمال الاعلام (نشر ليفي بروفنسال ، بيروت 1956) ص 154 - 155.

6) مخطوطة الرباط التي أشرنا إليها من قبل ، ص 25.

وهذه النقول عن ابن القطان تدلنا على قيمة كتابه وعلى أن المتأخرين اعتبروه من أمهات المراجع التاريخية حول المغرب والاندلس. ولو أننا استعرضنا هذه المقتطفات لتبين لنا أن « نظم الجمان » ينبغي أن يكون تاريخا مفصلا شاملا للمغرب بمعناه الواسع أي من الحدود الغربية لمصر حتى الاندلس ، ويبدو أنه كان يبدأ بفصول طويلة عن جغرافية المغرب ووصف مدنه ، ثم ينتقل الى تاريخه منذ الفتح العربي حتى أيام المؤلف. وهو إلى جانب ذلك لا يخلى كتابه من الاهتمام بأخبار المشرق ولا سيما مصر وأخبار الخلفاء الفاطميين بها .

النص المنشور وقيمته :

أما القطعة الوحيدة الباقية من هذا الكتاب الجليل والتي نقدمها إلى القراء بهذه السطور فهي ليست إلا جزءاً بالغ الصغر من تلك الموسوعة الضخمة في تاريخ المغرب والاندلس ، إذ أنها لا تتناول إلا أخبار ثلاث وثلاثين سنة (من 500 هـ. إلى 533 هـ.) بل إن تاريخ هذه السنوات ليس كاملا متساوقا ، فنحن نرى فيه فجوات وخروماً كثيرة يعلم الله مدى ما ذهب فيها من أوراق، ولنا بعد ذلك أن نتصور حجم الكتاب كله ومدى ما يشتمل عليه من تفاصيل وفوائد إذا قدرنا أن النص الكامل له يعرض لنا جغرافية المغرب وتاريخه العام على طول ستة قرون.

ويبدو لنا أن ابن القطان قسم كتاب (نظم الجمان) إلى سبعة أجزاء : الاول يضم المقدمة الجغرافية الضافية ثم الفتح العربي للمغرب وأخباره في بقية القرن الاول الهجري أي حتى سنة 100 هـ. ؛ والثاني في أخبار القرن الثاني الهجري ؛ والثالث فى أخبار القرن الثالث، وهكذا . . . حتى الجزء السابع والاخير ويتضمن أخبار القرن السابع حتى عصر المؤلف أي في أواخر أيام الدولة الموحدية . وإنما يرجح هذا الظن عندنا أن القطعة التي نقدمها هنا تحمل عنوان « الجزء السادس من الكتاب في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار القرن السادس وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة مما يتشوف إليه ».

على أنه إلى جانب هذا قد قسم الكتاب كذلك إلى أسفار لا نعرف على أي أساس قام بتجزئته إليها، وذلك لاننا نرى أن هذه القطعة التي بقيت لنا من الكتاب كله تبدأ بقوله : « السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان » ، ونحن نرى تأكيدا لذلك فى أحد نصوص « البيان المغرب » التي ينقل فيها عن مؤلفنا إذ يقول : « فذكر ابن القطان فى السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان . . . » ثم يورد خبر رحلة

محمد بن تومرت إلى الاندلس في سنة 500 وعودته إلى بلاده في سنة 514 (1) ، وهذا يتفق فعلا مع أول ما استهل ابن القطان به أخبار القرن السادس الهجري كما يرى من النص الذي اضطلعنا بنشره .

وقد انتفع ابن القطان بدوره من كتب من سبقوه من مؤرخي الدولة الموحدية واطلع على كتبهم ، ونص هو على استخدامه لهذه المصادر : « فضائل المهدي » لابي القاسم المؤمن المصري، وكتاب لابن الراعي لم يورد عنوانه، وكتاب « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب » لليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع الغافقي ، و « المقباس في أخبار المغرب والاندلس وفاس » لعبد الملك بن موسى الوراق، و « النبذ المحتاجة من أخبار صنهاجة » لابي الحسن علي بن حمادة الصنهاجي ، وهذه الكتب كلها ضاعت ولم يبق منها إلا مقتطفات في المراجع المتأخرة ، كذلك استخدم مؤلفنا كتابي « أخبار المهدي » لابي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق، و « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة، وقد وصل إلينا الكتاب الاول بعد أن نشره ليفي بروفنسال وما زال جزء من الثاني مخطوطا في اكسفورد، ولعله يرى النور قريبا . وفضلا عن ذلك يبدو أن ابن القطان تمكن - بحكم صلته بالخليفة المرتضى وعمله في ديوان رسائله - من الاطلاع على بعض الوثائق الرسمية للدولة، إذ نجده ينقل مثلا رسالة كتبها ابن تومرت المهدي بخط يده إلى القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي في سنة 511 (2) ، ورسالة أبي عبد الرحمن بن طاهر المرسي « الكافية في براهين الامام المهدي » إلى عبد المؤمن بن علي (3) ، ورسالة طويلة عن عبد المؤمن إلى الموحدين من إنشاء أبي جعفر ابن عطية سنة 543 (4) ، وفقرات من رسالة ليوسف بن عبد المؤمن إلى أهل من تونس عام فتحه لقفصة سنة 575 (5) . وكل هذا يدلنا على ان المادة التاريخية التي تهيأت لابن القطان كانت وفيرة غزيرة ربما لم يتهيأ مثلها بعد ذلك إلا لابن عذارى المراكشي .

---

1) البيان (القسم المرابطي) ص 76 من مقال أويثي المشار إليه.

2) نظم الجمان ص 35 - 36.

3) نظم الجمان ص 50 - 73.

4) نظم الجمان ص 150 - 167.

5) نظم الجمان ص 67.

والكتاب في جملته مذهبي الطابع يكتبه رجل من رجالات الدولة الموحدية متعصب لها أشد التعصب ، فهو يشيد بآلائها ويهاجم خصومها في عنف بالغ ، ويحاول ستر عيوبها وتبرير أعمالها، وهو يصل في ذلك إلى حد الملق الرخيص ومجافاة الحقائق في كثير من الامور ، ولهذا فإن جانباً كبيراً منه يدخل في باب الجدل السياسي والديني : نرى ذلك في مهاجمته المرابطين بأحد لسان وأشد عارضة وفي غمطه لما قدموه للاسلام في المغرب والاندلس من أياد بيضاء ، وفي دفعه لما اتهم المرابطون به محمد بن تومرت المهدي ودعوته (1) ، وفي الحملة الشعواء التي شنها عليهم حتى إنه جعلهم « مجسمين » و « كفارا » و « منافقين » يجب على المسلمين قتالهم وثقافهم (2) ، وفي الكلام عن فضائل المهدي (3) والتدليل على صحة نسبه العلوي مع أنه يورد في سلسلة نسبه آراء مختلفة متعارضة (4) ، وفي الحديث عما زعم أنه « عصمته » (5) وعن « كرامات » عبد المؤمن بن علي ، وهو في ذلك يسوق أخباراً وتنبؤات بينة الوضع والاختلاق أو أحاديث نبوية تأولها على صورة ساذجة أبعد ما تكون عن المنطق السليم (6) .

وهو لا يكتفي بمهاجمة دولة المرابطين التي انقضت واندثرت قبل أن يؤلف كتابه بأكثر من قرن ، بل إنه لا يدع فرصة لمهاجمة الخلافة الفاطمية في مصر إلا اغتنمها فوصم خلفاءها بالكفر والفسوق ، ثم يقارن بينهم وبين الموحدين ، فيقول:

« فانظر إلى هذه المحاولات الشنيعة ، والامور الفظيعة ... (ثم يذكر بعض ما وقع في مصر من الفتن والقبائح) يبن لك من ذلك ما كان في الارض من ظلمات المظالم، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها ، وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضي الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى واتساق كلمة الامر المطاع العالي، المخصوص بالمكارم والمعالي، فتحقق بذلك صدق البشارة النبوية الكريمة ، بهذه الخلافة المهدية القويمة ، القائمة

---

1) نظم الجمان ص 11 ـ 12.
2) نظم الجمان ص 42 ـ 49 .
3) نظم الجمان ص 26 ـ 27.
4) نظم الجمان ص 34.
5) نظم الجمان ص 38 ـ 42.
6) نظم الجمان ص 141 ـ 147.

بأمر الله تعالى وإحياء كلمته . وإعلاء الحق وهداية أمته ... والله سبحانه يعلى مناره ، ويديم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضياءه وأنواره ، إلى يوم الدين » . (1)

ونحن نرى من هذه الفقرة ، وغيرها كثير في الكتاب ، أن هذا المؤلف يبدو كما لو كان في عزلة عما كان يدور في أيامه من أحداث، فالخلافة «المؤمنية المرتضية» التي دعا الله أن يديمها إلى يوم الدين كانت تلفظ في هذا الوقت آخر انفاسها ، وكانت عاجزة عن حكم رقعة بلادها بعد أن خرج عنها سلطان الاندلس كله بين النصارى الذين استولوا على معظم هذه البلاد والثوار الاندلسيين الذين بلغ استخفافهم بالدولة إلى أقصى غاية، أما المغرب فقد كان بنو مرين فيه قد محوا سلطة الموحدين أو كادوا ، هذا فضلا عن الفتن والمذابح التي راح ضحيتها معظم أفراد الاسرة المؤمنية بما فيهم المرتضى نفسه بعد ذلك . ومع هذا فإن ابن القطان كان لا يزال يحدث نفسه بإدامة الخلافة المؤمنية ومد سلطانها على بلاد المشرق فضلا عن المغرب .

والحق أن العالم الاسلامي في هذا العصر كان قد بلغت أحواله من السوء والفساد إلى حيث لا مزيد سواء في ذلك مشرقه ومغربه ، وما ذكره ابن القطان عن « المحاولات الشنيعة والامور الفظيعة » في مصر على عهد الفاطميين حق لا ريب فيه، ولكن أين كان المؤلف المسكين من أحوال المغرب ؟ وهل كانت « المحاولات والامور » فيه أقل من ذلك « شناعة وفظاعة » ؟ إن الذي يقرأ صفحات « البيان المغرب » حول ما كان يدور في أيام المؤلف لا يرى فيه إلا صورة دامية رهيبة تقبض النفس وتورث الدوار . . صورة فيها كل ما ذكره ابن القطان من « ظلمات المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها ، وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها » ، ومع هذا فابن القطان الذي لقى أبوه في غمار هذه الفتن من المحنة ما لقي - ولعله هو أيضا ذهب ضحية لها بعد ذلك - لا يرى بأسا في أن يتمدح بتلك البقية الضئيلة الباقية من سلطان الموحدين ويشيد بما زعم أنهم كانوا عليه حينئذ من « إعلاء الحق » و « هداية الامة » .

وكل ما هناك هو أن هذا المؤلف - شأنه في ذلك كشأن كثير من المؤرخين العرب في المشرق والمغرب في العصور الوسطى - رجل مأجور مرتزق ... مؤرخ «بلاطي» كما ذكرنا ، يكتب متزلفا متملقا لارضاء سادته حتى على حساب الحق والتاريخ ، وإلا

1) نظم الجمان ص 189.

فهل يتصور أحد أن يتحدث مؤرخ مسلم عن هزيمة أوقعها النصارى بالمرابطين في الاندلس وذهب فيها اثنا عشر ألفا من المسلمين بين قتيل وأسير ، فلا يعلق عليها إلا بقوله : « وكل هذا مما مهد الله تعالى به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى » (1) ؟ وهل يبلغ به بغض الملثمين إلى مثل هذه الشماتة الصريحة والتشفي المسعور في كارثة أصابت المسلمين أولا وأخيراً ؟

وإن قوله لحق : فالمرابطون الذين جاهدوا في سبيل الاسلام وبذلوا في ذلك الكثير من دمائهم وأموالهم حتى مدوا في عمر الاسلام ما كان يوشك أن ينقطع لم يلبثوا وهم في غمار هذه المعركة الحامية أن رأوا محمد بن تومرت ناجما عليهم في جبال السوس شاقا عصا المسلمين وصادعاً لكلمتهم ... فاضطروا إلى القتال في جبهتين: النصارى من خارج ، والموحدين من داخل ، وكانت هزائمهم في الاندلس ممهدة فعلا لامر الموحدين بالمغرب كما قال ابن القطان ... ولكن على حساب من ؟ ولحساب من ؟

* * *

وعلى الرغم من ذلك فإن « نظم الجمان » نص على أكبر جانب من القيمة والخطر ، لا سيما وأنه يجلي لنا الكثير من النواحي التي لم تزل بعد غامضة من تاريخ المغرب والاندلس خلال الثلث الاول من القرن السادس ، وهي فترة الصراع بين المرابطين والموحدين ، وفيه تفاصيل كثيرة ينفرد بها حتى عن ابن عذارى المراكشي الذي يعتبر كتابه « البيان المغرب » أجمع ما وصلنا عن تاريخ المغرب والاندلس . صحيح أنه مؤرخ متحيز حزبي النظرة ، إذ هو لا يريد أن يعترف للمرابطين بأي فضل ، غير أن حقائق التاريخ تخونه فيضطر للتسليم بها في سذاجة وبغير وعي. ولنضرب لهذا مثلا بأننا نجد في « نظم الجمان » أو في تفصيل ووصف حتى الآن لموقعتين كانتا من أجل أعمال المرابطين في الاندلس وهما « أقليش » (سنة 501) و « إفراغه » (528) (2) إذ أوقفا في الاولى تيار الغزو المسيحي المنطلق من مملكة قشتالة ، وفي الثانية التيار الآخر المتحدر من مملكة أرغون .

وفي الكتاب تفصيل مسهب لكثير من أحداث الاندلس والمغرب رتبها على السنين، فضلا عن كونه احتفظ لنا بنصوص قيمة أصيلة عن الدعوة الموحدية ، وجملة

---

1) نظم الجمان ، ص 111.

2) نظم الجمان ، ص 5 ـ 10 ، 218 223.

من الرسائل الرسمية الصادرة عن سلاطين الدولة ، إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لتفصيله .

بل إننا نجد بين دفتي هذا الكتاب ذكراً مطولا لاشياء عن تاريخ مصر على عهد الفاطميين لا نكاد نجدها حتى في كتب المؤرخين المصريين أنفسهم من أمثال المقريزي وابن تغرى بردي. ولنضرب مثلا على ذلك نصه الطويل عن مقتل الخليفة الآمر سنة 524 (1) ، فهو صورة واقعية بالغة الدقة والتفصيل لحادث من أغرب حوادث الاغتيال السياسي في التاريخ الاسلامي .

أما أخباره عن أحداث بقية بلاد الشرق الاسلامي فهي لا تتجاوز الاسماء والتواريخ، وهو لا يلتزم فيها الدقة وإن كان يعتذر عن ذلك بأنه لم يصله منها ما يشفي الغلة، فخفي عليه أمرها، وهي على أية حال لا تضيف شيئا كثيراً إلى ما نعرف منها .

المخطوط

القطعة التي وقعت إلينا من « نظم الجمان » والتي نشرنا على أساسها هذا الجزء هي التي ذكرنا أنها كانت لدى ليفي بروفنسال ثم آلت إلى معهد الدراسات الاسلامية في مدريد في جملة المخطوطات التي اشتراها من تركة المستشرق الفرنسي الراحل. وهي تشتمل على اثنتين وثمانين ورقة. وتبلغ مقاييس الورقة منه 295 × 215 ملليمترا، ومسطرة الصفحة تتراوح بين 19 و 24 سطراً، ومتوسط الكلمات في السطر يبلغ نحو 9 كلمات .

والخط مغربي على قدر من الجمال وهو بالمداد الاسود ما عدا الضبط والعناوين، فقد عمل الناسخ على إبرازها بمداد من لونين أحمر وأخضر.

والاوراق في حالة جيدة بصفة عامة ، ولو أن بعضها أصابه بلل وتمزق، فبهتت منها الكتابة وساح المداد.

ونذكر فيما يلي نص ما جاء على غلاف المخطوط :

« السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تأليف الشيخ الامام العالم أبي النجوم الباجي رحمه الله تعالى ورضي عنه » .

ثم يلي هذا العنوان سطور أخرى جرى عليها قلم من وقعت إليه المخطوطة حتى

---

1) نظم الجمان ، ص 202 ـ 204.

يعفي على ما جاء فيها. أما نسبة الكتاب إلى « المذكور فهو أبي النجوم الباجي » خطأ لا أدري من أين أتى به الناسخ، وسنرى مثله في خاتمة الكتاب.

وعلى حواشي الغلاف تعليقات أخرى نورد نصها فيما يلي :

1 ـ خاتم نقش فيه اسم « عبد القادر القادري ـ مراكش » وهو يبدو لمتجر من متاجر الكتب.

2 ـ « تملك هذا المجلد محمد عبد الحي الكتاني شراء من مراكش بأربعين ريالا، وذلك في سنة 1343 (1924 م.) ».

3 ـ «الحمد لله ، نقل الشيخ الرهوني في حواشي شرح المختصر في ص 364 جـ 7 لدى أول باب الشهادات عن ابن القطان في كتابه المسمى نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان قصة ورود المهدي بن تومرت على الغزالي ، وهو في هذا الكتاب، فلعله هو هذا » .

4 ـ « قطعة من نظم الجمان لابن القطان مطبوعة بليدن سنة 1849، انظر فهرس المكتبة الخديوية ص 64 ج 5 ».

5 ـ « في مكتبة المدرسة . . . بالرباط أوراق من هذا المجلد ، وقد بلغني أنها طبعت الآن في باريز » .

وهذه الملاحظات والتعليقات مما كتبه العالم المغربي الكبير الشيخ عبد الحي الكتاني الذي تملك الكتاب ثم أعاره أو أهداه الى ليفي بروفنسال .

أما إشارة الشيخ الكتاني الثانية التي يصلح فيها اسم مؤلف الكتاب الذي نسبه الناسخ الى « أبي النجوم الباجي » فهي صحيحة ، وقد اعتمد فيها المعلق على النص الذي يذكره للرهوني في شرح المختصر . والرهوني هو الفقيه المغربي المشهور أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الرهوني الوزاني المتوفى سنة 1230 هـ. (5: 18) (1) ، وكتابه المشار اليه هو « أوضح المسالك: حاشية على شرح الزرقاني على مختصر خليل (بن اسحاق)» ، ومنه نسخ مخطوطة عددها بروكلمان في الرباط ومكتبة الزيتونة في تونس ، (2) وقد طبع مرارا ، على أني لم أتمكن من مراجعة هذا النص الوارد عن ابن القطان في كتاب الرهوني على ما يذكر الشيخ الكتاني .

---

1) انظر الاستاذ محمد بن تاويت : محاضرات في تاريخ التشريع الاسلامي ، تطوان ، سنة 1961 ، ص 114 .

2) بروكلمان : تاريخ الاداب العربية ، الملحق 3 / 98 ، 874 .

وأما ما نقله العالم المغربي عن فهرس المكتبة الخديوية (5 / 64) فى معرض الكلام عن نسخة البيان المغرب التى طبعها رينهارت دوزي فى لندن سنة 1848-1849 فإن نقله صحيح ، اذ جاء فى الجزء والصفحة المذكورين من فهرس الكتب العربية الموجودة فى دار الكتب المصرية أنه « اختلط بالجزء الاول منه (أي من البيان المغرب) قطع انتخبها المصحح من كتاب نظم الجمان لابن القطان » ، وقد نقل هذه العبارة أيضا الاستاذ عبد السلام بن سودة فى الفصل الذي أفرده للبيان المغرب (1) ، غير أن الخطأ هنا - وعهدته لا تقع على الشيخ الكتانى وانما على مفهرس دار الكتب المصرية الذي كتب تلك الملاحظة - هو أن مصحح كتاب « البيان المغرب » أو ناشره لم ينتخب قطعا من نظم الجمان، وانما هى تلك النقول التى اعتمد ابن عذارى فيها على ابن القطان واقتطفها من تاريخه كما فعل غيره من المؤرخين ، ولم يكن من عمل لدوزي فى ذلك الا نشر الكتاب كما وقع اليه ، ولم ينتخب الرجل من « نظم الجمان» قليلا ولا كثيراً

ونعود الى مخطوطة « نظم الجمان » فنذكر أن آخر أوراقه تنتهى بالعبارة الآتية كتبها ناسخ النص نفسه :

« تم السفر الثالث عشر من كتاب محاسن المجالس (كذا) والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

وان عجبنا لا ينقضى من أمر ناسخ هذا الكتاب ، فهو فى أوله ينسبه الى من يسميه « العالم أبا النجوم الباجى » فإذا فرغ من كتابته اذا به ينسى عنوان « نظم الجمان » الذي أثبته على غلافه بخط كبير ، ثم يأتى بعنوان آخر للكتاب لا ندري من أين أتى به .

وهذا في الحقيقة ليس إلا مظهراً من مظاهر جهل هذا الناسخ وقلة معرفته بما يكتب ، وهو يفسر لنا ما ملأ به الكتاب من أخطاء جسيمة وغلط فى ضبط الالفاظ وتحريف فى أسماء الاعلام، هذا على الرغم من فخامة الورق وأناقة الكتابة وجمال التجليد وكثرة الالوان، مما يدل على ان النسخة كانت مما يكتب للامراء أو السراة الوجهاء . وفضلا عن ذلك كله فإن الكتاب وقع فيه اضطراب كثير وخروم متعددة قد تكون راجعة إلى ضياع أوراق من المخطوطة، لا سيما وأن ترقيم الاوراق متأخر عن وقت نسخ

1) دليل مؤرخ المغرب لاقصى ، ص 159 .

المخطوط ، فهو مكتوب بالقلم الرصاص ، ومعنى هذا أنه ليس هناك في الواقع ترقيم حقيقي يطمأن اليه ، ثم ان السياق حتى في الاوراق المنتظمة لا يستقيم دائما ، بل نجد فيها تقديما وتأخيراً في السنوات التي يسرد المؤلف حوادثها ، وربما دل هذا على أن الناسخ انما وقع اليه أصل مضطرب ناقص ، فنقل عنه دون أن يميز السياق في أوراقه .

* * *

وقد سبق أن ذكرنا أن أول من استفاد من هذه المخطوطة هو ليفي بروفنسال الذي نشر منها ست قطع في مقاله « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول لظهور الدولة الموحدية » وفيما يلي بيان بتلك القطع التي نشرها ليفي بروفنسال وما يقابلها من هذه الطبعة لنظم الجمان :

القطعة الاولى تقابل ص 23 ـ 33 من هذا النص

القطعة الثانية تقابل ص 33 ـ 42 منه

القطعة الثالثة تقابل ص 91 ـ 94 منه

القطعة الرابعة تقابل ص 114 ، 88 ـ 89 منه

القطعة الخامسة تقابل ص 90 ، 114 ـ 119 منه

القطعة السادسة تقابل ص 128 ـ 132 منه

ولم ينتفع بعد ذلك من هذا المخطوط إلا الاستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا الذي كان ليفي بروفنسال قد أهداه مصورة فوتوغرافية له ، فاستفاد منه في تعليقاته على ما قام بترجمته من التواريخ المرابطية والموحدية مثل الحلل الموشية والبيان المغرب والمعجب، ثم في كتابيه « التاريخ السياسي للدولة الموحدية » (تطوان 1956 ـ 1957) و « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحي لاسبانيا » (مدريد 1956) إذ انتفع من نص « نظم الجمان » في إجلاء كثير من المسائل الغامضة حول موقعة أقليش ، وأخيراً اقتطف منه بيانات أخرى في الكتاب الذي أصدره مؤخراً بعنوان « البيان المغرب لابن عذارى ، قطع جديدة حول المرابطين والموحدين » (بلنسية سنة 1968) هذا إلى عدد من الابحاث والمقالات المختلفة حول موضوعات مرابطية وموحدية .

منهجنـا في العمـل :

وقد قمت أولا بترتيب الاوراق على حسب الترتيب الزمنـي للسنين ، واضطـرني ذلك الى تعديل نظام الاوراق، ولكن ذلك لم يمس الا الورقات الاولى التي يبدو فيها الاضطراب واضحا مما قد يوقع القاريء في عناء كبير اذا حاول تتبع الحوادث، ويستقيم السياق بعد ذلك الى حد ما باستثناء ما يعترض النسخة المخطوطـة من فجوات وخروم .

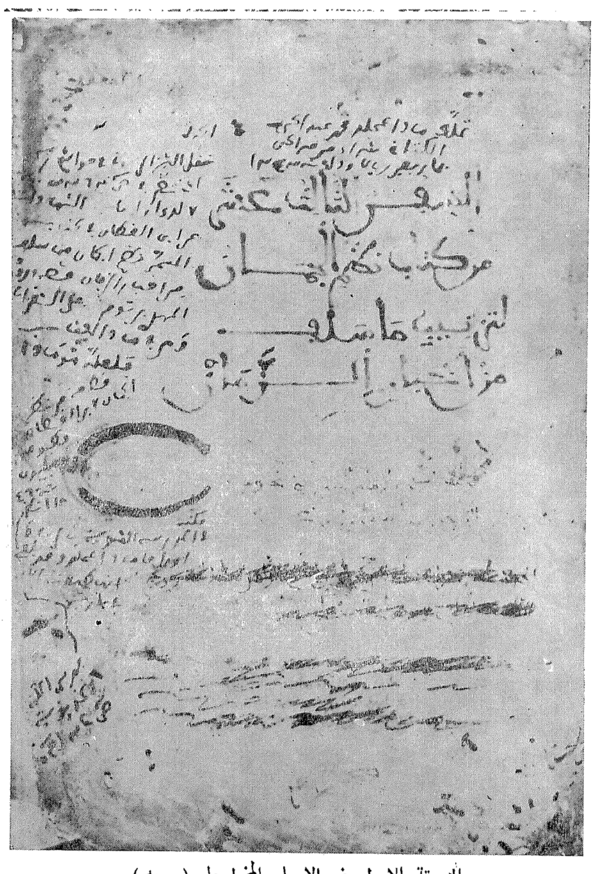
أما النص فقد عنيت بإخراجه سليما صحيحا بقدر ما وسعت معرفتي، لا سيما وأن الاخطاء فيه كثيرة ، وهي أخطاء من كل نوع: املائية ونحوية ولغوية ، وتحريف لاسماء الاعلام والمواضع الى غير ذلك مما اعـترف بأنه قـد جشمنى كثيرا من المشـقـة في تصويبه واصلاحه.

وقد دعانى ذلك الى تتبع ألفاظ النص كلها ومراجعتها على مـا يمكـن ان يعيـن على تقويمها من المصادر الاخرى ، ولم يرد فى الكتاب اسـم عـلم الا وعملـت على الترجمة له ، ولا ذكر حدث من الاحداث الا وقابلته على المظان التى يمكن ان يشار فيها اليه ، واجتهدت في ذلك بقدر ما استطعت .

وأنا أشكر من أعانونى في هذا العمل ، وأخص بالذكر الاستاذ محمد بن تاويت مـدير معهد مولاي الحسن بتطوان.

وأرجو أخيرا أن أكون بهذا العمل المتواضع قد ساهمت بنصيب في خدمة التاريـخ المغربى والاندلسى ، وبالله الاستعانة ومنه التوفيق.

محمود علي مكي



الورقة الاولى في الاصل المخطوط (وجه)



الورقة الاولى (ظهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

الجزء السادس من الكتاب
في ذكر ما انتهى الينا من أخبار
القرن السادس
وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة
مما يتشوف اليه

المطبعة المهدية تطوان (المغرب)

مقدمة لذلك:

أخبار بني العباس في المشرق
والمتغلبين عليهم بالشام والعراق ومصر والحرمين

لم ينته منها إلى المغرب الاقصى شيء يدون ولا أهم الناس من أمر رواية الآثار ما كان يهم الاولين حتى يأخذوها من صدور الرجال وألسنة الرواة، ويودعوها بطون المهارق، فخفي أمرها إلا ما سنورده إن شاء الله تعالى من أسمائهم ومدد بعضهم، فقد انتهى إلينا بعد شدة البحث والتفتيش، فنحن نكتبه إن شاء الله تعالى. وإلا يسيرا من اخبار مصر وإفريقية سنورده حيث يجب ان شاء الله تعالى

بـــاب

(2 أ) أخبار * السنة الاولى من المائة السادسة

رحلة المهدي ابن تومرت إلى المشرق

من ذلك رحلة الإمام المعصوم المهدي المعلوم ـ رضي الله تعالى عنه ـ في طلب العلم إلى المشرق والاندلس (1)

1) يتفق سائر مؤرخي الدولة الموحدية على أن رحلة محمد بن تومرت المهدي كانت في رأس المائة الخامسة ، ولو أن بعضهم يجعلها في سنة 500 وبعضهم يقول إنها كانت في شهور سنة 501 (انظر ابن عذاري : البيان المغرب 1 / 303 ؛ والحلل الموشية ص 85 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 178 ؛ وابن خلدون : العبر 6 / 226 ؛ والسلاوي : الاستقصا 2 / 71 .)

قال الشيخ أبو يحيى زكريا بن يحيى بن وسنار [1] من أهل الخمسين [2] - أعزهم الله تعالى - إن الامام المهدي رضي الله تعالى عنه - جاز البحر إلى الاندلس طالبا للعلم، ووصل قرطبة. ثم مشى من قرطبة إلى المرية، فدخل منها في موكب إلى المشرق، وغاب في رحلته في طلب العلم خمسة عشر عاما.

فابتداء رحلته - رضي الله تعالى عنه - المذكورة على هذا كانت في السنة الاولى من المائة السادسة أو [3] في التي قبلها، لان وصول* الامام (2 أ) المهدي - رضي الله تعالى عنه - من رحلته إلى بلاده - رضي الله تعالى عنه - كان سنة أربع عشرة [4] كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

---

1) في الاصل : يحيى بن سنان والصواب ما أثبتنا، والمعنى بقوله « من أهل الخمسين » هو يحيى بن وسنار والد أبي يحيى زكريا المذكور وسيتحدث عنه ابن القطان فيما بعد، كذلك أشار إليه صاحب كتاب « الانساب في معرفة الاصحاب » (كتاب أخبار المهدي ابن تومرت ص 35) وقال إنه كان من صنهاجة، وربما كان يحيى هذا ابناً لابي محمد وسنار او واسنار الذي فصل الكلام عنه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 338 - 339) فقال ان البعض كانوا يعدونه من أهل الجماعة وانه كان رجلا دباغاً أسود من أهل مدينة أغمات صحب ابن تومرت حين مر بها فاختصه بخدمته لما رأى من شدته في دينه وكتمانه لما يرى ويسمع، فكان يتولى وضوءه وسواكه والاذن عليه للناس وصحابته والخروج بن يديه فلما مات ابن تومرت صار يخدم ضريحه وضريح عبد المؤمن حين دفن هناك وتوفي في صدر دولة ابن يعقوب يوسف بن عبد المؤمن. وفي « مجموع الرسائل الموحدية » الذي نشره ليفي برفنسال رسالة موجهة من عبد المؤمن بن علي الى الشيخ أبي محمد وسنار هذا (انظر ص 26 - 34).

2) « أهل الخمسين » احدى طبقات الموحدين على ما سيأتي تفصيله .

3) في الاصل : وفي

4) في الاصل : عشر

وقد ذكر أبو القاسم المؤمن [1] في كتابه فى «فضائل المهدي» رضي الله تعالى عنه :

كان عام واحد وخمسمائة ، عاهده فيها أهل التحقيق من العارفين به ـ رضي الله تعالى عنه ـ وبايعوه بيعة سر، وإن هذا عن حديث أثر فيه ووعد نبوي كريم به، والله تعالى أعلم .

(أخبار الاندلس ـ وقعة أقليش)

وفيها الجهاد في سبيل الله تعالى الذي كانت فيه وقعة أقليش [2] بالاندلس وافتتاحها .

1) لسنا نعرف شيئا عن « أبي القاسم المؤمن» المذكور مؤلف كتاب «فضائل المهدي » الا ما ذكره صاحب كتاب « الانساب فى معرفة الاصحاب» (كتاب أخبار المهدي بن تومرت ص 30 ـ 31) حيث ينقل المؤلف عن أبي القاسم المؤمن هذا نصاً يورد فيه أصحاب المهدي بن تومرت في بلاد مصر ، ويضيف المؤلف الى اسمه لقب « المصري » مما يحدد لنا بلد ذلك الكاتب ، على أن ليفي بروفنسال في تعليقه على الترجمة الفرنسية للكتاب (ص 46 ـ 47) شك في صحة الاسماء التي ذكرها أبو القاسم المؤمن ورجح أنها مختلقة .

2) عن حصن أقليش أو أقليج Ucles الذي دارت لديه هذه المعركة بين المرابطين والنصارى وهي الموقعة التي انتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة وبمصرع ابنه الامير شانجه ـ انظر كتاب الاستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا ـ عن « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحية » ص 103 ـ 134 حيث يختص موقعة أقليش ببحث مفصل ، وقد ترجم ذلك البحث إلى العربية ونشر تحت عنوان « وقعة أقليش ومصرع الامير شانجه » في مجلة تطوان سنة 1957، العدد الثاني ص 115 ـ 130 . وقد اعتمد أويثي في ذلك المقال على ثلاثة نصوص عربية جديدة أولها نص ابن القطان هنا ؛ وثانيها الرسالة التي وجهها تميم بن يوسف بن تاشفين إلى أخيه أمير المسلمين عن هذا الفتح ، وقد نشر نص هذه الرسالة من قبل الدكتور حسين مؤنس في بحثه عن « الثغر الاعلى الاندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق جديدة » (مجلة كلية الاداب بالقاهرة ـ المجلد الحادي عشر ـ الجزء الثاني ديسمبر سنة 1949 ص 91 ـ 143) والثالث نص مخطوط من كتاب « البيان المغرب » (مخطوط تامجروت) . وانظر كذلك كتاب بوسك بيلا عن « المرابطين ص 180 وما بعدها وما أورده من مراجع .

وهي من غر الوقائع وجليلها، وشرح شأنها أن ابـن أبي رنغى (1) صاحب قرطبة في ذلك التاريخ وجماعة الرؤساء * بالاندلس خاطب بعضهم بعضا في النهوض إلى أقليش، وكان ألبار هانش (2) (3) للنصارى بجهة برتقال، وقتله لهم وعيثه في بلاد الشرك بتلك الجهة (4)

(3 أ)

* ... عساكر المسلمين إلى أقليش، فاقتحموها عليهم، ولجأ من كان أسفلها من النصارى إلى القصبة العليا، ونزلت جميع العساكر عليها وأحاطوا بها، فأرسل أذفونش ابنه (5) بنحو عشرة آلاف فارس لاغاثة أقليش ومدافعة المسلمين، فأتوا والتقوا مع المسلمين، وتصافت عند ذلك العساكر، وكان

(7 أ)

---

1) ورد هذا الاسم في البيان المغرب (مخطوط تاجروت) : « ابن أبي رنق (ورقة 2 ب) وكان على ما يذكر ابن عذاري رابع عامل للمرابطين على قرطبة (انظر مقال أويثي ميراندا « علي بن يوسف وأعماله بالاندلس » - مجلة تامودا - تطوان سنة 1959 - ص 110) .

2) هو القائد القشتالي المسيحي Alvar Fáñez ابن أخي السيد القنبيطور، وكان من كبار قواد ألفونسو السادس . انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس 2 / 86 - 87 وراجع ما كتبه عنه العلامة الاسباني منندث بيدال: إسپانيا فى عصر السيد (الفهرس العام) .

3) بياض في الاصل

4) ينهي ابن القطان هنا الحديث عن موقعة أقليش ليتحدث عن بقية أخبار سنة 501 ، إلا أننا لا نلبث أن نراه يعود إلى الكلام بتفصيل أكثر عن أقليش فى أول الورقة السابقة مما حملنا على إلحاق ذلك بهذا الموضع حرصا على التسلسل التاريخي

5) يعني شانجه Sancho الذي كان يبلغ في ذلك الوقت نحو خمس عشرة سنة . ويذكر ابن أبي زرع أن ألفونسو السادس حينما علم أن تميم بن يوسف بن تاشفين أخا أمير المسلمين علي بن يوسف هو قائد الجيوش المسلمة « أشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضا عنه فيكون مواجها لتميم ، لان تميم ابن ملك المسلمين وشانجه ابن ملك الروم ، فسمع منها» (رض القرطاس 2 / 71).

مع ابن أذفونش ألبار هانش وغرسيا ردونس [1]، وهو المدعو بالفم المعوج وغيرهما من صناديد الكفرة. فتوقفوا.

وذكروا أن النصارى سألوا عن عسكر قرطبة، فأخبروا به. فهجموا على عسكر قرطبة، وحملوا عليهم حملة [2] منكرة، فانهزم عسكر قرطبة، ومشت الهزيمة عليهم اميالا. [3]

---

1) هما القائدان القومس (الكونت) Alvar Fañez والكونت Garcia Ordoñez وكان يرافقهما عدد آخر من كبار قوامس قشتالة مما جعل معركة أقليش تعرف فى كتب التاريخ المسيحية باسم « معركة القوامس السبعة » (انظر مننـدث بيـدال : إسبانيا فى عصر السيد 2 / 760 ـ 764 : ومقال أويثي عن « وقعة أقليش »: وبوسك بيلا : المرابطون ص 182) . وقد وردت الاشارة الى ألبارهانش كذلك فى الرسالة التي كتبها ابن شرف عن أحد رؤساء الغرب إلى أمير المسلمين بمناسبة هذا الفتح ، وهي الرسالة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس فى مقاله « الثغر الاعلى الاندلسي . . . الخ » (ص 127 والحاشية رقم 2 حيث يوجد تعريف كاف بشخصية هذا القائد ، ويؤخذ منه أنه كان ابن أخ للمغامر القشتالي « السيد القنبيطور » الذي استولى على بلنسية ، وولى ألبارهانش القيادة لالفونسو السادس فاتح طليطلة ثم أقامه هذا حاكما للمدينة فقام بالدفاع عنها حين حاصرها المرابطون بعد انتصارهم فى أقليش ، وكانت وفاته فى سنة 1114 م . (507 هـ .) على يد أهل شقوبية Segovia فى المعارك الدائرة بين ألفونسو المحارب صاحب أرغون Aragón وأراكة Urraca صاحبة ليون وقشتالة . أما غرسيا أوردونس (غرسيا ردونس) فقد ورد ذكره ايضا فى رسالة ابن شرف التي اشرنا اليها (انظر مقال « الثغر الاندلسى...» ص 130 والحاشية رقم 2 حيث ذكر ناشر الرسالة الدكتور حسين مؤنس أنه كان قائدا قشتاليا من فرسان سانجه (الثاني) ملك ليون ثم أصبح من أتباع ألفنش (السادس) ملك قشتالة ، وكان من المدافعين عن حصن لييط Aledo حينما قام المرابطون بحصاره ، ولقى مصرعه فى وقعة أقليش هذه .

2) فى الاصل : جملة .

3) ما يذكره ابن القطان هنا من هزيمة عسكر قرطبة أولا ثابت يؤكده كذلك ابن شرف فى رسالته التى أشرنا إليها ، وهذا العسكر كان يقوده والى قرطبة ابن أبى رنغي كما يقول ابن القطان (ويسميه ابن شرف : أبا عبد الله محمد بن أبى زنغي) وكان هذا العسكر أول من تلقى صدمة الجيوش المسيحية (انظر الدكتور حسين مؤنس : الثغر الاعلى . . . ص 129) .

ثم إن ابـن عائشـة [1] وابن فاطمـة [2] ، وهمـا صاحبا [3] مرسيـة وبلنسية هاجما محلة النصارى ، فانتهباها وقتلا مـن وجدا فيها ، ثم ركبا أقفاء النصارى بالقتل وهـم يتبعون المسلميـن ، ثم التأم بهم تميم * بـن (7 ب)

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أخو أمير المسلمين علي، ويعرف بابن عائشة ، وكان من أعظم قواد المرابطين ، واضطلع بإقـرار أحوال شرق الاندلس بعد أن عاث السيد القنبيطور فيها فسادا ، وولى عمل مرسية منذ أواخر القرن الخامس والسنوات الاولى من القرن السادس ، ويشير ابن القطان هنا الى اشتراكه في موقعة أقليش سنة 501 ، وفي سنة 504 يسرع من مرسية لنجدة محمد بن الحاج عامل سرقسطة حينما ألح عليها ألفونسو المحارب ملك أرغون بالحصار ، ويضطره للانسحاب ، وفي سنة 508 يشترك مع ابن الحاج في غـزو برشلونة وهي تلك الحملـة التى انتهت بهزيمـة البورت ، وخلص منهـا ابن عائشة إلا أن بصره اعتل بعدهـا ثم لـم يلبث أن عمى ، فاستدعاه أخوه أمير المسلمين إليه، وعين بدلا منه على مرسية أخاه إبرهيم بن يوسف (انظر مقال فرانسيسكو كوديرا عن « أسرة بنى تاشفين » في كتاب « دراسات نقدية عن تاريخ الاندلس » ، المجلد السابع ص 105 ـ 109 ؛ وأويثى : علي بن يوسف . . . ص 87 ـ 94 ـ 114) .

2) أبو محمد عبد الله بن فاطمة من أعظم قواد المرابطيـن وأشهر رجـالاتهـم في الاندلس، اشترك في الحملة التي استنقذ المرابطون فيها بلنسية بعد وفاة السيد القنبيطور إذ أنه قاد جيشا أمد به القائـد مزدلي بن سلـنـكان في سنة 495 ، وفي سنـة 497 اشترك مع ابن الحاج في غزو طليطلة وطلبيرة ، ثـم ولى بلنسية وشرق الاندلس بعد ذلك واستولى في نفس السنة على مملكة بني رزين الصغيرة، وفي سنة 501 اشترك في فتح أقليش كما نرى من النص هنا ، وفي سنة 503 عزل عن بلنسية وولى على غرناطة ، ثم انتقل بعد ذلك الى فاس بالمغرب عاملا عليها في سنة 504 ، وفي سنة 509 عاد الى الاندلس عاملا على إشبيلية يحكمها حتى توفي في رمضان سنـة 511 (انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديد عن عصر المرابطين » صحيفة معهـد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1959 ـ 1960 ص 152 ـ 155) .

3) في الاصل : صاحب .

يوسف [1] صاحبُ غرناطة بعسكره، وكرت [2] لمنهزمة، ورجعوا على المشركين. والتحمت الحرب بينهم، فانهزم المشركون وقتلوا قتلا ذريعا، واتبعهم المسلمون إلى قرب حصن بلشون [3] فيذكر أن ابن أذفونش أفلت في ثمانية من النصارى ورجع إلى حصن بلشون، وكان فيه لهم رعية من المسلمين، فاختبأوا عندهم رجاء أن يسلموا من القتل. فقتلوهم وقتل منهم ولد أذفونش.

ثم إن المسلمين رجعوا إلى قصبة أقليش [4] وقتالها، وتصعب عليهم أمرها فأقلعت العساكر عليها وكمنت على بعد. فخرج من فيها هاربين. فقبض عليهم، فقتل من قتل، وأسر الباقون، ودخلت أقليش وحصلت بأيدي المسلمين. واستشهد في هذه الوقيعة الامام الجزولي [5]، وكان

---

1) تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الامير علي بن يوسف، وقد ولي حكم غرناطة بين سنتي 500 و 503 ثم نقل الى حكم تلمسان بالمغرب، وعاد بعد ذلك الى الاندلس فتولى غرناطة مرة أخرى فيما بين سنتي 515 و 516 . وبعدها نقل الى إشبيلية فحكمها سنة وبضعة شهور، ثم أصبح عاملا على قرطبة وغرناطة في سنة 519 في الوقت الذي قام فيه ألفونسو الاول بحملته ضد الاندلس، ويبدو أن أخاه عليا عزله عن غرناطة لقلة بلائه في هذه الحملة، وفي تاريخ وفاته خلاف، والارجح أنه توفى سنة 520 (انظر مقال أويثي : علي بن يوسف . . . ص 100 ـ 112) .

2) في الاصل : وكرة .

3) في الاصل : يلسون، والصواب ما أثبتنا، وهو بالاسبانية Belinchón

4) في الاصل : أقليش .

5) لم نهتد إلى شخصية الجزولي هذا، وربما كان أحد أسلاف العالم المغربي الكبير أبي موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت الجزولي نسبة إلى جزولة إحدى قبائل البربر وكانت تقطن في جنوب المغرب الاقصى وتوفي أبو موسى الجزولي فيما بين بين سنتي 606 و 610 (انظر دائرة المعارف الاسلامية 1 / 1061 ـ 1062 والمراجع المذكورة) .

رجل صدق. وجماعة من الاعيـان والعربان [1] رحمهم الله تعالى، ليقـروا بعض الحق في قلوب الناس. وأدلت [2] بهذه الابواب لتكون تنفيرا [3] لهم عن سماعه، فضلا عما عدا ذلك [4].

(مآخـذ المرابطيـن على الموحدين)

فمن ذلك أنهم قالوا: * هذا رجل يكفـر الناس بالذنوب، ويمنع مـن (8 أ) الصلاة على اهل القبلة، ويقول إنه من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات، ويرد المطلقـة ثلاثا الى زوجها، واطرح مذاهب العلما' وكتبهم، وخرج من الاجماع، وكفر المسلمين، واستحل الحرام المجمع على تحريمه، واستحل دما' المسلمين، واستحل أموالهم، واستحل حريمهم، وجعل أموال المسلمين غنيمة تخمس كما تخمس أمـوال النصارى، وقام على الامراء ونزع يـده من طاعتهم، وقد أجمـع المسلمون على تحريـم القيام عليهم ووجوب طاعتهم.

1) يبدو أن طائفة من عرب إفريقية جـازوا الى الاندلس في أيـام المرابطيـن برسم الجهاد كما نبه على ذلك الدكتور حسين مؤنس « الثغر الاعلى الاندلسي ... ص 129 حاشية 2 » وذلك في معرض التعليق على ما ورد في رسالة ابن شرف حول فتح أقليش عن بلا' بعض الفرسان « العرب » في تلـك الموقعة، وسيشترك هـؤلا' العرب في الجهاد بالاندلس بشكل أوضح على أيام الموحدين.

2) في الاصل: ودلة.

3) في الاصل: تبقيرا.

4) تبدو هذه الجملة مضطربة غير واضحة المعنى، ولعله يعنـى أن المرابطيـن أدلوا على جمهور المسلمين بهذه الموقعة وأمثالها مما انتصروا فيه حتى يصرفوهم عـن دعوة محمد بن تومرت المهدي وينفروهم عن الاستماع إليه. ويدل على ذلك أن الفقرات التالية تتضمن إيرادا للتهم التي كان المرابطون يرمون بها الدعوة الموحدية وتفنيدا لتلك الاتهامات.

فهذه الابواب نسبونا فيها [1] إلى الكفر والضلال [2] والخروج من الدين ، فسموا أهل التوحيد خوارج وجعلوهم مبتدعين ، ونسبوهم الى الخروج من الدين !

وهيهات ! فما بعد الحق إلا الضلال [3] ، فليس للانسان ما تمنى، ولا يبلغ بغيته بهواه، ولا يفوت قوله بدعواه، فجميع ما قالوه تحريف وتشنيع، بل هو بالضد مما قالوه ، وباختلاف ما اختلقوه . فمعاذ الله أن نكفر [4] مسلما كما قالوه ، أو نمنع من الصلاة على اهل القبلة ، أو نسقط الحقوق أو العبادات بالتوبة، أو نطرح أئمة الدين وعلماء * الامة، أو نرد المطلقة (8 ب) ثلاثا إلى زوجها من غير حق وزوج، أو نخرج عن اجماع المسلمين ، أو نخالف أئمة المسلمين وأمراءهم.

فهذه جملة ما نسبوا إلينا، ولم ننقل منه حرفا واحدا ، لكن حرفوا ما قلنا. ودلسوا به على الناس حتى أضلوا بتدليسهم كثيرا . وقطعوهم عن ربهم، وفتنوهم في دينهم، والذي قالوه ما يقوله أحد من المسلمين لا من العوام ولا من الخواص ، ولا تنسب الابواب التي عدوها الى مؤمن بالله واليوم الاخر، ولكن الدنيا حملتهم على الافتراء على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

والذي قلته معلوم محفوظ عند كثير من الناس أعلنا به في المحافل والجموع، لا يمكن لاحد أن يبدله أو يزيد فيه إلا علم ذلك لتغربه وانتشاره:

فمن ذلك ان قلنا لهم أجمعت الامة على ان الله تعالى لا يجوز عليه

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) في الاصل : والظلال .

3) في الاصل : الظلال .

4) في الاصل: يكفر .

ما يجوز على المخلوقين من التحيز والاتصال والانفصال في الصورة والجوارح والجهات والحدود والهيئة وغير ذلك من آلات الحرث [1] ......

(بقية أخبار سنة 501)

* وعزل [2] تاشفين بن سليمان [3] عن قرطبة، وولاية محمد بن (3 أ) سليمان [4] إياها.

والعباسي في هذه السنة المستظهر [5] بالله تعالى كما كان ؛

---

1) ينقطع النص هنا ، وقد سقطت من هذا الموضع ورقة او اكثر .

2) بقية أخبار هذه السنة في الورقة (3 أ) ، والاصل كثير الاضطراب في ترتيب السنين مما حملنا على تغيير نظامه واتباع التسلسل التاريخي على قدر ما استطعنا .

3) كان عامل قرطبة في سنة 501 التي وقعت فيها غزوة أقليش هو « ابن أبي رنغي » على ما ذكر ابن القطان نفسه في حديثه السابق عن تلك الغزوة - وهو الذي يسميه ابن عذارى « ابن أبي رنق » ويسميه ابن أبي زرع في روض القرطاس « ابن أبي زلفي » ، ولم يسبق أن ذكر ابن القطان أن هذا العامل عزل عن قرطبة وأن واليها بعده هو تاشفين بن سليمان المذكور هنا. على أن ولاية تاشفين هذا لقرطبة يؤكدها لنا كذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 81) وهو يزيدنا على اسمه كنيته: «أبا محمد» ويسميه القائد جاعلا إياه بعد أبي محمد مزدلي بن سلنكان .

(4) لعله هو الذي سماه ابن عذارى في «البيان المغرب» (مخطوطة تامجروت) «محمد بن يونان» (ورقة 51 - 52)، وقد جاء في قائمة ولاة قرطبة في «مفاخر البربر» (ص 81) اسم «القائد أبي عبد الله بن نونان».

(5) هو أبو العباس أحمد الملقب بالمستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المقتدي بالله عبد الله بن أبي العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله سنة 487 ، وتوفي سنة 512

وأمير إفريقية علي بن يحيى بن تميم [1] ؛

باب أخبار سنة ثلاث وخمسمائة :

(غزوة طلبيرة)

(5 أ) * فمنها الجهاد، وذلك في غزوة طلبيرة وفتحها [2] ، وذلك بأن تحرك علي بن يوسف غازيا في حفل عظيم من الجند والملثمين وجماعة المطوعين نحو طلبيرة، فوصلوا إليها ضحوة يوم الخميس الثالث عشر من المحرم من السنة المذكورة ، فقاتلوها ذلك اليوم، واحترس الناس المدينة ليلة الجمعة، ثم اصبحوا فقاتلوها اشد قتال، واجتهد [3] الكفار في الدفاع وكان الوصول إلى سور المدينة يعسر بسبب الوادي المتصل بسورها، إلى أن خرق المسلمون السد، فهرب الماء عن السور، وتداعى الناس على

1) ولي علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي على إفريقية سنة 509 وتوفي سنة 515، وعلى هذا فإنه ليس صحيحا ما يذكره ابن القطان من أنه كان أمير إفريقية في تلك السنة (501) ، والمعروف أن تميم بن المعز بن باديس جد علي هذا هو الذي كان في ذلك الوقت لا يزال أمير إفريقية إذ أنه توفي سنة 502 وخلفه ابنه يحيى الذي ولي الامارة حتى سنة 509 ثم خلفه ابنه علي في تلك السنة، ولا نظن مثل ذلك يغيب على مؤرخ للمغرب كابن القطان، ولعل التبعة فى مثل هذا الخطأ إنما تقع على الناسخ أو ربما كانت ترجع إلى الاضطراب فى ترتيب الحوادث التاريخية على نسق السنين.

2) عن غزوة طلبيرة المذكورة انظر كذلك الحلل الموشية (ص 70)؛ وروض القرطاس 2 ـ 85؛ وابن عذارى: البيان المغرب ورقة 21؛ وقد استفاد أويثي من الاخبار الجديدة التي أمدنا بها ابن عذارى وابن القطان فى كتابة بحث جيد حول هذه الغزوة وقارن ذلك بما كتبه المؤرخون المسيحيون (انظر مقاله عن «علي بن يوسف ... » ص 82 ـ 85 وكذلك مقاله «روض القرطاس والمرابطون ـ دراسة نقدية»، مجلة إسبريس سنة 1960 (ص 513 ـ 541)، انظر ص 535)

3) فى الاصل : واشتهد .

القتال، وكان ابن حمدين [1] يحرض الناس على الجد والاجتهاد.

ولما تلم السد، وقل ماء النهر بإزاء الباب ـ وذلك يوم السبت ـ اقتحم المسلمون عليهم، ودخلوها عنوة، وقتلوا جميع من فيها من النصارى، واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين. ولجأ بعض النصارى إلى قصبتها، وتحصنوا فيها إلى أن جن عليهم الليل، فتلثموا وخرجوا على خيولهم فارين على وجوههم، فتبعهم المسلمون وتطرفوهم [2]. ثم صاروا إلى حصن « قنالش » ودخلوا عنوة. فهذه أيضا لهم غزوة وفتح ثان.

وكانت في شوال من هذه السنة غزوة أخرى قتل فيها ألف من المسلمين، وحرقت إحدى وستون قرية.

(إحراق كتاب « الاحياء »)

ومن أخبار هذه السنة إحراق كتاب « الاحياء » : [3]

في أول عام ثلاثة وخمسمائة عزم [4] علي بن يوسف ـ عن إجماع قاضي قرطبة أبي (عبد الله محمد بن) [5] علي بن حمدين وفقهائها ـ على

1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي، قاضي الجماعة بقرطبة، ولد في سنة 439، وتولى القضاء في قرطبة سنة 490، وكانت وفاته سنة 508 (وسيذكره ابن القطان في وفيات هذه السنة). انظر ابن بشكوال: الصلة ترجمة 1138 .

2) كذا في الاصل، وربما كانت « وتطوقوهم » .

3) عن إحراق المرابطين لكتاب « الاحياء » انظر الحلل الموشية ص 85 ـ 86 ؛ وكذلك كتاب أويثي: تاريخ الدولة الموحدية 2 / 583 ـ 586 وانظر كذلك الوثيقة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس حول ذلك في مقاله « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين » ـ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ـ المجلد الثالث سنة 1955 ص 107 ـ 113 والمراجع المذكورة .

4) في الاصل عمر .

5) زيادة تقتضيها صحة الاسم .

إحراق كتاب أبى حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بـ « الإحياء » ، فأحرق في رحبة مسجدها على الباب الغربي على هيئته بجلوده بعد إشباعه زيتا . وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس ، ونفذت كتبه الى جميع بلاده آمراً بإحراقه حيثما وجد . وأخذت منه نسخ [1] من أيدي أصحابها كان معول الغزالية عليها ، منها كتاب ميمون بن ياسين [2] توعده علي بن يوسف على إحضاره ، فأحضره له. وفقد الكتاب المذكور، ومنها * كتاب (6 أ) ابن العربي [3] حمله مع نفسه الى الجزيرة الخضراء ثم أمر بحله في الماء،

1) في الاصل : نسخا .

2) هو أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني، أصله من صحراء المغرب وسكن المرية : وعني بالرواية والسماع وجمع الكتب ، وكانت له رحلة حج فيها وسمع بمكة صحيحي مسلم والبخاري ، ثم عاد الى الاندلس فسمع الناس منه بإشبيلية وغيرها ، وكان ممن حدث عنه ابن حبيس وابن بشكوال وأبو بكر ابن خير وابن سعادة وتوفي بإشبيلية سنة 530 (انظر ترجمته في التكملة لابن الابار، رقم 1137، ط كوديرا) ؛ وقد ذكره أبو بكر البيدق في موضعين من كتابه عن أخبار المهدي (ص 84 ، 128)، ويفهم مما قاله البيدق أنه كان الى جانب علمه وعنايته بجمع الكتب من كبار قواد المرابطين وعظماء رجالاتهم ، وهو الذي بنـي حصن تاسغيموت الذي كان من جملة الحصون التي أدارها المرابطون حول مواقع الموحدين لكي يتخذوا منها مراكز لمهاجمتهم ،

3) هو الفقيه المشهور أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الاشبيلي، ولد سنة 468 ورحل الى المشرق مع أبيه سنة 485 ، فتتلمذ على أبي بكر الطرطوشي بمصر ، ودخل الشام والحجاز والعراق . وصحب ببغداد من علمائها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وعاد الى الاندلس سنة 493، فدخل بلده إشبيلية بعلم كثير وتولى القضاء بإشبيلية ثم صرف عنه ، وكانت وفاته سنة 543 بالمغرب ، ودفن بفاس ومؤلفاته كثيرة نشر بعضها (انظر في ترجمته: ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1181 ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ص 281 ـ 284 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 4 / 141؛ ابن سعيد: المغرب 1 / 249 ـ 250؛ النباهي: المرقبة العليا ص 105ـ 107 ؛ ابن خلكان ؛ وفيات الاعيان 3 / 423 ـ 424 ؛ المقري : نفح الطيب 2 / 232 ـ 235) .

فحل معظمه ، وفقد سائره ، وتوالى الاحراق على مـا اشترى منـه ببـلاد المغرب بقية ذلك العام .

قلت :

وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألف مثله سببا لزوال ملكهم ، [1] وانتثار سلكهم ، [2] واستئصال شأفتهم على يد هذا الامير العزيز القائـم بالحق ، المظهر [3] بالسنـة ، المحيي للعلم ، نصر الله تعالى لواءه ، وكبت اعداءه .

(لقاء الغزالي وابن تومرت)

وعندي في (ذلك) [4] حكاية طريفة . وهي هذه [5] :

1) في الاصل : ملكه .
2) في الاصل : سلكه .
3) في الاصل : المطهور .
4) زيادة يقتضيها السياق .
5) حول لقاء ابن تومرت للامام أبي حامد الغزالي اختلف المؤرخون، فمنهم من يثبت ذلك مثل ابن القطان هنا وابن صاحب الصلاة (كما نقل عنه صاحب الحلل الموشية ص 85) وابـن أبي زرع (روض القرطـاس 2 ـ 104) والسلاوي (الاستقصا) 2 ـ 71 ـ 73) وابن خلكان (وفيات الاعيـان 4 ـ 137) والزركشي (تاريخ الدولتين ص 2) وابن أبي دينار (المونس في اخبار إفريقية وتونس ص 107 حيث يذكـر ان ابن تومرت لازم الغزالي ثلاث سنين)؛ ومنهم من يشير الي هذا اللقاء فـي تحفظ لا يخلو من الشك مثل عبـد الواحد المراكشـي (المعجب ص 178 ـ 179) وابـن خلدون (العبر 6 ـ 226) والنويري (نهايـة الارب ـ الجزء الخاص بتاريخ المغـرب والانـدلس، نشر وترجمة المستشرق الاستاذ جاسبار رميرو في مجلـة المركـز التاريخـي للابحاث الخاصة بمملكة غرناطة ـ سنة 1918 ص 187 ـ 188)؛ ومنهم من انكر هذا اللقاء مثل ابن الاثير (الكامل 8 ـ 294). وقد وفى هذه المسألة حقها من البحث الاستاذ أويثي في كتابه «تاريخ الدولة الموحدية» (1 ـ 29 ـ 32) وانتهي إلى أن قصة هذا اللقاء موضوعة وأن القرائن التاريخية تدل على استحالة وقوع ذلك .

اخبرني الشيخ الفقيــه أبو محمد عبد الله بن وحمن العراقــي رحمه الله تعالى عن بعض أشياخه [1] قال :

أخبرني الحاج الصالح المسن فلان من اهل فـاس قـال : كنت فى حلقة ابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى التي حلقها للتدريس . فجاء ذات يوم رجل كث اللحية على راسه كـرزى صوف وهو محتب بكساء . فدخل المدرسة وحياها بالركـعتين ثم اقبل الى الشيخ أبي حامد رحمه الله تعالى فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فقال: رجل من * أهل المغرب الاقصى (6 ب) فقال له : دخلت قرطبة ؟ قال . نعم . قال : فما فعل فقهاؤها وكيف حال إخواننا في الله تعالى ؟ فقال لخير قال ؛ هل انتهى إليهم كتاب الاحيـا ؟ قال ؛ نعم . قال ؛ فماذا قالوا عنه ؟ فوجم الرجل وخجل ولازم الصمت حياء. فعزم عليه الشيخ ليقولن ما طرأ [2] . فقال إنه قبيح أيها الامام ! فاشتدت عزيمته عليه في أن يقول ما طرأ فقال له: القوم جهال مقلدون لم يعرفوا قدره. ورفعــوا إلى سلطان العدوة والاندلس فى شأنــه وانه ينبغــي أن يحرق فأمر باحراقه ، فجمعت النسخ التــى في البلاد منه . وأحرقت فــى كل بلد .

قال : فتغير وجه أبي حامد. ومد يديه للدعاء والطلبة يؤمنون ، فقال في دعائه : اللهم مزق ملكهم كما مزقوه ، وأذهب دولتهم كما حرقــوه ! فقام رجل من الحلقة كـان يقال له فـي ذلك الوقت أبو عبد الله السوسي فقال: أدع [3] الله أيها الامام أن يجعل ذلك على يدي: فتغافل عنه أبو حامد

---

1) أورد الخبر التالي صاحب الحلل الموشية مع خلاف يسير في بعض ألفاظه نقلا عن ابن صاحب الصلاة الذي يرويه عن «عبد اللـه بن عبـد الرحمن العراقـي» شيخ مسن من سكان فاس (الحلل ص 85 ـ 86)

2) فى الاصل : طرى .

3) فى الاصل : أدعو .

رحمه الله تعالى . فلما كان بعد جمعة أو نحوها إذا بشيخ [1] (آخر على شكل الاول ، فسأله الشيخ أبو حامد ، فأخبره بصحة الخبر المتقدم . فدعا بمثل دعائه الاول، فقال له المهدي: على يدي إن شاء الله، فقال : اللهم اجعله على يده ! فقبل الله دعاءه. فخرج أبو عبد الله بن تومرت من بغداد وصار الى المغرب، وقد علم أن دعوة الله لا ترد).

(4 أ)

*باب أخبار سنة ثمان وخمسمائة :

من ذلك وفاة القاضي أبي عبد الله ابن حمدين [2] لثلاث بقين من المحرم منها بعد مرضه خمسة عشر يوما بالفواق، وحزن الناس عليه، وكان محببا لهم وللمتلثمين، وكان حاز فى المكانة لديهم ما لم يحزه غيره ممن سلف، وكان جميل الطريقة ساعيا في كل خير: قطع الضرائب والمعاون على أهل قرطبة، وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة، لان ابن تاشفين (كان) [3] لا يخالفه في شيء، وكان ذكي الفهم، سريع الخاطر، رقيق الطبع، فقيها أديبا ، بليغا شاعرا . كاتبا فاضلا ، ورعا دينا حذرا من العواقب ،

وولاية ولده أبي القاسم [4] القضاء بعده :

---

1) ينقطع النص هنا ، وقد استكملنا بقيته من « الحلل الموشية » ص 85 ـ 86

2) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين الذي سبق أن عرضنا له (انظر ص 14 حاشية 1)

3) زيادة يقتضيها السياق .

4) ابو القاسم أحمد بن محمد بن حمدين التغلبي ، ولد سنة 472 ، وولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين ، وكانت وفاته سنة 521 (انظر ابن بشكوال : الصلة ، رقم 169) .

ووفاة مزدلي [1] : وأبي الاصبغ ابن حزمون [2] ؛ والاديب أبي الحسن ابن سراج [3] ، وكان كاتبا شاعرا ، من شعره :

بثّ [4] الصنائع لا تحفل [5] بموقعها لآمل شكر الاحسان أو كفرا
(4 ب) *الغيث ليس يبالي [6] حيثما انسكبت به الغمائم تربا كان أو حجرا

---

1) هو القائد المرابطي المشهور ابو محمد مزدلي بن سلنكان الذي استرجع للاسلام مدينة بلنسية سنة 495 بعد أن استولى عليها « السيد القنبيطور » نحو ثماني سنوات ، وقد تقلب مزدلي في مختلف مناصب القيادة والولاية بالاندلس ، وكان من آخر هذه المناصب حكم غرناطة وقرطبة والمرية في سنة 504 ، وظل يقود الحملات لجهاد المسيحيين القشتاليين حتى استشهد اخيرا في ميدان المعركة في شوال سنة 508 (مارس سنة 1115 م .) . وذلك بعد حملته المظفرة التي دوخ فيها طليطلة واكتسح بسائطها في سنة 507 . (انظر ابن عذارى : البيان المغرب . مخطوطة تامجروت ، ورقة 24 ؛ ومقال أويثي : علي بن يوسف . . . ص . 86 ، 88 ، 90 ـ 92، 110 ـ 113 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة . . . » ص . 157)

2) أبو الاصبغ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزمون القرطبي كان فقيها مشاورا في الاحكام حافظا للرأي بصيراً بالفتيا ، وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، ولد سنة 440 ، وتوفي في شعبان سنة 508 (ابن باشكوال : الصلة ، رقم 792) .

3) الاديب أبو الحسن أو أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج القرطبي ولد سنة 439 ، وأخذ عنه الناس كثيرا ، وكانت وفاته في جمادى الاخرة سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 514 ؛ ابن سعيد المغربي : المغرب 1 / 116 ـ 117 والمراجع المذكورة في هذا الكتاب ؛ ابن الابار : معجم أصحاب أبي علي الصدفي، رقم 295). وقد روى كل من ابن بشكوال وابن الابار البيتين المذكورين هنا من شعره مع خلاف يسير في الرواية .

4) في الاصل : بت .

5) في الاصل : تجعل .

6) في الاصل : يتالى

وهجوم الروم على ميورقة ودخولهم إياها عنوة ، وقتلهـم من فيها ، وسبيهم أهلها ، واحتواؤهم على جميع ما فيها بعد حصار شديـد ؛ وعمرت مائة وعشرون مركبا ، فوصلت إليها ، فوجدت العدو قد أخلاها [1]

والعباسي في هذه السنة المستظهر كما كان .

وأمير إفريقية يحيى بن تميم [2]

وأمير مصر المستعلى ، ويقال بأن أخاه سمه ، فقـام أخـوه وتسمى الآمر بأحكام الله ، وأبقى الافضل على حجابته [3]

---

1) عن استيلاء الروم (ويعني بهم هنا أهل جنوه وبيزة وقطلونية) علي ميورقة ثم استرداد المرابطين لها انظر ابن خلدون : العبر 4 / 165 ، 6 / 242 ؛ وابن عذارى: البيان المغرب ـ القسم الخاص بالموحدين نشر أويثي سنة 1956 بتطوان ، 4 / 198 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 157 ـ 163 والمراجع المذكورة في ذلك الموضع.

2) ولد يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي بالمهدية سنـة 457 وولى إفريقيـة سنة 501 بعد وفاة أبيه تميم ، وتوفى سنة 509 مقتولا في قصره (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 304) .

3) هذا النص مظطرب ، ويبدو أن خطأ وقع فيه ، فالمعروف أن الخليفة الفاطمي المستعلى وهو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله وهو سادس خلفاء مصر الفاطميين ولي الخلافة سنة 487 (وكان مولده سنة 467) وقتل سنة 496 ، وكان القائم بأمور الدولة في عصره الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، وخليفة ابنه (لا أخوه) الآمر بأحكام الله أبو علي منصور ، ولي وهو صبى سنة 496 (وكان مولده في سنة . 490) وقتل سنة 524 . والذي نعرفه من المراجع التاريخية أن نزاراً اخـا المستعلى نازعـه على الخلافة وقال إن أباه المستنصر عهد إليه بها، فهرب إلى الاسكندرية ودعا لنفسه بها ، ولكن الافضل هزمه ومزق جيوشه ، ويقال إن المستعلى بعد أن ظفر بـه في سنة 488 بنى عليـه حائطا ، ويزعم أصحابه الذيـن يدينون بأمامته أنه تحت هذا الحائـط حتى يحين موعد خروجه ، ويسمى هؤلاء باسم « النزارية »، وطائفته هم الذين يعرفون باسم الدروز .

باب أخبار تسع وخمسمائة :

و (من) [1] ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى في غزوة عبد الله بن فاطمة صاحب إشبيلية [2]

وأمير إفريقية في هذه السنة أيضا يحيى بن تميم المذكور في السنة قبلها .

(3 أ) *باب أخبار سنة إحدى عشرة وخمسمائة :

فمنها وصول الامام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى بجاية [3] ،

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) عن عبد الله بن فاطمة انظر ص 8 (حاشية 2) ولم تفدنا المراجع الاخرى عن غزوة هذا القائد في سنة 509 ، وكان قد عوض في أول هذه السنة عن ولاية فاس بإشبيلية (البيان المغرب ـ ورقة 27) ، على أن ابن عذارى حدثنا في اخبار تلك السنة عن معركة عنيفة بين المرابطين والنصارى ونورد فيما يلي نصه عن ذلك (ورقة 26) : « وفي سنة 509 صرف العدو على نظر قرطبة، فخرج إليه محمد بن مزدلي في عسكره وبادر في الاستعجال لاثره ، فلحق بالعدو ، ونشبت الحرب ، وصبر المسلمون، فاستشهد محمد بن مزدلي والامير محمد بن الحاج والامير أبو إسحاق ابن دانيه والامير أبو بكر ابن واسينو ، ومات (من) الامراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين وجملة كبيرة من الحشم وأهل الاندلس ، وذلك يوم الخميس مستهل صفر من السنة المذكورة ، فكان مصابا عظيما وخطبا جسيما ، واتصل الخبر بأمير المسلمين علي فولى قرطبة الامير أبا بكر يحيى بن تاشفين وهو ابن عمه شقيق أبيه لامه ، فنفذ إليها وقدم عليها » ، ولا نرى في هذا النص ذكراً لاشتراك ابن فاطمة في تلك الوقعة .

3) كانت رحلة ابن تومرت إلى بجاية في أواخر سنة 511 على ما يذكر ابن خلكان نقلا عن ابن القطان (وفيات 4 / 138) وذلك على خلاف ما يقول ابن أبي زرع من أن ذلك كان في أول ربيع الاول سنة 510، وما يذكره ابن خلدون من أن وصوله الى بجاية كان في سنة 512 (وحول تحقيق ذلك انظر أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 40) .

فأمر بالمعروف، فنمى أمره الى العزيز بن الناصر [1] صاحبها، فهم به، ثم تركه عصمةمن الله تعالىتخولته لما *منحه من إنقاذ البلاد، من الجور والفساد، (8 ب) وتلافى العباد، فخرج الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه من بجاية إلى رباط خارجها وعلى القرب منها يقال له رباط ملالة [2] فكان رضى الله تعالى عنه حافظا عالما بالمذاهبمتصوراً ألمعياً نقاباً، [3] فعمر مجلسه الطلبة والصالحون، فكان رضى الله تعالى عنه مأوى لاهل الخير والعلم، فكاثر رضى الله تعالى عنه بهم، وتعلق به هنالك عبد الواحد بن عمر التونسي من فقهاء إفريقية؛ وكان لايراه أحد ولا يسمع به إلا أشرب حبه رضى الله تعالى عنه. حبا وضع الله تعالى عليه وألبسه رداءه، وصير جميع الخلائق به أحباءه وأوداءه [4]، لما اختصه به من العلاء والجلال، وأهله له من احتياز درجات السنا والكمال.

ولما مات التونسي برباط تلمسان اتفق أصحابه المواظبون لمجلسه أن يجلبوا إلى مكانه الامام المهدي رضى الله تعالى عنه، فوجهوا إليه سيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين ابا محمد عبد المؤمن بن علي رضى الله

1) كذا، وقد كان صاحب بجاية في ذلك الوقت هو العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس (أوعلناس)، ولى بعد اخيه بادس بن المنصور، وتوفى سنة 518 (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 302 - 309)، ولعل ابن القطان نسبه إلى جده.

2) في خروج ابن تومرت إلى رباط ملالة انظر ابن خلكان: الوفيات 4 / 139 وابن خلدون 6 / 227، وقد وصف هذه الرحلة بالتفصيل أبو بكر البيذق (أخبار المهدي ص 52).

3) النقاب بكسر النون هو العلامة.

4) في الاصل؛ أحباؤه وأوداؤه.

(4 أ) تعالى ، وكان أخذ طلبة التونسي المذكور الذين يحضرون معه عنده *،
ويذكر ويتذاكر مع الطلبة [1] .

أخبار سنة 515

. . . .

ثم هاجر الامام رضى الله تعالى عنه، وحل بجبل إيجيليز، [2] ومع ذلك اتصل بعلي بن يوسف أن أهل قرطبة قاموا على الملثمين وأخرجوهم . وخاطب أهل قرطبة مخاطبة تفزيع [3] وتهديد ، فلما لم يؤثر فيهم التهديد نهض إليهم في السنة التي بعد هذه [4] .

وأقام الامام بجبل إيجيليز [2] ثلاثة أعوام يدرس العلم ، ويهاجر إليه السعداء ، ويعلم المهاجرين ، ويخاطب القبائل رضى الله تعالى عنه .

والعباسي في هذه السنة المسترشد بالله تعالى [5] .

1) تضاربت آراء المؤرخين في الصورة التي تم فيها التقاء رجلي الدولة الموحدية ابن تومرت وعبد المؤمن وفي مكان هذا اللقاء. انظر حول ذلك القصة المفصلة التي يرويها البيذق (ص 55 ـ 57) وابن أبي زرع : روض القرطاس 2 / 107 ؛ وابن خلدون : العبر / 227 ؛ والنويري : نهاية الارب ص 188 .

ويذكر أويثي في بحثه لهذه المسألة أن ذلك اللقاء كما يصوره لنا ابن القطان هنا أقرب الى المعقول من تلك القصة المسرحية المصطنعة التي ابتدعها البيذق. وابن خلدون يتفق مع ابن القطان في مجمل هذا الخبر . (انظر تاريخ الدولة الموحدية 1 / 43 ـ 46) .

2) في الاصل : الجبلين .

3) يمكن ان تكون كذلك : تقريع .

4) لم يرد قبل ذلك بيان السنة التي يسرد المؤرخ حوادثها، على أنه واضح من السياق أنه يعنى سنة 515 كما أثبتنا في العنوان الذي أثبتناه بين الحاصرتين .

5) هو أبو منصور الفضل الملقب بالمسترشد بالله بن الخليفة احمد المستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد موت أبيه في شهر ربيع الاخر سنة 512 ، وكانت وفاته في سنة 529 ، ومولده في حدود سنة 485 .

وفى هذه السنة مات أمير إفريقية علي بن يحيى بن تميم ، وولـى ولده حسن. [1] ولم يكن فى أمره بحسن الطريقة إلى أن دخل عليه الروم المهدية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة [2]

*وفيها مات الافضل [3] وزير المستعلى صاحب مصر والآمـر بأحكام (12 ب)

---

5) الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي . ولد بمدينة سوسة في رجب سنة 502 ، وعهد إليه أبوه بالامر في حياته ، فلما توفي سنة 515 بويع بإمارة إفريقية ، وما زال حتى دخل عليه المهدية نصارى صقلية في أيام ملكها رجار الثاني في سنة 543 ، فالتحق الحسن بعرب رياح وكبيرهم محرز بن زياد ثم اراد الرحيل الى مصر ليلتجيء الى الخليفة الفاطمي الحافظ فأرصد له جرجى صاحب أسطول رجار ، فأجاز الى بونة ثم الى قسطنطينة ومنها الى الجزائر وما زال بها حتى فتحها عبد المؤمن بن علي الموحدي سنة 547 ، فوالاه الحسن ولحق به وصحبه الى افريقية فى غزاته الاولى التي استخلص منها المهدية من ايدي النصارى سنة 555، ثم في غزاته الثانية سنة 557 ، واقام الحسن بالمهدية بعد ان اقطعه إياها عبد المؤمن ، ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن الى حضرة ملكه مراكش ، فارتحل بإهله إليها ، وهلك فى طريقه بتامسنا سنة 563 ، وهو آخر من ملك إفريقية من أسرته، وعلى يده انقرضت دولتهم .

6) عن فتح رجار ملك صقلية النصراني للمهدية انظر ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 313 ؛ ابن خلدون : العبر 6 / 162 ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان 5 / 262 ؛ النويري ؛ نهاية الارب (ك . جاسبار رميرو) 2 / 166 ـ 168 ؛ ابن الخطيب: أعمال الاعلام (القسم الخاص بشمال افريقيا) ـ الترجمة الاسبانية (رافاييلا كاستريو) ص 87 والمراجع الواردة في الحاشية .

7) هو الافضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم بن بدر الجمالي الارمني وزير مصر ومدبر ممالكها ، ولى الحجابة بعد موت أبيه في أيام الخليفة المستعلى الفاطمي، واستبد بالمملكة حتى توفى المستعلى ، فولى الخلافة بعده الآمر بتدبير من الافضل، وقام الحاجب بالحجر على الخليفة متبعا في ذلك سيرة أبيه مع المستنصر والمستعلى من قبل ، وما زال حتى ضاق الآمر بذلك فدبر مؤامرة لقتل الافضل (انظر ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة 5 / 222) هذا ويضيف ابن القطان هنا تفاصيل جديدة عن اغتيال الافضل .

الله ، وذلك أن الآمر بأحكام الله لما أبقى الافضل على حجابته قيل له : مالك ملك مع الافضل ! فـدس لـه رجـالا وأمرهم بقتلـه . ووعدهم بالعطاء الجزيل ، وكانوا مجهولين ، فلما كان عام أربعة عشر رصدوه في زقاق ضيق كان متى خرج خطر عليه، وكان في الزقاق فرن، فلما أحسوا بأنه قرب من الفرن خرجوا من الفرن فقتلوه ، وبادرهم الرجال فقطعوا بالسيوف، وسار الافضل الى داره وبه رمق؛ فلما علم الآمر بالامر جاءه وكأنه زائر له ، فخرج عنه الناس ، وبقي معه وحده ، فقيل إنه جعل(1) على وجهه مخدة ، وقعد عليه حتى طفئه ، (2) ولم يـخرج من عنده الا وهو قد مات ، فقدم رجلا للحجابة (3) ....

(1 أ) *(عن (4) أبي هريرة قال قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم :

---

1) في الاصل : عمل ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

2) أي ازهق روحه .

3) ينقطع النص هنا ، إذ يلي ذلك خرم لا ندري عدد الاوراق التي ذهبت فيه، على أن الذي نعرفه من كتب التاريخ المصري أن الخليفة الآمر استوزر بعـد قتـل الافضل أبا عبد الله المأمون بن البطائحي (انظر ابن تغرى بردي ، النجـوم الزاهـرة 5 / 229) ، على أن الآمر لم يلبث أن قبض على المأمون هذا وعلى أخيـه المؤتمن سنة 519 وصادر أموالهما ثم قتلهما (وانظر حول اغتيال الافضل والاحداث التي تبعت ذلك كتاب الدكتور حسن ابرهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ـ الطبعـة الثانيـة ص 173 ـ 175 والمراجع المذكورة في ذلك الموضع) .

4) قام الاستاذ ليفي بروفنسال بنشر قطعة من هذا المخطوط تبـدأ بهـذه الورقة (رقم 9) حتى وجه الورقة (رقم 14) مع ترجمة الى الفرنسية وتعليقات ، وذلك تحت عنوان « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف لظهور الدولة الموحدية » ، ونشرت هذه المجموعة من النصوص في مجلد احتوى على بعض الدراسات الاستشراقية وأهدي الى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه ، ط . باريس سنة 1925

(Lèvi - provençal Six Fraqments inédits d'une Qhronique anonyme du début des Almohades , Mélanges René Basset , t. II, pp. (335-393).

صنفان من أهل النار لم ارهما :) [1] قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رئوسهن كأسنمة [2] البخت [3] المائلة . لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها [3م]

وقوله صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم لابي هريرة رضى الله تعالى عنه : إن طالت لك مدة اوشكت [4] ان ترى قوما يغدون فى سخط ، ويروحون في لعنة ، فى أيديهم مثل أذناب البقر سياطا كانت عندهم ليست عند أحد سواهم . [5]

و (من) ذممه [6] رضي الله تعالى عنه عليهم ما أخذهم [7] بقراءة حزب واحد منه فى كل يوم إثر صلاة الصبح بعد [8] حزب من القرآن ، وهوسفر

---

1) ما بين الحاصرتين تتمة الحديث المنسوب إلى النبي (صلعم) وقد استكملناه مما جاء في كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي (نشر لوسياني وتقديم جولد تسيهر - الجزائر سنة 1903 2 ص 260 في الفصل المعنون له بقوله « باب في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين وعلاماتهم » . وانظر هذا الحديث أيضا في كتاب جلال الدين السيوطي : الجامع الصغير (بشرح عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير) 4 / 208 - 209 (ط . القاهرة سنة 1938) .

2) في الاصل : رؤسهم كاسنة .

3) هي الابل الخراسانية .

3م) لم يذكر هنا تمام الحديث ، وبقيته : وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

4) في الاصل : أو شككت .

5) ورد هذا الحديث أيضا في كتاب « أعز ما يطلب » ص 260 - 261

6) في الاصل : ونعم .

7) في الاصل : واخذهم .

8) في الاصل : بعد اثر .

مجلد [1] يحتوي على معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والايمان والاسلام والصفات وما يجب لله تعالى وما يستحيل ويجوز عليه والايمان بما اخبر به النبي صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم بما طريقه الاخبار بما اعلمه الله تعالى من غيبه ، ولمع من* أصول الدين (9 ب) ومعرفة المهدي وانه الامام. ووجوب الامامة،وما يجب له من التعزير والتوقير وان الهجرة اليه واجبة لا يحول بينها وبين احد من المسلمين اهل ولا ولد ولا مال ، وان من سمع بأمره وجبت عليه الهجرة اليه. ولا عذر له بوجه من الوجوه ، ويكفر من لم يصل (عليه) [2] ولم يطعه : وذكر لهم فيه الاداب بينهم ،وعلامة المؤمن ، وما يجب على المؤمن فعله من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وآخى بينهم فيه ، وذكر لهم علامة المنافقين وبينها بأوضح بيان ، وجعل القتل في ثمانية عشر صنفا كالكذب والمداهنة وأمور يطول الكتاب بذكرها؛ وحفظهم إياه ورباهم به وسهل عليهم التعليم بنفسه وباعيان أصحابه . وجعل على كل عشرة نقيبا [3]

1) لعل ابن القطان يعنى بهذا السفر كتاب « أعز ما يطلب » الذي سلفت الاشارة إليه كما يدل على ذلك نص عبد الواحد المراكشي في المعجب (ط . سعيد العريان ومحمد العلمي) ص 188 وكتاب الحلل الموشية ص 125. وانظر مناقشة الدكتور احمد مختار العبادي لحقيقة هذه الكتب التي كان ابن تومرت يعنى بأخذ الموحدين بقراءتها وتدارسها في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية » (مجلة تطوان . العدد الخامس - سنة 1960 - ص 157 والحاشية رقم 72 - 73) .

2) في الاصل : يصلى وما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق .

3) ورد في كتاب « المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب» (أصحاب ابن تومرت) الذي نشره ليفي بروفنسال ضمن مجموعة من الوثائق الموحدية سنة 1928 في باريس - تفصيل واف لهذه الطبقات (انظر ص 32 - 48)، كذلك جاء في كتاب « الحلل الموشية » نقل يكاد يكون بالحرف لمعظم هذا النص لطبقات الموحدين ، إلا أنه جعلها ثلاث عشرة طبقة لا أربع عشرة كما هو هنا (انظر ص 89 من النص العربي، وتعليق أمبروسيو أويثي في ترجمة الاسبانية للحلل ص 130 - 131 هذا والنص الذي يورده ابن القطان حول هذا الموضوع إنما هو على الارجح مما نقله عن المؤرخ أبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم كما سنرى من تعليق ابن القطان عليه فيما بعد .

(طبقـات الموحدين)

فالصنف الاول : العشرة ، يعنى أهل الجماعة .

والثانى : أهل خمسين .

والثالث : أهل سبعين .

والرابع : الطلبة

والخامس : الحفاظ ، وهم صغار الطلبة.

والسادس : أهل* الدار . (10 أ)

والسابع : هرغة .

والثامن : أهل تينملل .

والتاسع : جدميوة . (1)

والعاشر : جنفيسة .

والحادى عشر : هنتاتة .

والثاني عشر : أهل القبائل (2) .

والثالث عشر : الجند .

والرابع عشر : الفرات (3) ، وهم الاحداث الصغار الاميون .

1) في الاصل : جدميرة .

2) يقصد بالقبائل ما حول مدينة مراكش من قبائل ، وهي هزميـر وهيـلانـة وهزرجة (انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 341) .

3) قرأ ليفـي بروفنسال هذه الكلمة « الغزاة » ، وترجمها بلفـظ champions وفسرها بأنهم الحرس الخاص للامام ، وقد نقل عن ليفـي بروفنسال ذلـك من اعتمـد عليه من الباحثين ، مثل أويثي فى ترجمته للحلل الموشية (ص 130 ، حـاشيـة رقم 5) ، بل أضاف هذا إلى ذلك أنه يعنـى الرماة arqueros, ولكنا لا نـدري كـيـف يكون « الغزاة » هم الاحداث الصغار الاميين على ما جاء فى تفسير ابن القطان نفسه ولا كـيف يضعهم المؤلف فى الطبقة الاخيرة إذا كـانوا هم حرس الامام الخاص ، ومن رأينا أن كل هذه التخريجات ابعاد في التأويل أدى إليه خطأ في قراءة الكـلمة ، إذ أن الصواب فيها « الغرات » جمع غر وهو الصبي الصغير .

ولكل صنف من هذه الاصناف رتبة لايتعداها الى غيرها لا في السفر ولا في الحضر ؛ واخذهم في تـارك امتثال أمـر من يسمع أمـره بالقتل ، وبايعوه [1] على هذا، وكان - رضى الله تعالى عنه - يعظهم فى كل وقت ويذكرهم ، ومن لم يحضر أدب، فإن تمادى قتل ، وكل من لم يحفظ حزبه عزر بالسياط، وكل من لم يتأدب بما أدب به ضرب بالسوط المرة والمرتين، فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الاوامر قتل ، ومن داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه او من يكرم عليه قتل ، وشدد فى المعاملـة ، وضبط * أمرهم فيها (10 ب) فانضبط . واقاموا على ذلك مدة يتسامع الناس تقلب أحوالهم فيها .

وقال ابن الراعى :

لما أحق الله الحق، وأبطل الباطل - يعنى في المذاكرة التي كـانت بأغمات [2] - خلع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه مبايعة علي بن يوسف عن أعناق تابعيه وأصحابه، وأعلـن الجميع بخلعه، وكان بعضهم يبـرح به فى المساجد .

قلت :

أما ما ذكره اليسع [3] من أمـر السبعين فلا أعرفـه ولا أراه صحيحا،

---

1) في الاصل : وياعيوه .

2) لعل ابن الراعي يشير بهذا النص إلى ما وقع بأغمات وريكة حينما حلها محمد بن تومرت في طريقه من مراكش ، اذ يقول البيذق إنه كان يقرىء الطلبة بجامع واطاس بن يحيى ، وكان يقرىء في نفس هذا المسجد أيضا فقيه يدعى عبد الحق بن ابرهيم كان يضيق بالمهدي ويحسده » وأقبل إليه فأفحمه المعصوم ، وقامت أغمات فرقتين مؤمن وكافر . . . الخ » (أخبار المهدي ص 70) .

3) هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حـزم بن عبـد الله بن اليسع الغافقي الجياني البلنسي ، سكن المرية ومالقة ، ثم كتب لبعض الامراء في شرق الاندلس ،

وإنما أعرف العشرة الجماعة وأهل الخمسين وسبعة هم أهل مشورته، وأما العشرة فقد مر ذكرهم [1] .

وأما الخمسون فهم :

أما من قبيل هرغة فستة رجال ، أبو مروان عبد الملك بن يحيى، وأبو زيد عبد الرحمن بن سليمان ، وإسحاق - ولم أجد اسم أبيه - وأبو زكريا يحيى بن يومور . ويعزى [2] بن مخلوف، وأبو زيد عبد الرحمن بن داود [3] .

(11 أ) وأما من قبيلة تينملل* فأربعة عشر ، [4] وهم: أبو عمران موسى بن سليمان القاضي. [5] وأبو عبد الرحمن ، وسواجات بن يحيى، وأبو بكر

وقد رحل اليسع الى المشرق في سنة 560 واستقر بمصر ، واتصل بصلاح الدين الايوبي الذي قربه اليه وكان يكرمه ويشفعه في حوائج الناس، وتوفى اليسع بمصر سنة 575. وقد الف كتابا سماه « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب » جمعه للسلطان صلاح الدين ابن أيوب ، وقد نقل المقري عنه في عدة مواضع من نفح الطيب وكذلك صاحب « الحلل الموشية » (انظر ترجمته ونقولا عنه في نفح الطيب 3 / 140 ؛ وكذلك 1 / 125 ، 155 ، 194 ، 248 ؛ 3 / 244 ؛ 6 / 198 ؛ وابن الابار : التكملة ، ترجمة 2112؛ ومعجم أصحاب أبي علي الصدفي ، ترجمة 315؛ وبونس بويجس: المؤرخون والجغرافيون الاندلسيون ، رقم 196 ، ص 242 ؛ وجونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ، ص 242 ؛ الحلل الموشية ص 78) .

1) سيعود ابن القطان للحديث عن العشرة فيما بعد .

2) في الاصل : يعزا ، والتصويب عن كتاب البيذق .

3) يبلغ عدد أهل الخمسين من قبيل هرغة على ما ذكر البيذق في كتاب الانساب (ص 33 - 34) ثمانية بدلا من الستة المذكورين هنا .

4) هم تسعة عشر على ما ذكر البيذق (ص 34) ، وهناك خلاف بين المؤلفين في أسماء هؤلاء .

5) هو صهر عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي ابن تومرت ومتولى القضاء له ، وسنترجم له عند ورود اسمه بين قضاة عبد المؤمن .

ابن يزامارن ، وأبـو محمد عبد العزيز ـ لا أدري ابـن من ـ ، وعلي بن يامصل، والحاج موسى، ويحيى أغوات، وعبد الله بن ينساك ، والقاسم بن محمد، ويوسف بن مخلوف، وأبو علي يونس.

وأما من قبيلة هنتاتة فثلاثة : [1] أبـو يعقـوب يوسف بن وانودين ، وداود بن عاصم ، وأبو محمد بن واحدان .

وأما من جدميوة [2] فرجلان : أبو محمد يعيس، وأبو حرب .

وأما من جنفيسة فأربعة : أبو إسماعيل ، وأبو زيد عبد الرحمن بن رجو، وعبد الله بن الحاج، وأبو سعيد يخلف بن الحسين [3] .

وأما من القبائل فرجل واحد: وهو عبد الرحمن بن ينومر [4] .

وأما من هسكورة فثلاثة : إسحاق بن يونس، وعبد الله بن عبيد الله، وأبو عبد الله بن أبي بكر * المعروف بابن يندوس [5] . (11ب)

وأما من صنهاجة فثلاثة : أبو محمد الجراوي، ويحيى بن وسنار [6] وإسحاق بن محمد [7] .

---

1) في كتاب البيذق اسمان فقط ، وقد جاء اسم الثالث هكذا : أبـو عبد الله محمد بن بن ويكلدان .

2) في الاصل : جدميـرة ؛ وقد أورد البيذق أسماء أربعة رجال هم : أبو محمد العيس بن تماري ، وأبو علي سحنون بن تماري ، وأبو محمد عبد الكريم بن تماري وأبو محمد سعد الله والد إبرهيم .

3) في البيذق أسماء أربعة كذلك ، إلا أن الاسمين الاخيرين هما: أبو اسحاق ابرهيم بن سليمان وأبو زيد عبد الرحمن المعروف بآمازار .

4) في البيذق : أبو إبرهيم إسحاق بن أبي زيد .

5) في البيذق : المعروف بابن توندوت، وقد زاد عليهم هذا المؤلف اسما رابعا هو : أبو محمد عبد الحق بن معاد الزناتي .

6) في الاصل : يحيى بن سنان ، والتصويب عن البيذق ص (35) .

7) جاء مكان هذا الاسم الاخير في البيذق : أبو الحسن علي بن ناصر .

وأما من الغرباء [1] فخمسة : أبو يعقوب اللمطي ، وأبو زكرياء يحيى الدرعي، وعبيد الله بن يوسف الزناتي، وسليمان الجزولي، وابرهيم بـن جامع .

هكذا عددهم ابن صاحب الصلاة في كتابه [2]

فقلت :

وهم على هذا زهاء [3] اربعين او واحد [4] واربعين رجلا، فأين تمام الخمسين وعد السبعة الذين قال إنهم رجال مشورته، ولعلهم منتقون مـن الخمسين .

---

1) لم يشر البيذق إلى هؤلاء الغرباء ، وإنما أضاف إلى قائمته المستدركين بعد التمييز (ص 35) .

2) هو المؤرخ المشهور أبو مروان أو أبو محمد عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبرهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة الذي ترجم له ابن الابار (التكملة ترجمة رقم 1726) ، وكانت وفاته في اواخر القرن السادس الهجري على خلاف بين الباحثين المحدثين في تاريخ ذلك على وجه التحديد . وله الكتاب المعروف باسم « المن بالامامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين » ، في تاريخ الدولة الموحدية ، وعلى هذا الكتاب يعتمد المؤرخون المتأخرون مثل صاحب روض القرطاس وابن الابار وابن الخطيب وابن خلدون وصاحب الحلل الموشية والمقري ، وقد كان هذا الكتاب يتألف من ثلاثة أجزاء لا يوجد منها الان إلا الجزء الثاني المحفوظ في المكتبة البودليانية بأكسفورد (رقم 758) وهو يشمل أحداث الدولة الموحدية من سنة 554 (1158 م .) حتى سنة 580 (1184 م .) ؛ ويعمل الان على تحقيق هذا الكتاب ونشره مع دراسة شاملة السيد الزميل البحاثة المغربي الاستاذ عبد الهادي التازي ، (انظر عن هذا المؤرخ وكتابه الاستاذ يونس يويجس المؤرخون والجغرافيون الاندلسيون ص 245 ـ 246 والمراجع المذكورة) .

3) في الاصل : زهاد .

4) في الاصل إحدى .

قال :

هم : أبو سليمان ، من هرغة ؛ وأبو الحسن ، من أهل تينملل؛ وأبو وزغيغ بن ياموهل بن ياوجان . من أهل تينملل ؛ وأبو وايـور يغور يبوركن ، من تينملل أيضا ؛ وقطران بن ماغليفة ، من هنتاتة : وأبو محمد سكاته ، وأبو عمران موسى بن واحمدين : من مزالة ، ومزالة من هنتاتة.

قال ابن صاحب الصلاة :

(12 أ) وكان له ـ رضي الله تعالى عنه ـ رجال يخدمونه* في داره ، يسمون أهل الدار [1] من أصحابه ، يختصون به في ليله ونهاره ، وهم المعروفون بأهل الدار . أخصهم بـه : عبد الواحد بن عمر ، وأبو محمد وسنـار [2] بن محمد ، وأبو محمد عبد العزيز ، وأبو موسى عيسى ، وعبد الكريم أفغو .

(13 أ) ....* [3] فطالما كنتم في أيام زناتة ، يأتي الرجل الى داره، فيجد الزناتي بإمساك فرسه على باب الدار ؛ فما شبعتم الخبز الا في أيامنا، ولا اكتسبتم المال إلا في دولتنا ! . . وكلاما كثيراً مثل هـذا . فاعتـرفوا بالخطأ ، واشتغلوا له بغرمه الى أن استوفاه بعد أن غرم فيه العمى والمباطيل ، ثم كلفهم حصة كثيرة بسلاحها .

باب أخبار سنـة ست عشرة وخمسمائة :

من أخبار هـذه السنة ابتداء إعـلام الإمام المعصوم المهدي المعلوم ـ رضي الله تعالى عنه ـ بإعلان أمره العزيز ومبايعة الناس له.

1) عن أهل الدار قارن ما أورده ابن القطان هنا نقلا عن ابن صاحب الصلاة بما أثبته البيذق (ص 29) ، وفيه زيادة عما هنا واختلاف في بعض الاسما' .

2) في الاصل : وسنان .

3) واضح أن هذا بقية كلام لمحمد بن تومرت المهدي .

مقدمة لأيامه العظيمة بذكر جمليات
من أموره الكريمة رضي الله عنه .
نسبـه [1] .

هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام ابن عدنان بن سفيان* بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد (13ب) ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم .

وقيل مثل ذلك سواء إلى عدنان، فنسب هكـذا : عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسـار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم [2] .

وقيل إنه رضي الله عنه : محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل [3] ابن حمزة بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد اللـه بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم [4] .

1) عن نسب محمد بن تومرت واختلاف الآراء فيه انظر : ابن خلدون : العبر 6 / 225 ـ 226 ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان 4 / 137 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس 2 / 101 ـ 104 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين ص 1 ؛ الحلل الموشية ص 75 ؛ كتاب الانساب ص 21 ؛ وانظر كذلك مناقشة أويثي لمختلف آراء المؤرخين القدامى في كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » 1 / 27 وما بعدها .

2) ورد هذا النسب في كتاب « الانساب في معرفة الاصحاب » ص 21 ، على أن مؤلف هذا الكتاب أتبع ذلك بقوله إن قرابة ابن تومرت وأهل العناية بشأنـه لا يعرفونه .

3) في الاصل : مصل ، والتصويب عن كتاب « الانساب » ؛ وفي العبر لابن خلدون : يا مصال ، وهو ينص في هذا الموضع على أنه إنما نقل هـذه النسبة عن نفس ما كتبه ابن القطان (العبر 6 / 225) .

4) يتفق هذا النسب مع ما جاء في كتاب « الانساب » ، وهو ما أكد مؤلف هذا الكتاب على أنه الصحيح .

وكان والده ـ رضي الله تعالى عنه ـ قد لقبه أخته بتومرت،[1] ويقال له أيضا الشيخ، ويقال له أيضا أمغار[2] . فهو عبد اللـه، وتومرت، والشيخ، وأمغار .

وعاش والده إلى أن لحقه ببجاية قافلا، فأكد عليـه في القفول[3] شوقا إليه ، فلزمه بره ، فقفل رضي الله تعالى عنه

ولقبه ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

(14 أ) المهدي ؛ لقبه بذلك العشرة من أصحابه ساعـة مبايعتهم* له أولى بيعة انعقدت له، كما سيأتي بعد تمام هذه المقدمة إن شاء الله تعالى.

وقد وقفت على نسخة صك[4] كتبه ـ رضي الله تعالى عنه ـ للفقيه

---

1) في الاصل : بتومرت ، وهو يقصد أن اسم تومرت هذا إنما أطلق عليه من أجل ذلك ، أما هذه الكلمة فهي تعني على الارجح ضرباً من الاكسية الجلدية ، ومن الطريف بمناسبة هذه الكلمة البربرية ما ذكره ليڤي بروڤنسال عنـد نشره لقطعة من « نظم الجمـان » تتضمن هذا النص (Mélanges René Basset, p. 369) أن الاستـاذ رينيه باسيه قد أفاده بأن هناك كـلمة قريبة من هذه ما زالت شائعة لدى أهل جزر كناريا ، وهي Tamarco ومعناها « كساء من الجلد أيضا » ـ وأنه ربما كانت هـذه الكلمة ولفظ تومرت من أصل واحد .

2) هذه الكلمة هي الترجمة البربرية للفظ « الشيخ » .

3) في الاصل : القبول.

4) في الاصل : مك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ؛ وتحتمـل أن تكون أيضا : ما أو مما .

القاضي علي بن ابي الحسن الجذامي (1) أوله بعد البسملة والصلاة. «أقول وأنا محمد بن عبد الله تومرت وأنا مهـدي آخر الزمان»؛ وتاريخه آخر

1) لم نهتد لشخصية القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي هذا ، وقد أشار ليفي بروفنسال فى تعليقه على هذا النص الى شخص كان يسمى علي بن أحمد بن محمد الجذامي ، عاش فى سبتة ، وتوفي سنة 532 هـ. (ترجم له ابن الابار فى المعجم ، رقم 260 ؛ وابن الزبير فى صلة الصلة ، ترجمة ، رقم 175) . (انظر Mélanges p. 370 n. 1' ونضيف الى ذلك أن هذا القاضي ينبغي ان يكون من أسرة بني الحسن المشهورة التي تولى كثير من أفرادها القضاء في ريسة (مالقة) بالاندلس والتي ينتسب اليها القاضي ابن الحسن النباهي الجذامي صاحب كتاب « المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا » ، ونحن نعرف من هذه الاسرة ممن يحتمل أن تكون الاشارة اليه فى هذا النص - لولا اختلاف الاسم - القاضي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي الذي ولى قضاء غرناطة سنة 515 ، وتوفى سنة 519 (كتاب المرقبة العليا المذكور - ط. ليفي بروفنسال ص 100 - 106) . وربما كان أيضا أبا علي الحسن بن ابرهيم بن محمد الجذامي المالقي الذي ترجم له ابن الابار وقال إنه رحل حاجا ، فأخذ عنه بالاسكندرية سنة 515 ، ولم يحدد ابن الابار تاريخ وفاته (انظر معجم أصحاب أبى علي الصدفي رقم 63) . وربما يكون أبو علي الحسن هذا قد التقى بابن تومرت في أثناء رحلته إلى المشرق.

وربما كان المقصود هو أبا الحسن علي بن محمد الجذامي البرجي نسبه إلى برجة (من عمل المرية) ، وكان مشاوراً في الاحكام ، سمع من أبى علي الصدفي ، وتوفى سنة 509 ؛ وقد ذكر له ابن الابار موقفا صلبا ضد إحراق كتب الغزالي إذ أفتى بتأديب محرقها وتضمينه قيمتها مما أغضب عليه قاضي قرطبة ابن حمدين. وربما رجح هذا كون أبا علي المذكور هو الذي كتب إليه ابن تومرت الصك المشار إليه هنا، إذ أن موقفه هذا ضد السلطات المرابطية قد يكون مما قرب بينه وبين ابن تومرت المهدي (انظر ترجمة فى معجم أصحاب أبى علي الصدفي ، رقم 253 ؛ وابن الزبير : صلة الصلة ، رقم 153) . على أنه يعترض هذا الفرض أن الصك الذي كتب به تومرت كان مؤرخا فى سنة 511 ، بينما توفي علي بن محمد الجذامي المذكور فى سنة 509 على ما يقول ابن الابار أو فى حدود سنة 510 على ما ذكر ابن الزبير .

شهر رمضان المبارك عام أحد عشر [1] وخمسمائة ؛ فجاء من هذا انه كان يلقب بذلك من قبل.

وكان رضي الله تعالى عنه يلقب في صغره وهو يقرأ في المكتب « أسفو » ، [2] ومعنى « أسفو » بالبربرية « الضياء » لملازمة إيقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة.

وأمه ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

من بني يوسف من مسكالة من أهل السوس ، من موضع أصروان يسمج ؛ وبنو يوسف هم أخوال الامام المهدي ـ رضي الله تعالى عنه ـ ، وكانت أمه ـ رضي الله تعالى عنه ـ قد أعنست . فلما خطبها أبوه وكان فقيرا * رغبوا في مصاهرته . فلما ولد الامام المهدي ـ رضي الله تعالى عنه ـ اجتمع عند أبيه وأمه هدايا كثيرة ، فكان ذلك سببا لغنى [3] والد الامام المهدي ـ رضي الله تعالى عنهم ـ . (14 ب)

ومولده ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

بموضع يسمى نومكران ، وهو موضع لا ماء فيه ، وإنما يشرب أهله ماء المطر ، وهنالك داره.

وصفته [4] ـ رضي الله تعالى (عنه) ـ :

---

1) في الاصل : إحدى .

2) أشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون (العبر 6 / 226) ، ولو أن هذا اللفظ ورد لديه « أسافو » ، وانظر مادة « محمد بن تومرت » التي كتبها رينيه باسيه في دائرة المعارف الاسلامية 2 / 451 ـ 453) .

3) في الأصل : الغناء .

4) في صفة المهدي انظر كذلك ما جاء في روض القرطاس لابن أبي زرع 2 / 122 ـ 123 .

ربعة ، مفلج الثنايا ، قليل اللحية ، في خنصر إحدى يديه شبه الخاتم من اللحم، حصور لا يأتي النساء.

وأخلاقه ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

كان شجاعا، [1] كريما . مصمما على الحق ، لا يأخذه في الله لومة لائم ، عالما متمليا من علوم الحديث والاصولين: أصول الفقه وأصول الدين؛ وكان في صغره ملازما للمسجد ودرس لوحه ؛ ليست له صبوة ولا شهوة؛ وكان ـ رضي الله تعالى عنه ـ ينهي عن التقليد وقراءة [2] كتب الرأي* (10 أ) مجتهداً متبحراً مصيباً في كل الامور . رضي الله تعالى عنه .

عصمته . ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

هذه الصفة كرامة من كراماته ـ رضي الله تعالى عنه ـ ، خصه الله تعالى بها ، وبنقل آحاد أشخاصها تتحقق جملتها.

فمن عصمه ـ رضي الله تعالى عنه : ـ عصمته من أهل الاسكندرية ، فإنه رأى بها مناكر فغيرها، وأغلظ في أمرها، فقامت عليه العامة والغوغاء، فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي [3] ـ رحمه الله تعالى ـ ،

---

1) في الاصل : سجاعا .

2) في الاصل : وقرات .

3) هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن أبي رندقة ، ولد في طرطوشة Tortosa سنة 451 ، ودرس في بلده وفي سرقسطة ، إذ كان تلميذاً للفقيه المعروف أبي الوليد الباجي ، وكانت له رحلة إلى المشرف في سنة 476 حج فيها ودرس في بغداد والبصرة ودمشق وبيت المقدس والقاهرة ، واستقر أخيراً في الإسكندرية ، وهو صاحب كتاب « سراج الملوك » الذي انتهى منه في سنة 516 وأهداه إلى الوزير المصري المأمون البطائحي، وكانت وفاته في سنة 520 (انظر في ترجمته المادة التي كتبها عنه الأستاذ محمد بن أبي شنب في دائرة المعارف الإسلامية 2 / 378) والمراجع المذكورة ، والمقدمة التي صدر بها الاركون Maximiliano Alarcón الترجمة الإسبانية التي اضطلع بها الكتاب « سراج الملوك » تحت عنوان Lámpara de los Príncipes ، وقد نشرت هذه الترجمة في مدريد سنة 1930

ولم ينله من بأسهم ـ على غربته وشحط داره ـ أكثر من هذا؛ فلما فقده الطرطوشي بحث عنــه حتى أعلــم بمكانه ، فقصد إليــه وهو في مسجــد الاخضر [1] على ساحل البحر ، فترامى عليه ، وصافحه ، وسأله عن سبب غيبته عن مجلسه ، فعرفه بشأن أولئك الغوغـاء ، [2] وأنه يريد الاياب إلى المغرب ، فودعه ـ رضي الله تعالى عنه ـ وانصرف .

(10 ب) ومن عصمه ـ رضي الله تعالى عنه ـ منع أهل* المركب من تغريقه ، وقد هموا بذلك ، وما أظهره الله تعالى في ذلك من العبر ، وذلك أنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ ركب البحر في سفينة من الاسكندرية يريد بلاد المغرب ، فرأى في المركب خمرا ، فأراقه ، فصاح عليه صاحب الخمــر وسبه ووضع يده فيه ، فاجتمع اهل المركب إليه ورغبوه حتى سكت ؛ ثم حضر وقت الصلاة ، فأمرهم بالصلاة ، فلم يلتفتوه ، فشدد عليهم ، فغضبوا وهموا بإلقائه من المركب ، فهال عليهم البحر ، وكادوا يغرقون ، فقام إليهم رجل حاج فقال لهم : تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل لعل الله تعالى يفرج عنكم! فأقبلوا نحـوه متضرعين راغبين ، فقال لهم ـ رضي الله تعالى عنه ـ صلوا

---

1) كـذا في الأصل ، وقـد أشـار ليڤي بروڤنسال عند تعليقه على هذا النص (Mélanges , p. 372 ، n . 3) إلى أنها قد تكون تحريفا للفظ « الخضر » إذ أن من مساجد الإسكندرية المعروفة مسجداً ينسب للخضر عليه السلام (انظر مادة الإسكندرية التي كتبها روڤن جيست Rhuvon guest في دائرة المعارف الإسلامية 2 / 571) ، وهناك باب من أبواب الأسوار القديمة في مدينة الإسكندرية ما زال معروفا باسم « الباب الاخضر » ، وربما كـان المسجد الذي يشير إليه ابن القطان في هذا النص موجودا على مقربة من ذلك الباب .

2) في الاصل : الغرفاء ، وقد قرأها ليڤـي بروڤنسال : العزقـاء ؛ ونظن أن الصواب ما أثبتنا

فتوضأوا وصلوا ، فكشف الله تعالى ما بهم ، وجرت السفينة بريح طيبة : فصاروا يطلبون منه الدعاء كل يوم [1] .

ومن عصمه - رضي الله تعالى عنه - منع علي بن يحيى بن تميم [2] منه، وهو صاحب * المهدية ، ونجاته - رضي الله تعالى عنه - من شره، (16 أ) وذلك انه لما احتل بالمهدية - رضي الله تعالى عنه - رأى بها سوقا تباع فيه الخمر، فكسر دنانها وأراقها، وغير المنكر. فغيظ بذلك واليها على المذكور. وهم به، ثم رأى أن يوجه إليه المازري [3] الفقيه. فتوجه اليه وعاتبه. [4] ورفق به وقال له : أخاف عليك عاديته وعادية جنده ! فخرج إلى المنستير

---

1) وردت هذه القصة مع بعض الاختلاف في تفاصيلها لدى ابن خلكان : الوفيات 4 / 138 ، وابن الاثير : الكامل 8 / 294 ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 176 .

2) ذكر ابن خلكان أن محمد بن تومرت انتهى الى المهدية بعد سفره من مصر في عهد يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (الوفيات 4 / 138) ، وقد جعل ذلك في سنة 505 ، وكان قد ذكر في ترجمة تميم بن المعز أبي يحيى هذا أن ابن تومرت قد اجتاز بالمهدية في عهده بعد عودته من المشرق (الوفيات 1 / 272) ، وذلك نقلا عن كتاب « أخبار القيروان » لعبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز ، وقد نبه ابن خلكان على ما في ذلك من تناقض واضطراب ، أما ابن الاثير فإنه يتفق مع ابن خلكان في الرأي الاول ، وهو ان ابن تومرت دخل المهدية في سنة 505 في أيام يحيى بن تميم (الكامل 8 / 294) وذلك خطأ ، إذ ان دخول ابن تومرت المهدية لم يحدث الا في سنة 511 في عهد علي بن يحيى بن تميم الذي حكم إفريقية ما بين سنتي 509 و 515 .

3) هو الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الصقلي المتوفى سنة 536 (انظر في ترجمته كتاب الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا : الامام المازري - من منشورات لجنة البعث الثقافي - ط . تونس 1955) . هذا وقد ذكر الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه (ص 52) أن محمد بن تومرت المهدي تلمذ على الامام المازري .

4) في الاصل : وعاديت ، ونظنها تحريفاً لما أثبتنا .

ومن عصمه - رضي الله تعالى عنه - منع العزيز بن منصور بن الناصر ابن علاءُ الناس بن حماد [1] منه . وقد غاظه [2] وأغضبه ، وسلامته - رضي الله تعالى عنه - من عدوه ، وهو ملك بجاية ، وذلك أنه - رضي الله عنه - لما دخل بجايـة لقي بها الصبيان في زي النساءُ بالضفائـر والاضراس [3] والزينة وشواشي [4] الخز ، وألفى [5] الارذال قد فتنوا بذلك وانهمكـوا . فغير المنكر جده ، وأزال ذلك الزي مستطاعه .

ثم حضر عيداً ، فـرأى فيه من اختـلاط الرجـال بـالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لايحل ، فزجرهم وغير ذلك عليهم فوقعت لأجل (16 ب) ذلك نفرة * استطال فيها الشر ، وسلب النساء حليها ، وقام الهرج ، فسأل العزيز عن سبب ذلك ، فعرف بأنه لا سبب له الا الفقيه السوسي، وكذلك كان - رضي الله تعالى عنه - يعرف بالمشرق ، ووجد المشنعون سبيلا إلى القول فيه ، فقالوا وأوغروا [6] عليه قلب العزيز ، فأمر بجمع الطلبة لمناظرته في جرأته على الملوك .

فاجتمعوا في دار أحدهم ، واحتفلوا [7] في إعداد المطاعم والمشارب ،

---

1) العزيز بن المنصور بن الناصر بن علاءُ الناس (علنـاس) الحمادي أمير المغرب (بجاية وبونة والجزائر وقسنطينة) ، ولي الحكم سنة 498 هـ (1105 م) حتى وفاته في سنة 515 (1121 م) . انظر مادة « بني حماد » في دائرة المعارف الاسلامية بقلم الاستاذ ج . إيفير (2 / 268) .

2) في الاصل : غاضه .

3) أي الاسورة .

4) جمع شاشيـة ، وهي غطاءُ للرأس (انظر ديـزي : ملحق القواميس العربية 1 / 802) .

5) في الاصل : وألقى .

6) في الاصل : وغروا .

7) في الاصل: واختلفوا .

ووجهوا عن الإمام ـ رضى الله تعالى عنه ـ إلى المسجد الذي كان يحل فيه ، فامتنع من الوصول إليهم . فوجهوا اليه الكاتب عمر بن فلفول، (1) فلاصقه وأقسم عليه ورغبه وتضرع إليه حتى أسعفه ، فوصل إليهم ، فناظروه وساءلوه ، فأجابهم ما أسكتهم ، ثم سألهم فما أحاروا جوابا . ولاطفه ابن فلفول عند ذلك يراوده على ترك ما هو بسبيله من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ....

.........* بها إلى الباطل ، وطاعة أهل التجسيم بالفساد ، (17 أ) والانحياز إلى جنبتهم ، لينالوا بذلك غرضهم . ويصلوا إلى بغيتهم ، وقالوا لهم : طاعتهم والانقياد لهم واجب عليكم مع علمهم بعتاة الظلمة وخروجهم عن السبيل ، وقالوا لهم : يجب عليكم ـ مع علمهم ـ السمع والطاعة فى كل ما أمروكم به . مع علمهم أنهم لا يأمرون إلا بالباطل والفساد والضلال وهلاك الحرث والنسل ، وقالوا لهم : تلزمكم طاعتهم في ذلك كله اتباعاً لأهواء الكفرة وافتراء على الله ، وبغضوا اليهم أهل التوحيد ، وحذروهم من الرجوع وسلوك سبيلهم ، وحاولوا تبديل الكلام وتحريف القول بالزور والبهتان، وتقولوا علينا بما لم نقل تهجينا وتبغيضا للحق عند العوام حتى لا يصغوا إليه ولا يقبلوه ، وعدوا لهم جملا من الأبواب ، ونسبوا ذلك كله إليه ؛ وأنهم أحدثوا من المناكر والمغارم ، وتقلبهم في السحت والحرام ، يأكلون منه ويشربون ، ويغدون ويروحون .

---

1) في الاصل : فلبول ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وسترد بعد ذلك بقليل كما ذكرنا .

وقال كعب بن عجرة [1] : ما من لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى بـه . وقال: قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون* بعدي ، فمن غشي [2] أبوابهم وصدقهم على كذبهم وأعانهـم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد الحوض علي [3] .

(17 ب)

وذكـر قول رسول الله صلى اللـه تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم [4] : وددت أني قـد رأيت إخواننا ! قالوا : يا رسول اللـه ، ألسنـا بإخوانك ؟ قال : بـل أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعـد ، وأنا فرطهم على الحوض.

قال :

ففيه تنبيه على طائفة الحق الذين صبروا على دينهم بعده، وتمسكوا

---

1) كعب بن عجرة صحابي روى له عن رسول الله (صلعم) سبعة وأربعون حديثا ، وروى عنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وعبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وآخرون ، سكن الكوفة وتوفي بالمدينة سنة 51 أو 52 أو 53 هـ. (انظر ترجمته لدى النووي : تهذيب الاسماء واللغات ـ ط . القاهرة ـ ن 1 ـ 2 / 68) . هذا وقد ورد هذا النص وما يليه في كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي باختلاف قليل (انظر ص 261 وما يليها).

2) في الاصل : وغشا .

3) جاء هذا الحديث مع خلاف يسير في بعض ألفاظه في صحيح البخاري (ط . القاهرة سنة 1312 هـ .) 9 / 46 ؛ كما أثبته أيضا السيوطي في كتاب الجامع الصغير (انظر فيض القدير للمناوي 6 / 361) ؛ وراجع « أعز ما يطلب » لابن تومرت ص 261 ـ 262 .

4) جاء هذا الحديث وبقيته الواردة بعـد في سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية الامام السندي ـ ط . القاهـرة سنـة 1930) 7 / 160 ـ 161 ؛ وانظر « أعـز ما يطلب » ص 261 .

بسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام؛ وفيه تنبيه على طوائف أهل الباطل الذين تركوا دينهم بعده وارتدوا وبدلوا وغيروا وجسموا وعاندوا الحق.

قال عليه الصلاة والسلام: فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم! ألا هلم! فيقال: إنهم قد بدلوا وغيروا بعدك، فأقول: فسحقاً! فسحقا! فسحقاً!

وحذر - رضي الله عنه - من الملبسين الذين يتوسلون بفتياهم إلى باطلهم وأهوائهم، ونص قول رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أن: لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم لقبض العلماء. حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فافتوا بغير* علم، فضلوا وأضلوا.[1] وهو في الصحيحين، وهو (18 أ) مشاهد في الوجود محسوس.

وحذر من أعوانهم الذين رجعوا إليهم وباعوا دينهم بعرض من الدنيا. يصبح أحدهم مؤمنا ويمسى كافراً، يبيع أحدهم دينه بدنيا غيره، ونص قول رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم: بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض[2] من الدنيا[3].

قال:

وفتنة الدين أكبر، إذ لا فتنة أعظم من الارتداد والتبديل والتغيير.

---

1) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم (ط. القاهرة سنة 1333 هـ.) 8 / 60 ؛ وراجع « أعز ما يطلب » ص 261 ،

2) في الاصل: بغرض.

3) ورد هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل، ومسند الترمذي وصحيح مسلم (انظر عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير 3 / 193).

وحذر من أعوانهم عبيد الدينار والدرهم والخميصة (1) الذين كانوا تحتهم في الذل والهوان ، تركوا دينهم وخسروا آخرتهم ، ابتغاء مرضاتهم خوفا على دنياهم ، ورضاهم ممتنع لا يدرك ، ودنياهم فانية لا تبقى ، فخسروا الدنيا والاخرة ، ملعونين على لسان رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم .... الحديث ، وفيه : ... رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها وفى ، وإن لم يعطه منها لم يف (2) .

قال :

فإذا بهم يميلون مع الدنيا حيث مالت ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، ولا لمن* وافق مرادهم ، هذه حالهم المشاهدة منهم . (18 ب)

قال :

وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بمخالفة أهل الباطل في رأيهم وأفعالهم ، وقال : خالفوا اليهود وخالفوا المشركين (3) .

---

1) الخميصة الكساء الاسود المعلم ، وهو يشير هنا إلى الحديث النبوي الشريف « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة: إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض»، إشارة إلى فتنة المال . (انظر صحيح البخاري 8 / 92 وسنن المصطفى لابن ماجة القزويني 2 / 534 ؛ وقد ورد هذا الحديث أيضا فى باب « بيان طوائف المبطلين من الثمين والجسمين وعلاماتهم » من كتاب « أعز ما يطلب » لابن تومرت ص 263).

2) جاء هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ، وتمامه : « ... رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا ، فصدقه ، وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماما .... الخ (انظر فيض القدير للمناوي 3 / 330 - 331)

3) الحديث : «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»، وقد أورده أبو داود والحاكم والبيهقي ، وزاد ابن حبان في روايته « ... والنصارى » (انظر فيض القدير 3 / 431) .

قال :

وكذلك المجسمين ، هم يشبهون النساء في تغطية الوجوه والتلثم [1] والتنقب ، [2] ويتشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقب، [3] وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء . فقد شملتهم اللعنة جميعا ، ومن كثر سواد قوم فهو منهم .

وقال الله تعالى : ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار [5] . . . الاية ، وقال تعالى : لا تجد قوما يؤمنـون بالله واليـوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله [6] . . ، الاية ، وقال تبارك وتعالى : يأيها الذين آمنـوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أوليـاء تلقون إليهـم بالمودة [7] . . الايـة ، وقال سبحانه : ومن يتولهم منكم فإنه منهـم ، [8] وقال سبحانه : ومن يتولوهـم

---

1) في الاصل : والتلثيم .

2) في الاصل : والسقب .

3) في الاصل : نتف .

4) يشير إلى الحديث النبوي الشريف « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء » وقد أورد هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده (انظر فيض القديـر 5 / 271) ؛ وهنـاك أحاديث أخرى في نفس المعنى منها حديث « لعن الله المخنثين من الرجـال ، والمترجلات من النساء » أورده البخاري في كتاب « الادب المفرد » والترمذي (انظر فيض القدير5 / 271) ؛ وكذلك حديث « لعن الله الرجل يلبس لبسـة المرأة، والمرأة تلبس لبسـة الرجل » ، أورده الحاكم النيابوري في « المستدرك » (فيض القدير 5 / 269) .

5) سورة هود ، آية رقم 113 .

6) سورة المجادلة ، آية رقم 22 .

7) سورة الممتحنة ، آية رقم 1 .

8) سورة المائدة . آية رقم 51 .

فأولئك هم الظالمون .[1] وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : الحب والبغض في الله من علامات اليقين[2] .

(19 أ) * وطاعتهم حرام لانهم كفار ومنافقون ومتبعو الهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون . قال الله تعالى في تحريم طاعة الكافرين : يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين .[3] وقال سبحانه في تحريم طاعة المنافقين : ولا تطع الكافرين والمنافقين .[4] وقال في تحريم طاعة من اتبع الهوى : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه[5] وكان أمره فرطا .[6] وقال سبحانه في تحريم طاعة المعتدين : ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم[7] . . . الاية . وقال سبحانه في تحريم طاعة المفسدين . ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون .[8] وقال عز وجل في تحريم طاعة الجاهلين : ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا .[9] وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته المقربون الكرام عليه وسلم : على

---

1) سورة الممتحنة ، آية رقم 9 .

2) جاء في صحيح البخاري (1 / 11) : والحب في الله والبغض في الله من الايمان .

3) سورة آل عمران ، آية رقم 149

4) سورة الاحزاب ، آية رقم 1 ، وآية رقم 48 .

5) في الاصل : هوبه

6) سورة الكهف ، آية رقم 28 .

7) سورة القلم ، آيات 10 ـ 13 .

8) سورة الشعراء ، آية رقم 151 ـ 152 .

9) سورة الجاثية ، آية 18 ـ 19 .

المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصيـة ، فإن أمر بمعصية فلا سمـع ولا طاعة . (1)

واستدل على وجوب قتالهم بقول الله عز وجل : يأيهـا الذين آمنـوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكـم غلظـة (2) . . . الاية ، وبقول رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : على المرء السمع والطاعة ، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » فمن قالها فقـد* عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه . وحسابه على الله ؛ فقـال أبو (19 ب) بكر رضي الله تعالى عنه : والله لاقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقـالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم لقاتلتهم على منعـه ؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق . (3)

قال الامام رضي الله تعالى عنه :

فكل من منع فريضة من فرائض الله عز وجل فحق على المسلمين جهاده (4) حتى يأخذوها منه ، فكيف من منع الايمان والدين والسنة ؟ !

---

1) ورد هذا الحديث مع بعض الاختلاف في ألفاظه في سنن المصطفى لابن ماجة القزويني (ط . القاهرة سنة 1349 هـ .) 2 / 202 ؛ وفي صحيح البخاري 4 / 49 - 50 ؛ وفي سنن النسائي 7 / 160 ؛ وفي سنن أبي داود (ط . القاهرة سنة 1348 هـ.) 1 / 409 .

2) سورة التوبة ، آية رقم 123 .

3) ورد هذا الحديث وما تلاه من كلام أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في صحيح البخاري 1 / 14 ، وكذلك في 2 / 105؛ وفي سنن النسائي 5 / 14 - 15؛ وفي سنن ابن ماجة 2 / 457 ؛ وفي سنن أبي داود 1 / 411.

4) في الاصل : جهادهم .

وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم: ما من نبي بعثـه الله في أمتـه قبلي الا كان له من أمته حواريـون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيـده فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل.

وتلا قول الله عز وجل: ولولا دفع [1] الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد [2]. . . الاية.

فكل هذا مما جاء به الامام المهدي رضي الله تعالى عنه ممـا يشهـد بصدق ما أتى به وسعة علمه وعصمته، * فكل هذه العلامات التي ناطهـا (20 أ) بالقوم الذين تولى تغيير ما أتوا به دالة على أشراط الساعة وأنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ هو الامام المهدي المنتظر الموعود ـ رضي الله عنه ـ، وهذا أمر قد وضح بيانه، وصح برهانه، وسطع ضياؤه، وارتفع سناؤه، فسيان الإسهاب [3] في ذلك والاختصار، والإطناب والاقتصار.

ومما رأينا كتبه في هذا المعنى لحسن مساقه، وعجيب اتساقه.

---

1) في الاصل: دفاع.

2) سورة الحج، آية رقم 40.

3) في الاصل: الانتهاب.

رسالة خاطب بها أبو عبد الرحمن بن طاهر (1)
حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الاول الامام
أمير المؤمنين أبا (2) محمد عبد المؤمن بن علي
رضي الله تعالى عنه
يثبت فيها امر الامام المهدي رضي الله تعالى عنه بالدليل والبرهان
على طريق المنازعة بين النفس المطمئنة والنفس الامارة بالسوء
عقلا ونقلا

---

1) نظن أن المعني هنا هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن عبه الرحمن بن طاهر المرسي ، وهو من أسرة بني طاهر المشهورة التي تداولت رياسة مدينة مرسية Murcia وكورتها فترة طويلة ، وجده وسميه أبو عبد الرحمن بن طاهر هو الذي تغلب على مرسية أيام ملوك الطوائف حتى أخرجه منها واعتقله أبو بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد ، وتوفي أخيراً في بلنسية سنة 507 (راجع عن ابن طاهر هذا ابن بسام : الذخيرة - مخطوطة مكتبة المجمع التاريخي الملكي بمدريد ، ورقة رقم 15 - 18 ب ؛ ابن خاقان : قلائد العقيان ص 56 - 70 ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 160 ، 201 - 203 ؛ ابن سعيد : المغرب 2 / 247؛ وانظر الفصل الذي اختصه به وبينيه المستشرق الاستاذ جاسبار رميرو في كتابه « مرسية الاسلامية » ص 105 - 116 Gaspar Remiro: Historia de Murcia (Musulmana, et Zaragoza, 1905 أما المقصود في هذا النص فقد ترجم له ابن الابار (التكملة رقم 774 ص 238) وقال إنه تفقه ورحل إلى قرطبة وسمع من شيوخها وأجاز له ابن العربي وغيره ، وكان يذهب في جميع ما يحمله إلى الدراية ، ثم طالع العلوم القديمة فبرز فيها وصار من أئمتها ، وتولى رياسة بلده مرسية بعد انقراض دولة المرابطين ، وكانت وفاته بمراكش سنة 574 . ولعل ابن الابار يشير إلى كتابته الرسالة الواردة هنا إذ يقول في ترجمته المشار إليها « وتلون للناس رغبة في السلامة » ، فهو يعني - على ما نرجح - تزلفه إلى الموحدين بكتابة مثل ذلك ، ولعله من أجل هذه الرسالة كافأه عبد المؤمن بن علي بتوليته على بلده مرسية كما ذكر ابن الابار .

2) في الاصل : أبي .

وهي هذه بنصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله .

أقول ـ بعد حمد الله تعالى والصلاة على محمد المجتبى وعلى عترته [1] أهل الفضل والنهي ـ .

(20 ب) بينما كنت متحير* النفس ، نازع الانس ، لكوني مقيما في مدن جاهلية ، وسير فاسدة خسية ، وفتن مدلهمة ، وأمور على الجملة مخيفة مهمة ، إذ كان كل ذى فتنة منهم يدعو إلى الشرور المحظورة ، ويضطرنا إلى أن ندخل معه في الامور المحذورة ، متشوقا إلى مدينة فاضلة ، وإمرة عادلة ، وسيرة شرعية كالة ، تجب الهجرة إليها عقلا وشرعا ، من جهة أنها حق طبعا ، غريبا في هذه الدنيا ، رديء العيش خير لي أن أموت من أن نحيا ـ إذ وافاني بعض الاخوان معلما أنه من المهاجرين إلى حضرة إمام الموحدين المسمى حقيقة بأمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، فتنسمت ريح الحياة اللذيذة الشرعية ، واستشمرت الازاحة عن هذه المدن الضالة الجاهلية ، وقلت : عسى أن الحياة الان هي الخير ، لنزداد من فعل ما نسعد به ، إذ قد ارتفع العائق والضمير !

ثم إنه نازعتني نفسي النزوعية ، وقالت لي :

ـ أنى لك بحقيقة هذه الاريحية !

وردت عليها النفس المطمئنة الفكرية ،

(21 أ) وهذه النفس النزوعية هي التي عناها القائل* بقوله :

أقول لنفسي حين فاجأها الردى ولاذت [2] فراراً من يسار إلى يمنى

1) في الاصل : عثرته .

2) في الاصل : ولانت .

قرى تحملي بعض الذي تكرهينه فقد طالما اعتدت الفرار إلى الاهنى

والنفس اللائذة هي النزوعية ، والقائلة للنزوعية : « قرى تحملي... » هي المسماة عند نحويى العرب ضمير المتكلم ، وهي النفس النطقية الفكرية ، وهذا بعينه عنى القائل بقوله :

قالت لي النفس إني في أذى وقذى فقلت : صبراً واجمالا كذا يجب

وهذه النفس النطقية هي النفس المطمئنة التي قال الله تعالى فيها : يأيتها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي (1)

والنفس النزوعية هي التي قال الله تعالى فيها : إن النفس لامارة بالسوء ، (2) وهي التي تضاد كثيراً للنفس المطمئنة ، وذلك أنه إذا حكمت النفس المطمئنــة أن الامــام المهدي أبا عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي ـ رضي الله تعالى عنه ـ مهدي على الحقيقة ، وملك على الاطلاق ، وإمـام أول ، وأنه الذي بشر به جـده محمد صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فكان ينتظر ويؤمل ـ قالت الامارة بالسوء :

ـ وكيف ذلك ؟

قالت المطمئنة :

ـ ألم تكن مدن الملثمين مدنا ضالة فاسقة خبيثة ،* نذلة في الغاية ، (21 ب) تغلبية حسبما تقــدم وبين فى « رسالة الامامة» ؟ وكان كل إنسان يظن لضعف يقينه أن خلعهم من المحال ، وأنه لا يستطاع عليه على حال؟ وإنهم سرحوا الناس وأنفسهم إلى الافعال البهيميــة ، وأزاحوهم وأزاحوا أنفسهم عن الافعال الجميلة الشرعية ، وجعلـوا الناس شبــه الالات

1) سورة الفجر ، آيات رقم 27 ـ 30 .

2) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

ليستبدوهم [1] بالاموال والكرامات ، وبالجملة بجميع اللذات ؟ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، « ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا »؛ [2] وإن المهدي أبا عبد الله محمد بن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ قام لاطفاء هذه النار مستعدا ، إذ لم يجد عن ذلك فى الشريعة بدا ، فبادر ـ رضي الله تعالى عنه ـ لها مشمراً مجداً ، وذكرنا الاوضاع النبوية ، ونبه على الطرق الشرعية ، وحض على المسالك الاخروية ، وخسس تلك السير الجاهلية ، والسياسات الفاسقة الدنياوية ، فأعانته الحكمة الالهية ، [3] وأتى فى ذلك بالعجب العجيب ، والامر الغريب ، والله عز وجل يؤيده وينصره ، ويصرف إليه نفوس أهل التوحيد ويظفره ، حتى أعلى به كلمة أهل التوحيد ، وجعله رحمة لقوم مؤمنين ، وأتاح له من الظهور ، والسنا المشهور ، ما ملأ الاقطار البسيطة واستوفاها ، وأوفى* بالامنية على منتهاها ، (22 أ) والامر حتى الآن ينساق ويتصل ، ويطرد ولا ينفصل ، وكل ما جاء به هو الذي ندب إليه جده صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم . أيها الناس ، فليس هذا قد جاء بهدى ؟ فهو مهدى حقيقة ضرورة .

فقالت الامارة :

ـ بلى ، سلمت ، وألقيت بيدي إليك في البيان واستسلمت ، [4] فكيف هو إمام أول ، وملك على الاطلاق ؟

قالت المطمئنة :

ـ أليس القول قد تواتر عندنا أنه آثر ما ينبغي أن يؤثر ، واجتنب

---

1) كذا ، وهي تحتمل وجها من التأويل ، يعني يستبدوا بهم ، وقد تكون تحريفا للفظ « يستعبدوهم » .

2) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

3) في الاصل : إلاهية .

4) في الاصل : واستلمت .

ما ينبغي أن يجتنب ؟ وهل تحصل هذه الخصال لانسان حتى يعرف الفضائل التي هي فضائل بالحقيقة حق معرفتها ، ويعود نفسه أفعالها حتى تصير له هيئة وملكة ، ويعرف الفضائل ثلاثة حسبما قد تبين في كتابنا في « الفضيلة والرذيلة » ؟ وهل تصح المعرفة بهذه على وجهها إلا لمن عرف مراتب الموجودات ، وله قدرة على إنزال كل شيء منها منزله وتوفيته حقه ، حقه الذي هو قسطه ورتبته [1] من مراتب الموجودات ؟ وهل يمكن ذلك حتى يعلم السعادة القصوى بالحقيقة ما هي ، ويحصل أفعالها كلها لتحصل له السعادة ، وتدبيره الناس تدبيراً يحصل لهم به السعادة ؟

وإذا نحن تأملنا أفعال المهدي رضي الله تعالى عنه في خاصة نفسه المتواترة عندنا وجدناها فضائل بالذات خافية ، وإذا تأملنا تدبيره للناس وجدناه كله ينحو نحو السعادة الحقيقية ، فهو عارف ضرورة بالمهنة الملكية ، وبالفضائل* العملية ، وإذا تأملنا تواليفه في العلوم وأغراضه وإغماضه (20 ب) - كما حكى لنا عنه أنه ذكر له أمر الرجل المعروف بالغزالي - كان -، فقال : « ذلك الرجل قرع الباب ولم يفتح له ! » ، أو « ولم يؤذن له » أو « ولم يلج » ، حسبما قال باختلاف الروايات عنه - وما شاكل هذه الاغراض السنية الرفيعة التي لا تصدر إلا عمن استولى على المعارف النصرية ، [2] وتواليفه تشهد لنا بحقيقة هذه القضية ، فإذا هو عارف بالفضائل الفكرية ، والفضائل الخلقية ، وهذا هو الامام الاول الذي يستحق أن يكون ملك المعمورة الكونية ، وارتفعت درجته عن أن يكون خادماً لشيء من الاجزاء المدنية ، بل مدبراً للكل ، حتى تحصل للناس السعادة الحقيقية . ذلك هو الفوز العظيم !

---

1) قد تكون أيضا : ومرتبته .

2) لعلها : النظرية .

وهذا هو الامام الاول على الاطلاق ، أي يستحق أن يكون ملك الناس أجمع بالواجب والاستدلال ،[1] إذ عنده صناعة الملك ، وتدبير المدن قولا وفعلا ، لا يفوته شيء من ذلك أصلا ، اتفق أن أطاعه ناس أم لا ، وهو في ذلك كالطبيب العارف بصناعة الطب ، فهو طبيب في الحقيقة ، وإن لم يستفته ناس* ولا عالج مريضا . هذا هو الحق في نفسه . (23 أ)

ولما رأى أقوام ألا [2] يوقعوا اسم الملك على من لم يكن مطاعا في مدينة ، وآخرون يضيفون [3] الى ذلك القهر والتخويف ـ قلت إنه ملك على الاطلاق ، أي على كل جهة من الوجوه ، إذ كان رضي الله عنه مطاعا يقهر الظالم ويخوف الفاسق ، ولما كانت هذه اللفظة ـ أعني « على الاطلاق » ـ تقع على معنى قولنا « على التحقيق » وتقال على أنحاء شتى منها هذان النحوان : [4] أنه ملك على التحقيق ، وعلى كل جهة أيضا ـ فإذن قد صدق القول في المهدي إنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ مهدي على الحقيقة ، وإنه ملك على الاطلاق ، وإمام أول .

قالت الا مارة بالسوء :

ـ لا جرم ما قضى به الحق تبينت ، فانقدت لذلك وأذعنت ، بيد أنه بقيت واحدة ، فأنى لك بها ؟ وكيف أنقاد لك فيها ؟ وهي قولك : إنه [5] الذي بشر به صاحب الشريعة صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ؟

---

1) في الاصل : والاستهلال ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
2) في الاصل : لا .
3) في الاصل : يصيغون .
4) في الاصل : هذين النحوين .
5) في الاصل : إن .

قالت المطمئنة :

ـ الان تقهرك الحجج [1] الشرعية ، وتبهرك الاقاويل المقنعة الحقيقية : أليس أيتها الامارة بالسوء [2] ....

(قالت الامارة بالسوء :) [3]

ـ بلى !

قالت المطمئنة :

ـ ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي* يوحى ؟ [4]

(28 ب)

فقالت الامارة بالسوء :

ـ بلى !

قالت المطمئنة :

ـ فلينظر الآن أوصافه ـ عليه الصلاة والسلام ـ للمهدي الذي بشر به أنه يكون في آخر الزمان ، فإن صدقت تلك الاوصاف على المهدي أبى عبد الله محمد بن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ لزمك أن تنقادى إلى الحكم بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم .

---

1) في الاصل : الحجاج .

2) يظهر أن كلمات سقطت من هذا الموضع على الرغم من أن الناسخ لم يترك في موضوعها بياضا .

3) زيادة يقتضيها السياق .

4) إشارة إلى الايات القرآنية « وما ينطق عن الهوى ... الخ » ، سورة النجم، آية رقم 3 ـ 4 .

فقالت الامارة بالسوء :

ـ لا أسلم لك نتيجة هـذا القياس ، إذ ليست ضرورية ، ولا أصفق عليها إصفاقا . وعسى أن تكون تلك الصفات اتفقت فيه اتفاقا ، ثم إن المهدي المبشر به الحامل لتلك الصفات سيأتي في المستقبل ، فأنى لك أن هذا هو المبشر به المنتظر المؤمل ؟

قالت المطمئنة :

ـ هيهات ! قد تناقضت أيتها الامارة بالسوء ولم تشعري، وكفرت من حيث لم تدبري ! وذلك إذ [1] قلت « وعسى أنه اتفق » إن وجدت فيه صفات المهدي ، فليس هو أحق أن تقولي فيه هذا من أن تقوليه في الذي (24 أ) يأتي في المستقبل على ظنك الردى ، وكذلك إلى غير* نهاية ، ولا أمد أقصى [2] ولا غاية ، فإذن قد بشر رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بما لا يعرف أصلا ، فإذا لم يخبر عن معنى مفيد بل قال قولا بشارته باطلة اذ لا يتوصل إلى حقيقتها فادن ـ فضلا ، [3] ـ وهو إنما بشر بشيء له عنده معنى ـ فإذا به ينطق عن الهوى ، وقد سلمت أنه لا ينطق عن الهوى ، ومن قال إنه ينطق عن الهوى فقد كفر قطعا، عقلا وشرعا ، فإذا بك كما قلت تناقضت من حيث لم تشعري ، وكفرت من حيث لم تدبري ! وما مثلك عندي إلا مثل يهود الذين قال الله تعالى فيهم « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » [4]

---

1) في الاصل : إذا .

2) في الاصل : أقضى .

3) كذا في الاصل : ولم نهتد إلى وجه في تأويلها .

4) سورة البقرة ، آية رقم 89 .

وذلك أن يهود كانوا أهل كتاب وعلم، وكانت الخزرج أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانت يهود معهم في بلادهم، وكانوا قد غزوهم بها، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا مبعوث الآن، قد أظل [1] زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم وعرفوا صفته واسمه وزمانه الذي كانوا يتوكفون عليه [2] عتوا على الله وأنكروا وقالوا : ليس هو هذا، وإنما يأتي في المستقبل ! ـ أو كما قالوا ـ فكفروا ، ألا لعنة الله على الكافرين .

وكذلك مثلك* أيتها الامارة بالسوء مع المهدي رضي الله تعالى عنه ، (24 ب)

قالت الامارة بالسوء :

ـ صدقت ، وبالحق نطقت ، فقد انقدت في ذلك إليك والآن بقيت واحدة : عليك أن تذكري لي الصفات التي وصف بها النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم المهدي ، ثم ننظر : هل تصدق على المهدي المذكور ؟ فإن صدقت أقررت بذلك ، وانقادت [3] الامور لك .

قالت المطمئنة :

ـ أهلا وسهلا ! لقد قلت فأحسنت قولا .

ذكر الترمذي [4] في كتابه من طرق شتى عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أنه قال : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب

---

1) في الاصل : أضل .

2) أي يتوقعونه وينتظرونه .

3) في الاصل : وانقدت ، وقد تكون العبارة « وانقدت في كل الامور لك » .

4) انظر عارضة الاحوذي لابي بكر ابن العربي الاشبيلي في شرح صحيح الإمام الترمذي (ط . القاهرة سنة 1934) 9 / 74 .

رجل [1] من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي .
ومن طريق أبي هريرة : [2] لو لم يبق [3] من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي . . . وصحح الحديث .
وذكر أبو داود [4] هذا الحديث من طرق كثيرة بزيادات في الحديث ، فمن زياداته : . . . لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي . وزاد من طريق أبي بكر : . . . يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا ؛ ولم يذكر العرب في الملك .
وذكر أبو داود [5] عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم* أنه قال : المهدي من عترتي [6] من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها. (25 أ)
وخرج أيضا عن علي رضي الله تعالى عنه أنه نظر إلى ابنه الحسن ، فقال رضي الله تعالى عنهما : ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ، يملأ الارض عدلا .
وذكر الترمذي [7] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : خشينا أن يكون بعد نبينا صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فقال : إن في أمتي المهدي ، يخرج فيعيش خمسا أو سبعا أو تسعا

1) في الاصل : رجلا .
2) انظر هذه الزيادة في عارضة الاحوذي 9 / 75 .
3) في الاصل : يبقى .
4) انظر سنن أبي داود 2 / 207 - 209 .
5) نفس المرجع 2 / 208 .
6) في الاصل : عشرتي .
7) عارضة الاحوذي 9 / 75.

ـ زيد [1] الشاك ، يعني الراوي ـ ، قال : وقلنـا : ما ذاك ؟ قال : سنين ، قال : فيجيءُ إليـه الرجل ، فيقول : يا مهدي ، أعطيني ! قال : فيحثى في ثوبه ما استطاع أن يحمله !

فهذه الصفات وصف بها رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، ومواطأة اسم أبيه ، وأنه منه ومن أهل بيته وعترته ومن ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وأنه يعيش خمس سنين أو سبعا أو تسعا بعد خروجه ، وأنه يملأ الارض قسطا وعدلا ، وأنها كانت قبل خروجه مملوءة ظلما وجورا ، * وأنه يأتي إليه الرجل فيقول : يا مهدي ، أعطني أعطني! (25 ب) فيحشى في ثوبه ؛ وما قاله علي رضي الله تعالى عنه أنه من صلب الحسن، يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليـه وسلـم في الخلق لا في الخَلق ، والامر محمول على أن ذلك إنمـا علمـه من النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ ليس هـذا مما يدرك بفكر ورويـة ، [2] إذ هو علم بمغيب .

فإذا كانت هذه الصفات عينها [2] عندنا ، ونظرنا هل تصدق على المهدي المذكور رضي الله تعالى فوجد القول قد توازن عندنا : أن اسمه محمد، فقد واطأ اسمه رضي الله تعالى عنه اسم محمد رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ـ قلنا : هذه واحدة قد صدقت .

---

1) روى الترمذي هذا الحديث عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن زيد العمى (بفتح العين وتشديد الميم) عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم . والمقصود أن الشك فى عدد تلك السنين إنما هو من قبل زيد العمى المذكور في السند . وأما زيد هذا فهو زيد بن الحواري البصري قاضي هراة (انظر الخزرجى : خلاصة تذهيب الكمال ـ ط . القاهرة سنة 1322 هـ . ـ ص 108) .

2) في الاصل : ورؤية .

3) في الاصل : عبيده .

ثم وجدنا القول قد توازن عندنا : أن اسم أبيه عبد الله ، فإن اعترض ملحد فإن التواريخ تشهد بأن عبد الله بن إدريس (بن إدريس) [1] بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم كان أميراً لبلاد السوس [2] الاقصى ، ولا شك أن الامام المهدي رضي الله تعالى عنه من بحبوحة بيته ، فقد صح أن اسم [3] أبيه عبد الله ، وأن تومرت لقب له ، فثبت أن له رضي الله تعالى عنه جدين : قريباً وبعيداً ، كل واحد منهما عبد الله، والجد أب لا محالة. ولا منازعة في هذا بين العقلاء، وقد واطأ [4] اسم أبيه اسم (أب) [5] النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم. قلنا : وهذه الثانية قد صدقت .

ثم وجدناه من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فهو من أهل بيته صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ؛ ومن عترته صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم، إذ عترته أعم من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، إذ قد تقع على ذريته وعشيرته الادنين ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : نحن عترة رسول الله صلى الله تعالى وملائكة الكرام عليه

---

1) زيادة تقتضيها صحة الاسم ، إذ هو حفيد إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الادارسة الذي فر من وقعة قرب مكة سنة 169 ودخل المغرب الاقصى سنة 172 ، فبايعه أهل المغرب الاقصى واستقام له الامر حتى توفي سنة 177 ، وخلفه ابنه إدريس الذي حكم حتى سنة 213 . أما عبد الله المذكور هنا فإنه من أبناء إدريس ، ولكنه لم يتول الإمارة (انظر السلاوي : الاستقصا 1 / 171 ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 43) .

2) في الاصل : السوسي .

3) في الاصل : أحمد ، ولا معنى لها هنا ، ولعلها تحريف عما أثبتنا .

4) في الاصل : وطئ .

5) زيادة يقتضيها السياق .

وسلم التي خرج منها، وبيضته التي تفقأت عنه، ولاجل هذا قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بأثر قوله عن المهدي رضي الله تعالى عنه إنه من عترته إنه من ولد فاطمة ليرفع الاشكال، ويزيل الاحتمال؛ وهو أيضا رضي الله تعالى عنه من النبي صلى الله تعالي وملائكته الكرام عليه وسلم من وجه آخر، وهو لقيامه بشريعته ودينه وسيرته، كما تقول «أنا من فلان، وفلان مني» أي أمرنا واحد وأغراضنا واحدة. فإن لفظة «من» [1] مشتركة تقع على هذا النحو * وعلى النحو المتقدم، (26 ب) وكلا النحوين من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه، إذ قام بشريعته، وهو من أهل بيته، قلنا: وهذه الثالثة أيضا قد صدقت.

ثم وجدناه رضي الله تعالى عنه إذ قام بشريعته وهو من أهل بيته قد عاش بعد خروجه تسع سنين على ما تواتر به القول، وهي أحد ما شك فيه زيد، فعلمنا أنه الحق، فهي إذن التي أخبر بها النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم، إذ إنما يخبر عن الحق، فإنه لا ينطق عن الهوى؛ على أنه قد روى عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال: يكون المهدي في أمتي سبعا إن قصر، وإلا فثمانيا وإلا فتسعا؛ [2] فهذا حكم على التسع. قلنا: وهذه الرابعة أيضا قد صدقت.

ثم وجدناه أيضا قد ملأ الارض قسطا وعدلا حسبما تقدم القول فى ذلك، إذ كل بلد انقاد له فنظمته سياسته، وحكمته إمارته العادلة ورياسته ـ أثبت فيه القسط بين الناس والعدل، وتملك نفوس ساكنيها السكينة والفضل، والبلاد في زمان تنقاد له طوعا وتنساق، أو تقاد إلى ملكه كرها

1) في الاصل: منى.

2) انظر سنن أبي داود 2 / 208؛ وسنن ابن ماجة2 / 518.

(27 أ) وتساق * وذاك بين محسوس لا مدفع فيه، فإنه إذن قائم بأمره بعد وفاته، فالحكم فى ذلك حكم فى حياته، وهذا بين قلنا: وهذه الخامسة قد صدقت.

ووجدنا أيضا الارض حين أذن الله تعالى لـه بخروجه قـد كانت إمتلات ظلما وجورا، فقد كان الملثمين وغيرهم من الظلم والجور ما حصل من الشهرة والظهور، أن كان غير خاف عند الخاصة والجمهور. وهـذه السادسة قد صدقت أيضا.

ثم وجدناه أيضا أنه كان يأتيه الرجل فيطلب منه قوته ويناديه: يـا مهدي، أعطني أعطني! . . . الحديث أنه (لا) [1] يأتي إليـه رجل واحد مشار إليه حتى تكون الالف واللام للعهد، إذ لم يتقدم ذكر لرجل ما ولا عرف به صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم، فهي إذن للجنس فإذن معنى الحديث أنها سيرته، فإنه من أتى إلى ذلك فقد أتى إليه حسبما تقدم القول فيه، فيقول: يا مهدي، اعطني. وإن لم ينطق بذلك لسانه فهو يقوله بضميره، والقول في الحقيقة هو في الذهـن حسبما تبين فى الصناعة التي شأنها ان يتبين فيها. « فحثى فى ثوبه ما استطاع ان يحمله » اي ما استطاع ان يحمل مما هو له عدل وقسط. فهو قد بالغ فى إعطائه إذ لم ينقص [2] له من حقـه شيئا. وذلـك هـو الـذي يستطيع ثوب المؤمن الموحد ان يحمله، فإن الزيادة على العـدل ظلـم لا يستطيع ثوب المؤمن الموحد ان يحمله. وقـد يحتمل ان يحمل الحديث

(27 ب) على ظاهره. وقد جاء ان [1] المهدي * رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك إذ أفاء الله تعالى عليه رغائب الانفال، وامتلات أيدي الموحدين من أموال

1) زيادة يقتضيها السياق.

2) في الاصل: تنقص.

3) في الاصل: ويوجد.

أهل الضلال ، وفعل ذلك جائز للإمام ، وكان رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالحلال والحرام . والتأويل الأول أحسن [1] . قلنا : وهذه السابعة قد صدقت أيضا .

وما قاله علي رضي الله تعالى عنه أنه من صلب الحسن رضي الله تعالى عنه ، يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في الخلق ولا يشبهه في الخلق ، فهذه الصفات الثلاث صادقة على المهدي رضي الله تعالى عنه ، إذ هو من ولد الحسن رضي الله تعالى عنه حسبما ذاع واشتهر، واستفاض وظهر .

وأما خلقه رضي الله تعالى عنه فقد تواتر القول بأنه كان محبا في الحق، مؤثراً للصدق، وكذلك قام بإحياء الحق والحق إذ ذاك غير موجود العين ، ووعد أصحابه بمواعد اتضح لهم صدقها اتضاح الصبح لذي عينين، وكان محبا في العدل وأهله ، مبغضا في الظلم وأصله ، جيد الفهم في الغاية من الذكاء ، [2] يعطي الانصاف من أهله وغيرهم بالسواء ، ويرثى لمن حل به الجور كل الرثاء ، سهل الانقياد إذا دعى إلى الحق، لا عوج [3] ولا جموح ، صعب الانقياد إذا دعي إلى الباطل لا مقدم عليه ولا سموح ، قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا ، لا ضعيف النفس ولا خائفا محسورا ، وكان الدرهم والدرهم هينين [4] عنده ،* (28 أ) وكذلك سائر أعراض الدنيا ، كبير النفس ، عالي الهمة ، تسمو نفسه إلى الارفع من الامور والاعلى ، حسن العبارة عما في ضميره جدا ، لا يرهقه التعليم تعبا ولا كدا . وهذه كانت أخلاق جده عليه الصلاة .

1) في الاصل : حسن .
2) في الاصل : والذكاء .
3) كذا ، ولعلها : أعوج أو أوهوج .
4) في الاصل : هين .

ولما كانت هذه الاخلاق في النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، [1] وذلك كمائين يخرجان من عين واحدة قال فيه علي رضي الله تعالى عنه : يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في الخلق لا في الخلق ، وهذا هو حقيقة التشابه .

وبين مما تواتر أن خلقه رضي الله تعالى عنه لم يكن كخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا جميع ما قال علي رضي الله تعالى عنه من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه يصدق كلها على المهدي المذكور رضي الله تعالى عنه . فإذن الثامنة والتاسعة والعاشرة قد صدقت .

ويمكن من زوال الاستقصاء عن حديث رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أكثر من مزاولتي أن نجد أحاديث في صفة المهدي زائدة لما ذكرته من بيان وتمهيد ، على أن في ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قالت الامارة بالسوء :

ـ أبدعت فيما جمعت ، بيد أنه قد وردت أحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في صفة المهدي لا تصدق تلك الصفات على المهدى المذكور . من ذلك : قوله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عله وسلم إنه يملك* العرب ، [2] وهذا لم يملك العرب؛ ومنها قوله (28 ب) عليه الصلاة والسلام : يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل هاربا

1) في الاصل : السلام .

2) انظر سنن أبي داود 2 / 207 .

من أهل المدينة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ... الحديث [1]

قالت المطمئنة :

ـ أما حقيقة هذا الاعتراض ، فلا يحتاج الانفصال عنه إلى إغماض . أما ما ذكرته أولا من أنه قال عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » وذلك لم يملك العرب فقولك إنه لم يملك العرب قول كاذب ، فلذلك لزم عنه كذب ، وذلك أنه قد تواتر القول عندنا إن الامة الموحدة التي قام فيها ونهى كثير [2] منهم أو أكثرهم من العرب ، [3] فإن هذه صفة هي أجدر أن تكون من لصفات التي يستدل (منها) على أنه المهدي رضي الله تعالى عنه الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم من أن تكون من الصفات التي تدل على خلاف ذلك .

وأيضا فإنه لو لم يكن في القوم الذين قام فيهم عرب ولا ملك إلى [4] الآن عربا لم يكن ذلك دليلا [5] على أنه ليس بالمهدي المبشر به ،

---

1) بقية الحديث كما جاء في المرجع السالف الذكر في الحاشية السابقة (سنن أبي داود 2 / 208) : « .. فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من أهل الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثا ، فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ويلقى الاسلام بجرانه إلى الارض ، فيلبث سبع سنين ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » .

2) في الاصل : كثيراً .

3) في الاصل : الغرب .

4) في الاصل : إلا .

5) في الاصل : دليل .

لانه كما تقدمت فقلت إنه سيملك العرب والعجم ، وإن ذلك ينساق له محسوسا لا مدفع فيه ، وإن من قام بالامر بعده فهو كحياته .

(في الرسالة [1] لسيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين أبى يعقوب رضي الله تعالى عنه إلى الناس (من) تونس عام قفصة - وقد جرى ذكر استجلابه لعرب* رياح وانقيادهم إلى مفارقة إفريقية والجواز إلى الاندلس للجهاد - [2] ما نصه : (29 أ)

---

1) هذه الفقرة الموضوعة بين قوسين من الواضح أنها ليست من صلب رسالة أبي عبد الرحمن بن طاهر ، وإنما هي تعليق من مؤلف الكتاب - أي ابن القطان - على ما يتعلق بملك المهدي للعرب تحقيقا لما بشر به النبي (صلعم) في الاحاديث النبوية التي سلف إيرادها عن ظهور المهدي . وقد أقحم ابن القطان هذا التعليق تدليلا على صحة ما ذكره ابن طاهر .

2) يشير المؤلف إلى غزو الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ابن علي لبلاد إفريقية وفتحه لقفصة في سنة 575 ، وما تلا ذلك من استنزال عرب قبيلة رياح وإخراجهم إلى الاندلس برسم الجهاد (عن هذه الاحداث انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 252 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب - الجزء الخاص بالموحدين نشر أويثي ميراندا ، تطوان سنة 1956 - ص 31 - 35 ؛ ابن خلدون : العبر 6 / 240 - 241 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس 2 / 188 - 189 ؛ السلاوي : الاستقصا 2 / 136 - 137) . وقد أشار ابن عذاري فيما كتبه نقلا عن ابن صاحب الصلاة إلى الرسالة التي وجهها الخليفة الموحدي بهذه المناسبة والتي اقتطف منها ابن القطان هذه الفقرة؛ هذا وقد كان من بين الرسائل الموحدية التي نشرها ليڤي بروڤنسال تحت عنوان « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » (ط . الرباط سنة 1941) - رسالة كتبها عن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة في سنة 576 بهذه المناسبة ، ولم يرد النص المنقول هنا في هذه الرسالة وإن كانت فيه عبارات تؤدي نفس معنى ما يشير إليه ابن القطان : « . . . وأن الله وعد هذه الطائفة المنصورة - أي الموحدين - أن تملك العرب ، كما بشر به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . . . الخ » (انظر الكتاب المذكور ، الرسالة السادسة والعشرين - ص 125) .

« وفي هذه ـ وفقكم الله ـ شهادة [1] بينة، ودلالة واضحة، على صحة ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : لا تقوم الساعة حتى يملك العرب رجل مني .... الحديث . فذكر عليه الصلاة والسلام العرب تفخيما لشأنهم ، واعتناء بأمرهم، وتنبيها على عظيم المنة في ملكهم؛ وأمر الامام المهدي هو الذي هداهم وأرشدهم، ونظمهم على الطاعة وجمعهم، وقادهم إلى السعادة وجبرهم» .

ففي هذا الفصل من هذه الرسالة بسط لما قرره ابن طاهر [2] هنا وموافقة له عليه) .

فلو خلصت أيتها الامارة بالسوء (ما) تقدمت فقلت لاعرضت [3] إعراضا ، عن أن تجعلي [4] هذا اعتراضا : ويكون على هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » أن يملك جميع أصناف الناس حسبما وعد الله تعالى به في محكم كتابه حيث قال : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون» ، [5] لانه إذا ملك العرب الذين هم أعتى الناس أصنافا وأعسرهم انقيادا ، فأحرى ملك غيرهم ؛ قال الله تعالى : « الاعراب أشد كفرا ونفاقا » ، [6] وهي تتمدح بذلك فتقول :

---

1) في الاصل ، بشهادة .
2) في الاصل : ابن ظاهر .
3) في الاصل : لا أعرضت .
4) في الاصل : تجعل .
5) سورة الانبياء ، آية رقم 105 .
6) سورة التوبة ، آية رقم 97 .

« حي لقاح » [1] يعنون بذلك أن الحي لم يملكوا ولا ملك آباؤهم ، ولذلك لا يؤلف بين قلوبهم إلا بأمر إلهي ، كما قال الله عز وجل : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، * إنه عزيز حكيم » . [2] (29 ب)

وأما إتيانك بالحديث الذي خرج أبو داود رحمه الله تعالى وذكر فيه قصة الركن والمقام توهمين وتغالطين ان الحديث في المهدي . وهل ذكر النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ان ذلك الرجل هو المهدي ؟ او هل ذكر فيه عن ذلك الرجل ما ذكر في المهدي من كونه من عترته او « موافقة اسمه اسمي » مما يستدل به استدلالا بينا على انه عنى به المهدي؟ وانما غلطك في ذلك أمران: احدهما ان وافق لبثه للبث [3] المهدي ؛ والثاني ان ابا داود ادخله في جملة احاديث المهدي رضي الله تعالى عنه ؛ وهل نمنع نحن ان يقوم بالحق اقوام ؟ وان النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم بشر بهم؟

فإن كنت مغالطة [4] بذلك . ايتها الامارة بالسوء . فقد تبينت مغالطتك ؛ وان كنت غلطت فان هذا لمن الغلط القبيح. فلو مارست صناعة القياس بعض ممارسة [5] . وزاولت ذلك اقل مزاولة . لما قلت إن النبي

1) يقال « حي لقاح » بفتح اللام - أي لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية سباء ، أنشد ابن الاعرابي :

أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا

وهذا اللفظ مشتق من لقاح الناقة لانها إذا لقحت لم تطاوع الفحل وليس يقوى عليها .

2) سورة الانفال ، آية رقم 63 .

3) في الاصل : ابته للبت .

4) في الاصل : غالطة .

5) في الاصل : ممارست .

صلى الله تعالي وملائكته الكرام عليه وسلم انما اخبر بذلك الرجل عن المهدي لكونه صدقت عليه صفة واحدة من صفات المهدي. وهى اللبث على انه ان كان ذلك عندك قياسا فبالحرى ان يكون قياسا يصدق عليه من صفات المهدي صفات جمة . اتتركين * الاقوى . وتميلين الى الاضعف (80 أ) الاوهى؟ لقد خرجت من القوم « الذين يسمعون القول . فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب » . [1] « من يهد الله فهو المهتد . ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » [2] .

وأما إلزام ذلك لكون إنسان ما أدخله في جملة أحاديث المهدي فهذا إلزام باللفظ لا بالمعنى، ولسنا بمقاومة هذا الالزام نعني، وبالجملة فكل حديث رووه في مصنف صحيح من قيام إنسان بالحق ووصفه بصفات لا تطابق صفات المهدي رضي الله تعالى عنه فإن ذلك القائم بالحق لم يقل فيه النبى صلى الله تعالي وملائكته الكرام عليه وسلم إنه المهدي ولا وصفه بصفات المهدي . وأنا قد بحثت واستقصيت وفحصت ؛ ومن زعم أن المهدي ينزل بيت المقدس فقد زاد في الحديث ما لم يذكر في مصنف صحيح ، وكذلك من قال إنه يخرج من مكة لم يقع في مصنف صحيح .

وأما ما وقع في كتب الحدثان فإن جعلنا ذلك إقناعا فقد وقع بأيدي كثير من أهل هذه الجزيرة [3] ـ أصلحها الله تعالى وسددها ، ونظمها عجلا بسيرة المهدي رضي الله * تعالى عنه ومهدها ـ كتاب صغير [4] في جرمه (80 ب) يحتوي على عظائم في علمه ، يذكر أن المهدي يخرج بجبل درن ، فيفعل

---

1) سورة الزمر ، آية رقم 18 .

2) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

3) يعنى بلاد الاندلس .

4) في الاصل : كتاباً صغيراً .

ويصنع ، وعدد أشياء كثيرة صدرت كلها من فعل المهدي رضي الله تعالى عنه ، ووجدت صنعه بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقـوة ' وذكر أن أتباعه وأنصاره وأشياعه مصمودة ، وذكر أنه سيسبي حتى يبلغ السبـي فى بلاد البربر أن تباع الجارية البربرية بخمسة دراهم ، وأنه سيجوز إلى الاندلس خليفته ، فيكون ويكون حتى يصل إلى مكة فيبايع بين الركن والمقام . ثم ذكر فى ذلك ما جاء مما وردت به الاحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال : « وتكون بيعته بمكة بين الركن والمقام » ، سوى البيعة التي تكون في المغرب ، وقـد تقدمت .

فقلت :

لا فرق بينه وبين من قام بأمره بعده ، ولوضوح هذا الامـر وكثرة هذا المعنى قال من لم يثبت في قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما [1] » إنه أراد شريعته وسيرته، وقد وردت (في هذا المعنـى) [2] ....

....

(31 أ) *« إن النفس لامارة بالسوء إلا ما رحم ربي » [3] أيتها النفس المطمئنة ! نعم ، صدقت وأرشدت ، واستجدتك البيـان فأجدت [4] ! « الان حصحص

1) سورة العنكبوت ، آية رقم 14 .

2) جاءت هذه الالفاظ الموضوعة بين الحاصرتين في ذيل الصحفة إحالة على الورقة التي تليها ، وقد ضاعت هذه الورقة في ضرم يلي ذلك أشرنا إليه بالنقط المتتابعة ، رغم انتظام الترقيم .

3) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

4) في الاصل : واستجرتك البيان فأجرت

الحق ، [1] واجتليت منه الغور والاوضاح ، فأصحب [2] الابي ، وخلص من شوائبه المكنون والمطوي . وتبيـن أن أبا عبد الله محمد بن عبـد الله رضي الله تعالى عنه هـو المهدي . وانجلت عنه غيابة الامتراء والريب ، ذلك لتعلمي أني لم أخنك بالغيب ، فشأنك بي الان ، فقـد أذعنت لمذهبك إيثاراً للحق حيث كان ، فأنا لك سامعة مطيعـة ، متبعة لما قضى به الرأي الحق ، إذ قد تبين لي أن قولك هذا هـو الصدق ، فأنادي بأعلى صوتي : المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي رضي الله تعالى عنه هو الذي بشر به جـده صلوات الله تعالى عليه وسلامه ، وهـو الإمام الاول ، والملك على الاطلاق الذي كان ينظر ويؤمل !

فلما رجعت هذه النفس إلى الحق ، وتبين لها بفضل الله تعالى حقيقة القول والصدق ، قمت أنا فحمدت الله رب العالمين ، وصليت على نبيـه وعبده خاتـم النبيين ، وعلى آله الطيبيـن الطاهرين ، إذ صرت بكلي في زمرة الموحدين ، دون أن ينازعني منازع مني ، يجيء على شأني ، وكلي موافق لكلي ، * وسري مساو لجهري . (31 ب)

العلم أرفـع شيء اكتسبه الانسان ، وبـه على الحقيقة هـو الانسان إنسان . نبدأ أنه اجتمعت علي النفسان ، فقالتا :

ـ أليس القائم الان بأمـر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنـه أميراً للمؤمنين ، وإماما للموحدين ، أبو محمد عبـد المؤمن بن علي أيده الله تعالى بالنصر والتمكين ؟ قام بالنصر قيام من استبد به وأظهره ، وجـد في إذاعته حتى أشهره ، وحارب عن الحـق فنصر ، وأبقى عليه فأظهر . وله

1) سورة يوسف ، آية رقم .

2) أي ذل وانقاد .

من المشاهد الكريمة ، والمآثر المشهورة المعلومة ، ما معرفة الناس (به) [1] تغنى عن الوصف والذكر ، وعسى أن السكوت عنه لـه أقرب إلى الاخرة ؛ وبالجملة إنه إذ رضيته للامر تلك الطائفة الفاضلة ، والامة المنصورة العادلة، وظهر منه الغاية في الاستبداد ، والنهاية في الاجتهاد، فقطعنا ـعقلا وشرعاـ أن لا أمير سواه ، ولا والي إلا من ولاه .

قالتا لي :

ـ فما بالك لا تساعدنا فنتحرك إليه ، ونعمل الورود سريعا عليه ؟

قالت المطمئنة :

ـ إذن أنا قد قضيت ، وبينت أن الحق عندهـم والهدى ، وأن بهـم يستضا .

قالت النزوعية :

(32 أ) ـ وأنا قد نزعت * إليهم ، وتشوقت إلى الورود عليهم !

فما تركاني حتى أجبت لقولهما [2] ، فالاعمال بالنيات ، ومنتظر الصلاة في صلاة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انتهت الرسالة ، وهي « الكافية في براهين الامام المهدي رضي الله تعالى عنه عقلا ونقلا » . والحمد لله رب العالمين كثيراً .

---

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) في الأصل : لقولها .

بيعة الامام المهدي رضي الله تعالى عنه :

كانت إما في سنة أربع عشرة على قول ، وإما في سنة خمس عشرة على قول كما سيأتي عند الفراغ من هذه المقدمة إن شاء الله عز وجل .

وفاته رضي الله تعالى عنه :

كانت عام أربعة وعشرين وخمسمائة .

عمره رضي الله تعالى عنه :

كان نحواً من خمسين سنة .

مدة بقائه إماما بعد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

كانت مدة إقامته رضي الله تعالى عنه إماما بنفسه تسع سنين : بإيجيلهز [1] ثلاثا ، وبتينملل [2] ستا .

إخوته رضي الله تعالى عنه :

عيسى ، وعبد العزيز ، لاب [3] ؛ وأحمد الكفيف ، وأخته شقيقته [4] زينب ، وأخته الاخرى لاب .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

هم العشرة المؤثرون الذين يقال لهم « الجماعة » أعزهم الله تعالى .

---

1) في الأصل : الجبلين .

2) في الأصل : ويشتمل

3) عيسى وعبد العزيز أخوا محمد بن تومرت المهدي هما اللذان قاما بالثورة ضد عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت ، وذلك حين بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة 549 ، وكان عبد المؤمن غائبا عن مراكش في سلا ، بينما توجه الأخوان من فاس سرا ، فاقتحما مراكش وقتلا عاملها أبا حفص ابن يفراجي ، فأسرع عبد المؤمن بالعودة إلى مراكش، وقضى على هذه الفتنة، وقتل عبد العزيز وعيسى وصلبهما (انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس 2 / 153 ؛ والسلاوي : الاستقصا 2 / 110 ـ 111 ؛ وراجع كذلك أويمي : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 171 ـ 173).

أصحاب مشورته رضي الله تعالى عنه :

هم أهل الخمسين رحمهم الله تعالى ، وسيأتي ذكر جميعهم بعد إن شاء الله تعالى .

(32 ب) ولا ولد له رضي * الله تعالى عنه ولا زوجة ولا سرية ، لانه كان رضي الله تعالى عنه حصورا .

هذه هي المقدمة ، فلنرجع إلى الاصل المقصود وهو :

كيفية انعقاد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

فنقول :

قال اليسع :

ولما استوثق الامام المهدي رضي الله تعالى عنه من قبيلته ومنعة موضعه ، لانه مكان لا يصل إليه أحد إلا من طريق لا يمشيها إلا راكب، بعد راكب . فيسد [1] خللها أقل عصبة من الناس ، ولما فيه من التوعر في نفسه ـ قصد إلى قرية إيجيليز [2] تحتها ركن يستظل تحته على الماء فعند اجتماع أصحابه إليه في ذلك الركن تحت إيجيليز [2] قام فيهم [3] خطيبا ، فقال :

« الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء . لاراد لامره، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملا الارض قسطا وعدلا كما ملات ظلما وجورا ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ، مكانه المغرب الاقصى ، وزمنه آخر الزمان ، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام . ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته

---

1) في الاصل : فيصد .

2) في الاصل : الجبلين .

3) في الاصل : فيها .

الكرام المقربون عليه وسلم . * وقد ظهر جـور الامراء ، وامتلأت الارض (33 أ) بالفساد ، وهـذا آخر الزمـان ، والاسم الاسـم . والنسب النسب ، والفعـل الفعل ! ». (1)

قال اليسع :

سمعت أمير المؤمنين أبا محمد عبـد المؤمن رضي الله تعالى علـه يقول: « لما فرغ الإمام المهدي رضي اللـه تعالى عنه من كلامه بادر إليـه عشرة رجال منهم أنا ، فقلت له: هذه الصفة لا توجد إلا فيك، فأنت المهدي! فبايعناه على ذلك » .

والعشـرة المذكورون : الونشريشي ، وعمر آصناج ، والخليفـة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، وأبو يحيى أبو بكر بن يجيت ، والاحسن بن علي ، وعمر الهنتاتي ، وفقيه من أهل إفريقية لم أذكر اسمه الان (2) .

وسمى هؤلاء بالعشرة !

قلت :

ولم أجد في هذه النسخة من كتاب اليسع إلا سبعة ؛ والعشرة عنـد

1) أشار ابن أبي زرع في إجمال إلى هده الخطبة ، وحدد تاريخها بيوم السبت السادس عشرة من رمضان عام خمس عشرة وخمسمائة (روض القرطاس 2 / 114 - 115) وعنه نقل السلاوي (الاستقصا 2 / 83) .

2) هذا الفقيه هو الذي سيشير إليه ابن القطان فيما بعد عند حديثه عن إيقاع المهدي بأهل تينملل . إذ أنه أنكر ذلك على المهدي فقتـل وصلب « لانـه شك فى عصمة الامام المهدي » .

غير اليسع [1] هم: سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو (محمد) [2] عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه، أبو محمد البشير [3]، أبو

---

1) عن أسماء أهل العشرة من أصحاب المهدي أنظر : البيذق : كتاب الأنساب ص 29 ؛ الحلل الموشية ص 79 ؛ روض القرطاس 2 / 113 ـ 114 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 337 ، 339 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين (ط . تونس سنة 1289 هـ) ص 4 ؛ ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس (ط . تونس سنة 1286 هـ .) ص 108 ؛ النويري : نهاية الأرب (الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ـ ط . جاسبار رميرو ـ غرناطة سنة 1919) ص 193 ـ 194 . وانظر مناقشة هذه الأسماء واختلاف المؤرخين فيها في كتاب أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 101 ـ 102 .

2) زيادة تقتضيها صحة الاسم والكنية .

3) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشريشي المشهور بالبشير ، ذكر صاحب كتاب المقتبس من كتاب الانساب نسبه كاملا وقال ان قرابة البشير كانوا ينتسبون الى قيس، ثم أورد اسمه بين أهل العشرة وتحدث عن تمييزه للموحدين (كتاب أخبار المهدي ص 27 ، 28 ، 33 ، 36) ، وقد زادنا البيذق تفصيلا عن بدء صلته بالمهدي منذ مرور هذا على ونشريس وبيعته له وتمييره للمخالفين والمنافقين فى سنة 523 واشتراكه فى غزوات المهدي (نفس المرجع ص 59 ، 73 ، 78) . وقد فقد البشير فى وقعة البحيرة التي هزم فيها الموحدون سنة 524 (انظر كذلك فى ترجمته: الحلل الموشية ص 87 ـ 88، 93، 95 ؛ ابن أبى زرع: روض القرطاس 2 / 113، 116 ؛ ابن خلدون : العبر 2 / 227 ـ 228 ؛ السلاوي : 2 / 74 ـ 75 ، 79 ـ 81 ، 83 ـ 84 : ابن الاثير : الكامل 8 / 297 ـ 298 ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، 4 / 139 ـ 144 ؛ النويري : نهاية الارب ص 191 ـ 193 ؛ وراجع كذلك ما كتبه عنه أويثي في تاريخ الدولة الموحدية 1 / 46 ، 75 ، 78 ، 80 83 ، 84 101 ، 103 ؛ 2 / 595 ـ 600 ، 602)

إبرهيم الهزرجي (1)، أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي (2)، أبو الربيع

---

1) هو أبو إبرهيم اسماعيل بن يسلالى الهزرجي الذي يلقبه البيذق بإسماعيل إيججيج ، ويسميه عبد الواحد المراكشي أبا إبرهيم اسماعيل بن يحيى الهزرجي ، أما ابن أبي زرع فيسميه ابرهيم بن اسماعيل الهزرجي ، وكان من طلبة المهدي حينما كان فى أغمات وريكة ثم عهد إليه المهدي بالقضاء وجعله قائداً على هرغة في غزوته الرابعة ، وكان أحد من عقدوا البيعة لعبد المؤمن بعد وفاة ابن تومرت ، وإليه يرجع فضل إخماد ثورة ضد عبد المؤمن فى صفروى ، ويذكر عبد الواحد المراكشي من أخباره إنقاذه لابن تومرت من مؤامرة حيكت لاغتياله ، وكذلك فداءه لعبد المؤمن بمبيته في خبائه ومصرعه على يد بعض من ائتمر به (انظر في ترجمته وأخباره كتاب أخبار المهدي ص 33 . 70 ـ 75 ، 81 ، 83 ، 85 ، 92 ، 94 ، 99 . 122 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس 2 / 114 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 233 ـ 235 ؛ الحلل الموشية ص 88 ؛ السلاوي : الاستقصا 2 / 96 ، 107 ؛ وانظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 59 ، 101 ـ 103 ، 110 ، 126 ، 135 ، 172 ، 228 ؛ 2 / 592 ، 607 ـ 609)

2) كذلك ورد اسمه أيضا لدى البيذق فى كتاب أخبار المهدي ، ويسميه عبد الواحد المراكشي عمر بن عبد الله « المعروف عندهم بعمر أزناج » ، واسمه الحقيقي كما يقول البيذق يملوك بن علي آصناج ، كان وزيرا لمحمد بن تومرت ثم كان أحد الثلاثة الذين اضطلعوا بمبايعة عبد المؤمن خلفا له فنحاه هذا عن الوزارة وربأ بقدره عنها إذ كان عندهم فوق ذلك ، وكان لاولاده مكانة عظيمة من عبد المؤمن حتى إن ذريته كانت أول من يعترض في العرض العام وكانت وفاته سنة 536 (انظر كتاب أخبار المهدي ص 33 ، 73 ، 80 ، 81 ، 85 ، 92 . 123 ؛ عبد الواحد: المعجب ص 193 ، 198 ، 339 ، 341 ؛ ابن أبي زرع 2 / 113 ؛ الحلل الموشية ص 88 ؛ ابن خلدون : العبر 6 / 228 ؛ وقد أشار ليفي بروفنسال في تقديمه لكتاب اخبار المهدي (المقدمة ص 10 ـ 11) إلى أن أبا بكر الصنهاجي البيذق ربما كان من قرابة عمر آصناج هذا . (وانظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 87 ، 101 ، 105 ، 110 ، 118 ، 125 ، 211)

سليمان بن الحضري (1) ، أبو عمران موسى بن تمارا (2) ، أبو يحيى أبو بكر بن يجيت (3) ، أبو عبد الله محمد بن سليمان (4) ، أبو حفص عمر

---

1) اسمه لدى البيذق : أبو الربيع سليمان بن مخلوف الهواري الحضرمي وأضاف إلى ذلك إلى أنه شهر بابن البقال وابن تاعظمييت عند أهل آغمات وبسليمان آحضري عند الموحدين ، كان من طلبة ابن تومرت في آغمات وريكة ، وكان يكتب الرسائل عن إذن الإمام المهدي ، واستشهد في موقعة البحيرة سنة 523 . هذا ويسميه ابن ابي زرع والسلاوي : سليمان بن خلوف ، وأما صاحب الحلل الموشية فيسميه إسماعيل بن مخلوف (انظر كتاب أخبار المهدي ص 28 ، 33 ، 70 ؛ روض القرطاس 2 / 113 ـ 114 ؛ الحلل ص 88 ؛ الاستقصا 2 / 83 ؛ أويثي : تاريخ 1 / 101 ، 2 / 599) .

2) أبو عمران موسى بن تمارا الجدميوي أمين الجماعة ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وكان ثلاثة من اخوته من أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 33 ، ابن ابي زرع؛ روض القرطاس 2 / 114 ؛ الاستقصا 2 / 83 ؛ أويثي: تاريخ 1 / 101).

3) استشهد في وقعة البحيرة سنة 524 ، وقد اختلف في اسمه المؤرخون، ويتفق كتاب أخبار المهدي مع ما جاء هنا ، ويسميه ابن خلدون « أبا يحيى بن يكبت » وابن أبي زرع « أبا يحيى بن بخت » وصاحب الحلل « أبا يحيى أبا بكر بن تنجيت»، أما عبد الواحد فقد ذكره من أهل الجماعة وقال إنه « رجل من تينملل يعرف عندهم بابن بيجيت ـ أنا شاك في اسمه ـ » ، وأضاف السلاوي الى اسمه نسبة « الهنتاتي » (انظر اخبار المهدي ، ص 33 ؛ العبر 6 / 228 ؛ الحلل ص 88 ، روض القرطاس 2 / 114 ؛ المعجب ص 338 ؛ الاستقصا 2 / 77 ، 83 ؛ أويثي : تاريخ 1 / 101) ، وكان لابي يحيى هذا ولد ولاه عبد المؤمن على قرطبة سنة 549 .

4) أبو عبد الله محمد بن سليمان ، كان من أهل آنسا ، وكان يؤم في الفريضة عن إذن المهدي ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وسماه عبد الواحد « عبد الله بن سليمان » وقال إنه من أهل تينملل من قبيلة مسكالة (انظر أخبار المهدي ص 33 ؛ المعجب ص 194 ؛ العبر 6 / 228 ؛ الحلل ص 88 ؛ أويثي: تاريخ 1 / 102 ، 105).

ابن يحيى [1] ، وكان عاشرهم عبد الله بن ملوية [2] ، وسيأتي ذكره .

*وهؤلاء العشرة هم المسمون بأهل الجماعة (33 ب)

قال اليسع :

وتابعهم على هذا المعتقد بأثرهم خمسون رجلا ، فسموا أهل خمسين ، ثم تابعهم سبعون رجلا ، فسموا أهل سبعين [3] ، واختص المذكورون بهذا

---

1) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المعروف بعمر ينتي ، ويسميه عبد الواحد عمر بن ومزال ، وكان اسمه فصكة فسماه المهدي عمر ، وكان من أقرب أعوان ابن تومرت إليه ، ثم كان من بين من عقدوا الامر بعد ذلك لعبد المؤمن وهو الذي فتح للموحدين كثيرا من بلاد الاندلس مثل الجزيرة الخضراء ورندة وإشبيلية وقرطبة وغرناطة ، كما اشترك في أعمال حربية أخرى مهمة منها القضاء على ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي ، وتوفي في الطاعون الذي أصاب الاندلس والمغرب في سنة 571 ، وهو جد الحفصيين الذين توطدت دولتهم بعد ذلك في إفريقية (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 71 ، 75 ، 89 ، 93 ، 95 ، 97 ، 98 ، 104 ، 106 ، 108 ، 109 ، 117 ، 118 ، 121 ، 126 ؛ المعجب ص 194 ، 199 ، 213 ، 224 ، 262 ، 331 ؛ ابن خلدون : العبر 6 / 227 ، 229 ، 275 ، 276 ؛ روض القرطاس 2 / 113 ؛ الحلل الموشية ص 88 ، 121 ، 132 ، 134 ؛ الاستقصا 2 / 135 ؛ أويثي : تاريخ 1 / 208 ، 219 ، 222 ، 230 ، 236 ، 238 ، 239 ، 241 ، 243 ، 249 ، 253 ، 260 ، 269 ، 274 ، 385 ؛ 2 / 391 ، 394) .

2) عبد الله بن يعلى أو يعلاتن الزناتي التازي المعروف بابن ملوية ، كان من كبار أعوان المهدي وقواده ، ثم ارتد عن دعوته بعد خروجه من تينملل وانضم إلى جيوش علي بن يوسف أمير المرابطين ، فظفر به وقتل وصلب سنة 527 (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 75 ، 85 ، 122 ؛ الحلل ص 88 ؛ العبر 6 / 228 ؛ أويثي : تاريخ 1 / 84 ، 102 ، 106 ، 111) .

3) سبق أن علق ابن القطان على ما ذكره اليسع من أمر أهل السبعين إذ قال إنه لا يرى ذلك صحيحا ، ولم يرد ذكر لاهل السبعين في كتاب المقتبس من الانساب ، وإن كان قد قال بذلك بعض المؤرخين المغاربة مثل ابن الخطيب في كتاب رقم الحلل حسبما نقل عنه السلاوي (الاستقصا 2 / 86) وصاحب الحلل الموشية (ص 76) فضلا عن بعض المؤرخين المشارقة مثل ابن الاثير (الكامل 8 / 298) ، والنويري : نهاية الأرب ص 194 .

الاختصاص ، وانعقد لهم من البر والتكرمة ما أنهضهم إلى أن نسمع بقية عوامهم منهم وتطيع . وكانوا إذا قطعوا الامور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم ، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين ، فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا ، وفي ما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره رضي الله تعالى عنه .

وأول ما دبرهم به أنه ألف لهم كتاب « التوحيد » باللسان البربري وهو سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة (أيام) [1] كان الموحدون أعزهم الله تعالى مع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بتينملل .

....

(36 ب) *وهنا وقائع كانت في أول أمره رضي الله تعالى عنه :

منها وقعة علي بن تابشا اللمتوني ببني وارتانك [2] ، وجهه إليهم صاحب السوس أبو بكر ابن وربيل في جملة من الانجاد ، فأحاطوا ببني وارتانك [2] وهم غارون [3] ، فقبضوا على مائة رجل منهم أبو الحسن (37 أ) يوجوت بن واجاج [4] * من أهل خمسين ، فحملوا إلى تيونوين لصاحب السوس ، فسجنهم .

---

1) زيادة يتطلبها السياق .

2) في الاصل : وارتاتك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، فقد ورد الاسم على هذه الصورة في كتاب المقتبس من كتاب الانساب ، وقد علق صاحب الكتاب على ذلك الاسم فقال إن هؤلاء فخذ من أهل تينملل (انظر أخبار المهدي ص 40).

3) في الاصل : عارون ، والاصح ما ذكرنا أي غافلون .

4) في الاصل : يرجوت ، والصواب ما ذكرنا . وقد أورد هذا الاسم صاحب كتاب المقتبس وأبو بكر البيذق الصنهاجي من بين أهل خمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 94) .

ثم مشت الحصة التي فعلت هذا من اللمتونيين [1] ليضربوا على الملت ان ورغن [2] حيث كان الامام المهدي رضي الله تعالى (عنه) [3] قبل هذا، فألفوهم وقد أخذوا حذرهم منهم، وكمنوا لهم، فخرجت كمائن هرغة عليهم، واشتد حربهم، وأخذت أكثر خيلهم وسلاحهم، وقتل أكثرهم، وقتل من هرغة نحو خمسة وثلاثين رجلا وهي أول غزوة لهزغة، فجمعوا غنائمهم، وطلعوا بها إلى المهدي رضي الله تعالى عنه فكانت أول غنيمة للموحدين أعزهم الله تعالى فيها الخيل.

ومن الوقائع المأثورة في هذه السنة سنة ست عشرة وخمسمائة . . .

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى فى هذه السنين الثلاث التي استقر فيها الامام المهدي رضي الله تعالى بإيجيليز [4] من هرغة:

وجه علي بن يوسف جيشا أمر عليه ابرهيم بن تعيشت [5]، فسلك السوس الاقصى، وقصد هرغة، وقد حصن أهلها قلعة يقال لها إيجيلير.

---

1) في الاصل: المتونيين.

2) في الاصل: الملت ان وزغن، ولعل الصواب ما ذكرنا، أي المنسوب إلى هرغة. ومن المعروف أن محمد بن تومرت ينتسب إلى قبيلة هرغة، وقد ذكر عبد الواحد المراكشي أنه ولد في ضيعة تدعى « إيجلي أن وارغن » (المعجب ص 178).

3) زيادة يتطلبها السياق.

4) في الاصل: بالجبلين.

5) هو أبو إسحاق ابرهيم بن يوسف بن تاشفين أخو الامير علي بن يوسف اللمتوني، ويعرف بابن تعيشت أو تاعياشت، وهو اسم أمه، وهي على ما يذكر ابن عذارى أمة سوداء. كان قد ولي سبتة ثم مرسية قدمه عليها علي بن يوسف بعد عزل أخيهما ابن عائشة عنها بسبب اعتلال بصره بعد صدوره من وقعة البورت Congost de Martorell قرب برشلونة سنة 508. وكان ابن تعيشت من أعاظم قواد المرابطين وله على نصارى الاندلس وقائع كثيرة. ويقول ابن عذارى إنه ولي بلنسية سنة 509. تولاها مع مرسية، ثم نقل إلى إشبيلية التى ظل عاملا عليها من شوال سنة 511 (فبراير 1118) حتى جمادى الاولى سنة 516) يوليه - أغسطس

ومنعوها أضبط منع . فنزل العسكر عليها من جهة شرقها بمكان وعـر .
فخرج الامام رضي الله تعالى عنه في جملة من الحصن بعد أيام من نـزول

1122) الا أن ابـن الابار يقول ان أميـر المسلمين علي بن يوسف نكبه في سنة 515 واستصفى أمواله وقال انه يظن أن ذلك كان بسبب تقصيره الذي جر وقيعة كتندة Cutanda التي هزم فيها المسلمون سنة 514 . ثم انتقل الى المغرب، ويبدو أن علي بن يوسف رضى الله عنه بعد ذلك ، اذ أننا نراه مشتركا مع اخوته وأهل قرابته فى الاجتماع الذي عقد علي بن يوسف فيه ولاية عهده لابنه سير في سنة 522 ، كما أننا نراه قبل ذلك ـ فى سنة 516 أو 517 ـ على رأس جيوش المرابطين أثناء قتالهم مع الموحدين في السوس كما نرى من الخبر الذي يذكـره هنا ابن القطان وغيره مـن المؤرخين . ويقول ابن الابار انه لم يقع على خبر له بعد نكبته ، الا أنه نقـل عن ابن صاحب الصلاة فى تاريخه أنه قتل وفل عسكره على طريق سجلماسة بجهة جبل هسكورة ، وذلك خلال الحرب الدائرة بين المرابطين والموحدين ، ويشير ابن خلدون الى دوره فى هذه الحرب ولا سيما فى موقعة البحيرة التى هزم الموحدون فيها سنة 524 . وسيشير ابن القطان الى مصرع ابـن تعيشت فى احـدى المعارك الدائرة سنة 528 ، أما البيذق فإنه يذكر أن مقتله كان فى الغزوة التى قاد الموحدين فيها عمر ابن علي الصنهاجى (عمر آصنـاج) فى مكان يدعـى « تيزي آن الابيات » . وقد أثنى ابن الابار على ابـن تعيشت وعنايتـه بالعلم والروايـة ، وهو الذي أهدى اليـه الفتح بن خاقان كتاب « قلائد العقيان » ، كما أنه هو الذي مدحه ابن خفاجة الشقري بكثير مما هو مثبت في ديوانه ، وأشار ابن سعيد فى كتاب المغرب الى كثير ممن اتصل به مـن الشعراء والكتاب (انظـر فى ترجمته : البيان المغـرب لابن عـذارى ـ مخطوطة تامجروت ، ورقة 51 ـ 52 ؛ ابن الابار : معجم أصحاب أبي علي الصدفى ، ترجمة رقم 40 ؛ ابن خلدون : العبر 6 / 228 ؛ السلاوي : الاستقصا 2 / 80 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس 2 / 39 ؛ البيذق : أخبار الموحدين ص 84 ؛ الحلل الموشية ص 14 ، 90 ؛ ابن سعيد : المغرب 1 / 397 ، 2 / 253 ـ 254 ، 287 ؛ الفتـح بن خاقان : قلائـد العقيان ص 3 ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيـان 3 / 194 ؛ ديـوان ابن خفاجـة بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي فى مواضع مختلفة من الديوان ؛ وانظر كذلك بحث فرانسسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » ص 109 ـ 111 ؛ وأويثى : علي بن يوسف . . . ص 96 ، 105 ، 108 ، 113 ـ 114) .

العسكر عليهم ، فعقد لهم مجلسا وعظهم فيه ، ووجه بعضهم يقاتل ، * فكان إذا جاءه جريح من أصحابه نشطه ورغبه في الشهادة ، (37 ب)
ويقول لاصحابه : لا تنظروا إلى أعداء الله وأعدائكم ، فيعظموا في أعينكم!

ولما كان بعد مضى نصف النهار قال لهم : انظروا أعداءكم، واعلموا أن كل ما جاءوا به من خيل وزمل وخيام وعدة من دروع وبيض ورماح هدية من الله تعالى لكم على غربتكم وانقطاعكم وفقركم، فأعطاكم وأغناكم!

فلم يكن إلا أن نزل بأصحابه من أعلى الجبل إلى أسفله يريدون مقاتلتهم والعسكر فى جبل آخر يقاوحه ، فانهزموا وتركوا خيلهم وأسلحتهم وأمتعتهم ، وأتى القوم على جميع أموالهم ، [1] واستحوذا عليها ، وقد كانوا لا درع لهم ولا عدة .

ولما نالوا ما وعدهم به وصدق خبره على وفق مخبره عظم رضي الله تعالى عنه فى أعين الموحدين أعزهم الله تعالى ، فكانوا يستحيون عن رفع رؤوسهم نحوه حتى يأمرهم . وشاع ذكر الهزيمة فى جميع البلاد ، فهيب أمره ، وكثر المهاجرون [2] إليه ، ولم يبق قبيل من قبائل أهل جبل المصامدة إلا وقد هاجر إليه منه ، وأقاموا يفاتن بعضهم بعضا ، ومصامدة [3] الفحص* مع المجسمين وعلي بن يوسف ، وهم: دكالة ، وهسكورة ، (38 أ)
وهزميرة ، وهزرجة ، ورجراجة ، وحاحة [4] ، وصودة .

وأمره رضي الله تعالى عنه فى كل يوم يتزيد ، وكتب كتبه الى جزولة ولمطة وهنكيسة وبني يعز ودرعة وصنهاجة القبلة وهسكورة القبلة

---

1) فى الأصل : أحوالهم .
2) فى الأصل : المهاجرين .
3) فى الأصل : أو مصامدة .
4) فى الأصل : وحاجة .

وجميع من جاوره يدعوهم إلى الطاعـة وحرب المجسمين ، وقـد تقدمت نسخة كتابه في السنة قبل هذه [1] .

وسماهم الزراجنة [2] ، شبههم بطائر أسود البطن أبيض الريش، يقال لـه « الزرجان » لانهـم بيض الثياب سـود القلـوب . كما سماهم أيضـا « المجسمين [3] » لانه ألزمهم فى المذاكرة أنهم يقولون بالتجسيم والمكان، تعالى الله عن ذلك وسبحانه عن صفات النقص علوا كبيرا ؛ ويسمون أيضا « الحشم » للثامهم كما يفعل النساء المتحشمات .

وأمر علي بن يوسف ـ في هذه المدة التي كان فيها الامام المهدي رضي الله تعالى عنه بإيجيليز ـ الفلاكي الاندلسي، [4] وكان فاتكا شهمـا

1) يبدوا ان هذه الرسالة قد سقطت فى بعض خروم الكتاب السابقـة .

2) أشار كثير من المؤرخين أيضا إلى هذه التسمية ، ولكن ابن القطـان هو الوحيد الذي يفسر لنا أصل هذا الاسم .

3) ذكر البيذق فى أخبـار المهدي (ص 77) مناسبة هـذه التسمية ، فقال إن المهدي أطلقها على المرابطين أثنـاء غزوته التاسعة إلى آسدرم ان الغـزى : « . . . فقال (المهدي) للموحـدين : ما يقولـون - بعد أن سمع منهم كلاما من عندهم - ، قالـوا له : لقبونا . قال : وكيف لقبوكـم ؟ قالوا : يقولون « خوارج » . قـال : سبقونا بالقبيح ، لو كان خيراً أحجموا عنه وما سبقونا إليه ، لقبوهم أنتم فإن الله ذكر فى كـتابه « فمن اعتدى عليكـم فاعتدوا عليه . . . الآيـة » ، قولـوا لهم أنتم أيضا «المجسمون » ففعلنا » . وفى اتهام المهدي للمرابطين بالتجسيم والرد عليهم فى ذلك انظر كتابـه « أعزما يطلب » ص 258 ومـا يليها ، وكذلك المقدمـة الفرنسية التي كتبها جولد تسيهر لهذا الكتاب ص 65 وما يليها .

4) كـان الفلاكي - على ما يذكـر ابن القطان هنا - أحـد قطاع الطرق فى الـأندلس ، ثم استنزله على بن يوسف واتخذه من قواد عسكره ، واستخدمة أولا في إشبيلية ثـم نقلـه إلى منطقة السوس لقتال الموحـدين ، ، وقـد اشترك مع بعض قـواد المرابطين الـآخرين مثل ميمون بن ياسين فى بناء سلسلة من الحصون لحماية المناطق

ذاب من قطع السبل ، فقدمه علي على العساكر ، وسد به ثغوره ، فصنع حصونا ضبط بها ثغوره، ومنع الموحدين من النزول ، وولى أصحابه عليها؛ وتمنع من أهل الجبل كل من أطاع الامام المهدي رضي الله تعالى عنه من أداء كل ما كانوا يؤدونه لعلي* بن يوسف. (38 ب)

قال ابن الراعي :

ولما ارتقى الامام المهدي رضي الله تعالى عنه جبل إيجيليز [1] أقام فيه ثلاثة أعوام : من سنة خمس عشرة إلى سنة ثماني عشرة .

....

ومن أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى وقيعة هنتاتة :

وذلك أنه لما اتصل بأبى بكر بن وربيل ما صنعه هرغة - وفرهم الله تعالى وأعزهم - بعلي بن تابشا وأصحابه أخذ في الاستعداد والتأهب ، وحشد أهل السوس ، وأخذ الامام المهدي رضي الله تعالى عنه في التأهب أيضا ، وحضر جبوب [2] الماء ، وكانت هرغة ومسكالة وسجتانة

المحيطة بمدينة مراكش من ناحية السهول الجنوبية وحتى تتخذ قواعد تنفذ منها القوات المرابطية إلى السوس حيث كان يحتمى ابن تومرت وأصحابه ، وقد تحدث عن دور الفلاكى في ذلك كتاب الحلل الموشية (ص 93) ، على أن الفلاكى لم يلبث أن اعتنق مبادئ « التوحيد » وانضم إلى عبد المؤمن هو وأصحابه على ما يذكر البيدق (أخبار المهدي ص 88) ، ثم عاد فرجع إلى صفوف المرابطين ، ولكنه لم يستمر معهم طويلا ، إذ عاد الى خلافه عليهم ، وانضم مرة أخرى إلى الموحدين فى إيجيليز هرغة، ووفد على عبد المؤمن بن علي فى تينملل سنة 535 (أخبار المهدي ص 129 ؛ وانظر كذلك أويثى : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 76 ، 107 ، 111) . هذا وسيعود ابن القطان إلى الحديث عنه فيما بعد .

1) فى الأصل : الجبلين .

2) فى الأصل : جيوب .

وقبائل أهل تينملل قد هداهم الله تعالى، فهم متوازرون ، فوجه نمير بن تجلد بن يملوك مع جماعة وافرة إلى سوس ، فهبط إلى السوس وإلى جبل درن يدعو إلى الله تعالى ، وإلى الحق الذي جاء به الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاستجاب له من أهل تلك الجبال جملة منهم جدميوة [1] الجبل وهزميرة الجبل وجنفيسة الجبل ومن وفقه الله من أهل جبل درن

ثم إن هنتاتة لما سمعوا بالامام المهدي رضي الله تعالى عنه وبأخباره اجتمعوا على أبي حفص عمر بن يحيى [2] ووانودين بن يمصيلت ونمير بن داود * وأبي ما غليف قطران بن تارساين وأبي يهدا ومحمد بن يزيمر (89 أ) وخلف بن والال وسائر أشياخ هنتاتة ، فتذاكروا خبر الامام المهدي رضي الله تعالى عنه وما جاء به وما هو عليه من الخير والوعظ ، فأرادوا تحقيق ذلك ، فوجهوا أبا يعقوب إسحاق بن عمر [3] ليسبر أمره ، ويخبر رجاله وتواصواهم وطالب لهم يقال له سكاتو بوصايا في كيفية لقائه له رأوا أنها

1) في الأصل : جدميرة

2) هو أبوا حفص عمر بن يحيى الهنتتي المعروف بعمر ينتي (انظر تعليقنا السابق على اسمه وترجمة حياته في ص 80 حاشية رقم 1) .

3) إسحاق بن عمر الهنتاتي كان من أكابر قواد الموحدين ، وقد تحدث البيذق عن دوره في الغزاة السابعة لمحمد بن تومرت ، وهي الغزاة التي وجهها المهدي إلى هسكورة ، وقد جرح فيها ابن تومرت وقام بحمله إسحاق بن عمر هذا هو وأبو محمد وسنار (أخبار المهدي ص 76). وذكر البيذق في موضع آخر من كتابة أن المهدي دفع إليه جريدة (أي قائمه) إلى قبيلة دكالة ، فقتل منهم ستمائة «وكان شفيقا عليهم » (أخبار المهدي ص 112) .

تنفعهم ، فتوجه إسحاق بن عمر والموحدون أعزهم الله تعالى فى ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس يقدمهم البشير [1].

*وتطلع ورأى ، وعمل جميع ما أوصوه به ، واجتمع بالامام المهدي (35 أ) رضي الله تعالى عنه ، ثم انصرف إلى تيفنوت ، فاجتمع بالذين أرسلوه وعرفهم بما هو عليه الامام المهدي رضي الله تعالى عنه من رفع المظالم والمناكر والمغارم [2] ، وقال لهم باللسان الغربي [3] : النور * النور فى (35 ب) بلاد هرغة ، وانتم فى الظلمة يا هنته [4] !

فصنعوا طعاما واجتمعوا عليه ، وتعاهدوا وتوجهوا بأجمعهم. وكانت عساكر السوس والحشم تحركوا الى إيجيليز وضيقوا على هرغة بحومة وادى إينشو ، وقد كان الامام المهدي رضي الله تعالى عنه شرع فى بناء مسجد إيجيليز ، فأخذ حجرا ليضعه فى موضعه ، فسمع الصياح والهرير ،

---

1) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشريشي ، وقد سبق أن ترجمنا له (انظر ص 77 حاشية رقم 3) ، وهذا العدد الذي يذكره ابن القطان أقرب إلى المعقول من الاربعين ألف الذين ذكرهم ابن خلدون (العبر 6 / 228) ومن الاربعمائة الذين ذكرهم الزركشي (تاريخ الدولتين ص 4) .

2) فى الاصل : والمغارب .

3) فى الاصل العربي ، والصواب ما أثبتنا ، ويقصد باللسان الغربي اللغة البربرية ، ومن هذه الكلمة أخذت اللفظة الاسبانية Algaravía وهي تعنى الضجيج الذي لا يفهم ، وقد كان بعض اللغويين يظنونها تحريفا لكلمة « العربية » أي اللغة العربية ولكن الصواب هو أنها مأخوذة من الاستعمال المغربي والاندلسي الشائع الذي يطلق كلمة « اللسان الغربي » على اللغة البربرية .

4) صحح ليفي بروفنسال هذه الكلمة عند نشر هذا النص بـ « هنتاتة ». ونظن أن هذا تصويب ليس له ما يبرره ، فقد ذكر ابن خلدون (العبر 6 / 227) أن هنتاتة يقال لهم بلسانهم « هنتى »، فيكون ما ذكره ابن القطان ـ على الصورة التي ضبطنا الكلمة بها ـ صحيحا متفقا مع نطق الهنتاتيين لاسم قبيلتهم .

وهو الذي يقولون له « أما ولل [1] » . فسأل عنه ، فقيل له : وفد هنتاتة !
فقال باللسان الغربي [2] ما معناه : فتجدد الامر اليوم ! فوضعـوا الفيسان
من أيديهم ، وخرج الى هنتاتة سيدنا ومولانا الخليفة الامـام امير المؤمنين
أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنـه بأمـر الامـام المهدي
رضي الله تعالى عنه ، فاجتمع بهم ودعا لهم ، وقال لهم: استريحوا ! فقالوا:
لا راحة لنا حتى نأخذ عزوى [3] هذا العدو! فاستأذن الامام المهدي رضي
الله تعالى عنه في ذلك ، فقال لهم : هذا وقت الظهر ، فتوضـأوا وصلـوا ،
فإذا قضيتم الصلاة فخذوهم على بركة الله تعالى !

فأصعدوا [4] الجبل حتى صاروا بحيث لا يفصل بينهم وبين مناهدهم
(36 أ) من الموحدين * أعزهم الله تعالى إلا خندق كبير ، فاتفق رأيهم على أن
يردموه ببرادع الدواب ليتأتى لهم جوازه ، فلم يمهلهم جماعة الموحديـن
أعزهم الله تعالى : هنتاتة ومن تقدم ذكرهم ، فقتلوهم وهزموهم وأخـذوا
خيلهم وأسلحتهم وأسلابهم، وفتح الله للموحدين أعزهم الله تعالى فتحا عظيما
ولم يرجع من عسكر الحشم الا من تأخر أجله.

وإن أبا الحسن يوجوت بن واجاج [5] مع الجماعة المسجونيـن معـه

---

1) تطلق هذه الكلمة على مختلف ألوان الضجيج والصياح ؛ انظر تعليق ليفي بروفنسال عليها في القطعة التي نشرها من «نظم الجمان» (Mélanges .. p. 379 n.i.)

2) في الاصل : بلسان العربي .

3) يراد بهذه الكلمة في الاستعمال المغربي الدارج حتى الان معنى الثأر أو الانتقام .

4) في الاصل : قد صعدوا . والمقصود بضمير الجمع هنا عساكر المرابطين

5) سبقت الإشـارة إلى أبي الحسن يوجوت بن واجاج هـذا وخبر وقوعه هو ومائة من أصحابه من بني وارتانك في قبضة عامـل السوس المرابطي أبي بكـر بن وريهل وسجنهم في تيونوين (انظر ص 81 ، حاشية 2 - 4) .

من بني وارتانك [1] بتيونوين قاعدة السوس حينئذ كما قد مر ذكره من سجنهم عند اشتغال السوسي أبي بكر بن وزبيل والحشم بهذه الحروب يـ فروا من السجن . والحقوا بالامام المهدي رضي الله تعالى عنه .

ومنها وقيعة أبي ماغليف [2] وهنتاتة بهم في بلاد هنتاتة :

وذلك أنه لما اتصلت هزيمة الملثمين بإيجيليز [3] من هرغة بعلي بن وسف اغتم غما شديدا ، وجيش عسكراً مختارا ، وقدم عليهم سير بن قودي وأبا مسعود والريتسيغ بن بقور ومهدي بن ثوالي مع حشد حاحة وجميع أنحاء إذفرجال ، وقال لهم علي بن يوسف : اقصدوا إلى تيفنوت وأحرقوها بالنار ! . فاجتمعت العساكر ، وأخذوا على طريق لجاغة ، وشقوا واد نفيس ووسط الجبل يريدون تيفنوت ؛ واتصل الخبر بالامام رضي الله تعالى عنه ،* فجمع هنتاتة ، وقال لهم : تداركوا بلادكم فإن الكفرة قد (36 ب) قصدت إليكم ، فخذوهم على بركة الله ! ؛ فوادعوه ودعا لهم ، وانصرفوا إلى بلادهم .

فلما أشرفوا همز أبو ماغليف فرسه وكبر وقال: ابتدأت سواقي جرى الماء بالخير والبركات الى بلادنا ! ، ثم قال لهم : ياهنتاتة ، أنا أرغب إليكم أن تقدموني للرأي في هذا النهار لا غير ، ولا يشركني [4] معي أحد . فقالوا له : نعم ، لك ذلك ، لانك شيخ عارف بالامور . فقدموه في ذلك اليوم ، فتخير [5] أنجاد فرسانهم ورجالهم ، وقد كان الامام المهدي رضي الله

---

1) في الاصل : وارتارك .
2) في الاصل : مغاليف .
3) في الاصل : بالجبلين .
4) في الاصل : يشركه .
5) في الاصل : فتحير .

تعالى عنه أعطاهم حصتهم [1] من غنيمة وقعة إيجيليز [2] المتقدم ذكرها من الخيل والسلاح والسلب ، فتقووا بذلك . وأخذ بهم أبو ماغليف طريقا سلكه خرج منها أمـام أعدائهم ، فقتلهم أجمعين ، واحتووا على سلبهـم ، حتى لتحصل لاحد هنتاتة صاع [3] ممسوح مملوء من دنانير ، وقتـل سير ابن فودي [4] وأبو مسعود وريتسيغ بن بقور وغيرهم [5]

....

(46 أ) * أعزهم الله تعالى وغنموا أموالهم .

واتصلت الانباء بالموحدين أعزهم الله تعالى أن الحشم فيمن انضاف إليهم من بني واوزجيت [6] وغيرهم يتبعونهم ، فتربصوا بتادرارت [7] حتى احتمعوا بهم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة فتح الله تعالى فيها لاوليـائه

---

1) في الاصل : خصتهم .

2) في الاصل : الجبلين .

3) في الاصل : صاغ .

4) في الاصل : فولى .

5) عن هذه الوقعة انظر أويثى : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 80 .

6) بنو واوزجيت المذكورون من أفخاذ أهل تينملل على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس من كتاب الانساب (أخبار المهدي ص 41) ، وكانوا من أول من استجابوا للمهدي واعتنقوا دعوته قبل وصوله إلى تينملل (أخبار المهدي ص 72) ، ولكنهم ثاروا عليه بعد ذلك ، فأوقع بهم ابن تومرت وعبد المؤمن عدة وقائع . ويسمي ابن خلدون هذه القبيلة « بني واسكيت » (العبر 6 / 228) .

7) تادرارت إحدى مدن السوس تقع إلى شرق تينملل ، وقد ذكـر البيذق أن المهدي بنـى فيها مسجدا (أخبـار المهدي ص 71 ـ 72 ؛ وكذلك أويثى : تاريخ 1 / 60)

الموحدين أعزهم الله تعالى ، وهزموهم وقتلوا جميعهم ، [1] ومات في تلك الوقعة العمران ، [2] وعمر بن ديان [3]

ووصل الموحدون أعزهم الله تعالى إلى آنسا ، [4] والتقوا مع الحشم هنالك ، واستشهد من الموحدين أعزهم الله تعالى من كتبت عليه الشهادة ، وجاز الامام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى جبل دون ، فاحتوى على تلك البلاد كلها من بلد تاصبوت إلى بلد ماغوصه [5] إلى بلد جنفيسة حتى وصل إلى واد يسان ، ومكث هنالك مدة حتى غزا تلك البلاد كلها ، ورجع حتى وصل تاصبوت ، [6] وجاز إلى تادرارت أيضا ، فأغار الموحدون

---

1) عن هذه الغزوة وغزوة آنسا التى تليها انظر البيذق أخبار المهدي ص 76؛ وابن خلدون : العبر 6 / 228 ؛ وأويثي : تاريخ 1 / 70 ـ 71 ، وقد حدد هذا الباحث الاخير تلك الاحداث بسنة 517 .

2) لم نهتد إلى من يقصده ابن القطان بذكر هذين « العمرين » ولعلهما كانا بعض قواد المرابطين .

3) في الاصل : عمر بن ديار . والتصويب عن البيذق الذي نفهم من حديثه اعنه أنه كان من قواد المرابطين معتصما بحصن آنسا ، وقد أشار البيذق إلى هزيمته لمشار إليها هنا في الكلام عن الغزاة الخامسة لابن تومرت (انظر أخبار المهدي ص 76 ، 128 ؛ وكذلك أويثي : تاريخ 1 / 70 ـ 73)

4) هو الحصن الذي يسميه البيذق « آنسا بني إيماديدن » (أخبار المهدي ص 128)

5) يسميها صاحب كتاب المقتبس ماغوسة (أخبار المهدي ص 42) وجاءت في موضع آخر باسم « موغوصة » (نفس المرجع ص 43) ، وهم فخذ من جدميوة كان يطلق عليهم اسم « جدميوة الجبل » ، وقد ذكر البيذق أن المهدي غزاهم وفتح بلادهم في سنة 518 ، ولعله يعني نفس هذه الغزوة (أخبار المهدي ص 132) .

6) في الاصل : ياصبوت ، وقد وردت قبل ذلك بقليل كما أثبتنا .

أعزهم الله تعالى عليها ، وقتلوهم قتلا ذريعا . وجاز إلى حصن أوصليم [1] فحصره الموحدون أعزهم الله تعالى مدة ، ثم رحل عنه الامام رضي الله تعالى عنه إلى بلد إنسوال [2]

ونهض إلى بلد غجدامة [3] إثر غدرهم للشيخ إبى محمد عطية [4] رحمه الله تعالى ، وكان غدرهم له وهو في مصلاه ، فاستباح الموحدون أعزهم الله تعالى بذلك دماءهم وأموالهم .

(46 ب) وقفل الإمام المهدي * رضى الله تعالى عنه راجعا إلى تينملل كرمها الله تعالى ، واستوطنها .

وقال اليسع بن أبي اليسع فى استيطان الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه لتينملل :

إن أهل مدينة تينملل بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه يعلمونه بطاعة هزميرة الجبل ، وأن مجيئه [5] وسكناه عندهم أصلح له

---

1) لعل هذا الحصن هو المذكور في كتاب البيذق (أخبار المهدي ص 132) باسم « آوصليم بني واوم غي » ، وسيشير إليه ابن القطان مرة أخرى قائلا إنه يقع في بلاد جلاوة .

2) ربما كانت إنسوال هذه هي التي ذكرها صاحب كتاب المقتبس باسم « سوالة » ، وقال إنها أحد أفخاذ صنهاجة الظل (أخبار المهدي ص 46) .

3) في الاصل : عجرامة ، وقد أثبتنا ما جاء في كتاب المقتبس من كتاب الانساب (ص 44) وقد ذكر في هذا الموضع أنها من أفخاذ هسكورة الظل . وسماها ابن خلدون « غجرامة » (العبر 6 / 228) .

4) أشار البيذق إلى هذه الغزوة في أحداث سنة 522 ، إذ قال إن المهدي أرسل طلبة الموحدين إلى قبائلهم ، وكان من هؤلاء أبو محمد ابن عطية المنجصي : أرسل إلى غجرامة ، فتوفي شهيدا في هذه السنة (انظر ص 132) ، وراجع كذلك ابن خلدون : العبر 6 / 228 .

5) في الاصل : مجئه .

وأقرب من تسامع الناس به ؛ فرحل إليهم رضى الله تعالى عنه بجميع من أطاعـه . وحصل بتينملل ، وأكرمه أهلها وأنزلـوه فى المدينـة وأضافـوه وأطاعوه وبايعوه، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدهم ماراقه .

فكان يخرج إلى الشريعة [1] من خارجها . ويجلس على حجر مربع أمـام محراب الشريعة . فيعظ الناس . وكانت قبيلـة هزميرة يمسـكون العدة فقال لهم الإمـام يوما : مالكم تمسكون العدة . وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لايمسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدتهم زمانا ، وقد كان الإمام رضى الله تعالى عنه خـاف من جهتهم لـكثرتهم ومنعتهم ، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيـق النظر فى أمرهم ، فوصلوا فى بعض الـأيـام إلى الوعظ دون عـدة ، فما شعـروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى ورضى عنهم معهم العدة قد أحاطـوا بهم ، فقتل منهم فى ذلك * اليوم نحو من خمسة عشر ألفا [2]. وقتل من ذلك القبيل (47 أ) كل من حضر فى ذلك اليوم بتينملل . وسبى حرمهم ، وغنمت أموالهم ، فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه ، وأصفى ديارهـا جوائـز جوائز : لكل جائزة قبيلة [3] .

---

1) ذكر دوزي في « ملحق القواميس العربية » تحت هذه المادة (1 / 748) أن لفظ « الشريعة » كان يطلق في الاستعمال المغربي على القاعـة المخصصة لالقـاء الدروس والمواعظ في المساجد .

2) بياض في الاصل بقدر كلمة .

3) كذا ، وهو يعني : لكل قبيلة جائزة . هذا وقد نقل خبر هذه الوقعة عـن اليسع ـ فيما يبدو ـ ابن الاثير (الكامل 8 / 296 ـ 297) والنويري (نهاية الارب ـ ط . جاسبار رميرو ـ ص 190 ـ 191) . كذلك أشار إليها صاحب الحلل الموشية إشارة عابرة (ص 92) . وانظر أويثي : تاريخ 1 / 71 ـ 73 .

ثم أدار على المدينة سوراً أحاط بوهدتها ؛ وبنى على رأس الجبل سورا ، وأفرد فى قبته حصنا يكشف ما وراء الجبل (1)

قال اليسع :

ولا أعلم مدينة أحصن (ولا أمنع) (2) منها ، إذ أنها بين جبلين لا يدخلها الفارس إلا من شرقيها وغربيها . فأما غربيها فطريق أوسع ما به ما يمشى عليه الفارس وحده . وأضيقه ما ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه ، لان الطريق مصنوعة فى نفس الجبل . تحت راكبها حافات . وفيها مواضع مصنوعة بالخشب ، إذا أزيلت منها خشبه لم يمر عليها أحد . ومسافاتها على هذه الصفة نحو من مسيرة يوم ؛ وكذلك من شرقيها ، وهي طريق مراكش ، على صفة الغربية . (3)

وقد اتفق لهن فيها أنهم تركوا فى أول الحال عسكراً دخل إليهم الطريق

---

1) في وصف تينملل ومدى . ما هي عليه من حصانة انظر H. Terrasse & Basset : Sanctuaires et Fortresses almohades , p . 37 ss .
(المشاهد والقلاع الموحدية) ؛ وكذلك : Ferriol
و (أطلال تينملل) Les Ruines dė Tinmel Hésperir , 1922 , pp , 162 - 163
وكتاب أويثي : تاريخ 1 / 73 ـ 74 .

2) كلمتان مطموستان لا تستبين منهما إلا بعض الحروف .

3) فى وصف الطويق المؤدي إلى تينملل انظر الادريسي : نزهة المشتاق ص 64 ، وكذلك بحث تيراس وباسيه ؛ المشاهد والقلاع الموحدية ص 35

الشرقية مع « الربرتير » [1] وكان من أقمـاط [2] الروم فأسلم ، وكان* (47 ب) [3] وما يريدونه من النزول الى البسائط ، [4] (5)
العسكر الطريق هبطوا من أعلى الجبل عليهم ، فلم يفلت منهم إلا من كان في بطن الوادى .

---

1) في الاصل : الزبرتين ، وهو تحريف أصلحناه بما أثبتنا ، وكان قائداً مسيحيا أندلسيا من قواد أمير برشلونة Barcelona وأرغن Aragón ومن كبار رجالات دولته، ثم وقع في أسر قائد البحر المرابطي علي بن ميمون ، فوجهه هذا إلى مراكش حيث اعتنق الاسلام ولزم خدمة الامير علي بن يوسف ، فولاه سلطان المرابطين قيادة الجيش المسيحي المرتزق الذي خدم تحت لواء المرابطين في محاولاتهم لاخماد ثورة الموحدين ، وكان اسم هذا المنصب « قائد الروم » ، وقد أبلى « الربرتير » في قتال الموحدين بمنطقة السوس بلاء حسنا حتى قتل في إحدى المعارك التي خاضها ضد الموحدين في سنة 539 . أما اسمه فهو اسم إسباني تعرفه المراجع الاسبانية على هذه الصورة : Reverter ؛ وقد كان للربرتير هذا ولد اسمه علي اعتنق فيما بعد دعوة الموحدين وأصبح من أكابر رجال دولتهم ، وإليه يرجع الفضل في انتزاع جزيرة ميورقة Mallorca من أيدي بني غانية ، وقد قتل علي هذا في إحدى المعارك سنة 583 (انظر عن أخبار الربرتير وحياته ابن خلدون : العبر 2 / 230 ـ 231 ؛ البيذق : أخبار المهدي ص 86 ـ 88 ، 95 ـ 96 ؛ وتعليقات ليفي بروفنسال في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب ص 139 ، 155 ؛ ورينهارت دوزي : Recherches . . . , II, p p . 437 - 442 ومقال الدكتور حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ـ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مجلد سنة 1955 ، ص 102) . هذا ونلاحظ أن ابن خلدون يسميه « الروبرتير » بينما يسميه البيذق « الابرتير » .

2) جمع « قمط » وتكتب أيضا « قومس » Comes (بالاسبانية Conde ، وبالفرنسية Compte) ، وهو اللقب المعروف .

3) في الاصل موضع ثلاث كلمات مطموسة طمسا كاملا ، والمقصود كما تبين من السياق : « وكان يحول بين الموحدين وما يريدونه . . . الخ »

4) في الاصل : البساط ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

ولما قتل الامام المهدى رضى الله تعالى عنه أهل تينملـل آخى بين أصحابه [1]، وكان يبعث بعوثه إلى المواضع التي تلـيه من ناحية سوس، وهي قبيلة [2] تينملل، فيغيرون عليها، فيسبون ويقتلون ويغنمون، وفى كـل يوم يتزيدون ويصلون أفواجاً الى ديـن الله تعالى فيدخلون.

وكان رضى الله تعالى عنه أثبت فى العشرة الفقيه الافريقي، [3] فلما قتل أهل تينملل أنكر ذلك، فقتل وصلب، لانه شك فى عصمة الامام المهدى رضى الله تعالى عنه.

وكان مبتدأ هذه المحاولات [4] فى سنة ثماني عشرة. وكأنها كـلها كـانت فيها أو فى التي بعدها، لم يبينوا ذلك، وكأن الاول أظهر الامرين.

---

5) في الاصل موضع كلمتين مطموستين، ولعلهما « فلما سد العسكر الطريق ... الخ » أو شيء في معناهما.

1) أورد صاحب كتاب المقتبس فصلا طويلا عن هذه « المؤاخيات » التي قام بها المهدي بين أصحابه وأنصاره (انظر أخبار المهدي ص 37 وما بعدها).

2) كذا، والمعروف أن أهل تينملل لم يكونوا قبيلة واحدة، وإنما كانوا قبائل شتى يجمعهم اسم هذا الموضع كما قال عبـد الواحد المراكشي (المعجب ص 340.) ؛ ولهذا فربما كانت هذه الكلمة تحريفا للفظ « قبلة » أي الواقعة إلى جنوب تينمـلل.

3) هو الفقيه الافريقي الذي سبق أن نبه إليه ابن القطان عنـد حديثـه عن أهل العشرة قائلا إنه « لا يذكر اسمه الان » (انظـر ص 76، حاشيـة 2) ؛ ولم يورد اسمه صاحب كتاب « المقتبس » عند إيراده لاسماء هؤلاء العشرة.

4) قد تحتمل أيضا أن تكون « المجاولات ».

أخبار غير الموحدين أعزهم الله تعالى :
من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى .

في هذه السنة توفي أبو الحسن موسى* بن عبد الصمد [1] ، والفقيه (48 أ) أبو بكر ابن عطية الغرناطي [2] ، وقاضي قبرة أبو عبد الله الموروري [3] ، والمشرف أبو محمد ابن مالك [4] .

ومن ذلك قتل الافضل صاحب الآمر ، فقد قيل إنه كان في هذه

1) هو أبو الحسن موسى بن عبد الصمد بن موسى البكري القرطبي ، ولد سنة 466 وروى عن ابيه وعن أبي مروان ابن سراج وغيرهما ، وتقلد أحكام القضاء بقرطبة مع الشورى ثم صرف عن ذلك ، وله رحلة حج فيها وكتب كتبا رواها ، وقد سمع منه في المشرق ، وتوفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1440) .

2) أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي ، ولد سنة 441 ، وروى عن ابيه وغيره ، ورحل إلى المشرق سنة 469 فسمع صحيح مسلم وسمع بالمهدية صحيح البخاري ، وكان حافظا للحديث وطرق علله وأسماء رجاله وكان شاعرا لغويا ، توفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 978 ؛ والفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص 205 ـ 206) .

3) هو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الانصاري ، وأصله من سرقسطة ، سكن قرطبة ، وله رواية عن الباجي وأبي محمد ابن فورتش والعذري وغيرهم ، عني بالقراءات وجودها ، وحدث عنه أبو عبد الله بن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة ، وتوفي بقرطبة سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1150 ؛ وابن الابار : معجم أصحاب أبي علي الصدفي ، رقم 89) .

4) ذكره ابن خاقان في قلائد العقيان (ص 169 ـ 170) ، وسماه « الوزير المشرف » وقال إن أمير المسلمين (أي علي بن يوسف) ولاه شرق الاندلس عند ما كثر فساده ، فاستقل بعمله احسن استقلال .

السنة ، وقد قدمناه في سنة أربع عشرة [1] مع ما ذكره ابن حماده [2] .

قال الوراق [3] :

وظهر الآمر بعد قتل الافضل، بعد أن لم يكن يظهر إلا مرتين في السنة

---

1) سبق أن علقنا على ما ذكره ابن القطان حول مصرع الافضل (انظر ص 24 ، حاشية رقم 7) ، وقد جعله المؤرخ في سنة 514 وإن كان قد أورد الخبر في ذكر احداث سنة 515 ، والواقع أن مقتل الافضل كان في سنة 515 المذكورة لا في 514 ولا في 518 كما نرى من اضطراب ابن القطان بين التاريخين ، ولعل المؤرخ خلط بين الافضل والذي خلفه على الوزارة وإمارة الجيوش بمصر وهو ابو عبد الله المأمون بن البطائحي ، إذ أن الآمر لم يلبث أن قبض عليه وقتله هو وأخاه المؤتمن بعد أن استصفى أموالهما ، وحتى ذلك إنما وقع في سنة 519 لا في السنة السابقة (انظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 5 / 229) .

2) هو أبو الحسن علي بن حماده الصنهاجي المتوفى سنة 628 مؤلف كتاب « النبذ المحتاجة ، في أخبار صنهاجة » ، وكتاب « أخبار ملوك بني عبيد (أي الفاطميين) وسيرتهم » الذي نشره فوندرهايدن في الجزائر سنة 1927 مع ترجمة فرنسية (وإن كان الناشر قد أخطأ في اسم المؤلف إذ جعله « ابن حماد ») ؛ وهو غير أبي عبد الله محمد بن حمادوه البرنسي السبتي صاحب كتاب « المقتبس في أخبار المغرب وفاس والاندلس » (انظر عن علي بن حماده كتاب « مفاخر البربر » ص 65 ؛ وليفي بروفنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب ـ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1954 ص 205 ، حاشية رقم 1 ؛ وكذلك Robert Brunschvig : un aspect de la Literature Historico - Géographique del'Islam, Mélanges Gaudfroy - Demombynes , Le Caire , 1936 , 1945 ' (p . 156

3) هو أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق صاحب كتاب « المقباس في أخبار المغرب والاندلس وفاس » ، وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري ، وكان كتابه من أهم مراجع ابن عذارى في البيان المغرب (انظر البيان 1 / 2 ، 3 / 228 ، 249 ، 258 ، 272) وابن الخطيب (الإحاطة ـ ط . محب الدين الخطيب 1 / 278 ، 288 ؛ و ط . محمد عبد الله عنان 1 / 454 ـ 455) والسلاوي (الاستقصا 1 / 166 ، 169) وصاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 37 ، 64) ، وانظر كذلك عنه ليفي بروفنسال : تاريخ إسبانيا الاسلامية 2 / 259 ، 264 ، 272 ؛ 3 / 81 .

وكان الآمر سيء السيرة . زين له بطانته أنه يملك الدنيا بأجمعها ، ورأى أن ذلك لا يكون الا بالرجال ، والرجال لا يملكون إلا بالمال ، فنظر فى صرف أموال جميع الامراء إليه وجميع الناس فكان لا يرث بديار مصر والد ولده ، ولا ولد أباه ، وإنما يصير ما يتركه الناس من الاموال إذا ماتوا للسلطان. وأمر بأخذ أموال التجار الغرباء وسائر الناس من السوقة [1] تسبب إليهم الاسباب لاخذ أموالهم ، فيؤتى الى التاجر العطار ، فيقال له : وجد في زمن مولانا عليك كذا وكذا ! ـ ما يستغرق جميع ماله وأضعافه [2] ـ : فينكر الرجل ذلك ويقول : ما اشتريت قط بنسيئة من سلطان ولا غيره ! فلا يسمع قوله ، ويعذب حتى يقر أن جميع ذلك من شراء فلفل أولاك [3] أو غير ذلك من العطر . فإذا استصفى ماله طولب بما بقى عليه فإذا لم * يوجد عنده شيء قيل له: أحل على من تعرف أنه ذو مال وكثر (48 ب) وتنصرف . فيقول الرجل : فلان عنده دين ترتب لي عليه ، وهو كذا ـ ويذكر عدداً يستغرق مال ذلك الرجل ـ ، فيترك الاول ، ويؤخذ الثاني فيفعل مثل ما فعل بالاول : فكانت أيامه على هذه الوتيرة [4] !

واستخلص لنفسه فتيين من الفتيان الوضاء الوجوه الحسان الخلقة ، كان أعدهما للفاحشة ، وكان رزق كل واحد منهما في كل يوم ألف

---

1) في الاصل : السرقة .

2) في الاصل : وأضعفه .

3) كذا ، وربما كانت هذه الكلمة تحريفا للفظ « لك » ، وهو صبغ يستخرج من بعض الاعشاب (انظر لسان العرب تحت هذه المادة) .

4) لخص ابن عذارى هذه الفقرة في « البيان المغرب » (1 / 287) ناسبا إياها إلى ابن القطان ، فقال : « وكان (الآمر بحكم الله) جبارا عنيدا ظالما جائرا، وكثر في زمانه دعوى الباطل ، ونصر الظالم على المظلوم وإعانته على ظلمه » .

دينار [1] . اسم أحدهما حرز الملوك [2] . واسم الاخر العادل؛ وأحدث فى بلاد مصر أشياء لم يستحل [3] مثلها الفراعنة ولا النماردة ، ولا سائر الامم الماضية .

والعباسي فى هذه السنة هو المسترشد فى هذه السنة قبل ؛ وأمير إفريقية الحسن بن علي بن يحيى؛ وبمصر الآمر

ومات [4] في هذه السنة العزيز بالله صاحب بجاية . وولى ابنه يحيى وكان لبني الناصر (بن علاء الناس بن حماد ببجاية والقلعة وتلك البلاد) [5] وزراء يعرفون ببني حمدون (توارثوا وزارتهم . منهم ميمون بن حمدون [5]) عند يحيى هذا ، فنشأ ليحيى ولد ، فولاه الامر بعده، وفوض الامر إليه فى حياته ، فجعل الولد يستنقص (الوزير) [5] ميمونا ويقبح

---

1) نقل هذا النص أيضا ابن عذارى (بيان 1 / 287) وأضاف إليه : « وكان يعمل النزاهة (كذا ، ولعلها النزه) ويبيح للناس فيها المحظورات ، فلا يشاء مؤمن أن يعاين منكراً مباحاً إلا عاينه » .

2) في الاصل : هدار ملك . وسيأتي الاسم فيما بعد في هذا الكتاب هكذا « حرز الملوك » ، وهو ما أثبتناه هنا ، وإنما يعني هذين المملوكين اللذين أشار إليهما المقريزي في الخطط (2 / 172) وابن تغرى بردي (النجوم 5 / 240) واسم أولهما عند المقريزي « هزار الملوك برغوارد » وعند ابن تغرى بردي « هزبر الملوك اجوامرد » ، وأما الثاني فهو برغش الملقب بالعادل . هذا ويبدو من هذا النص تحامل بن القطان على الفاطميين ومبالغته في التشهير بهم ، إذ لا يشير المقريزي ولا ابن تغرى بردي إلى ما يزعم مؤلفنا هنا أنه كان الغرض من استخدامهما ، فكلا المؤرخين يقول إنهما كانا من خدام الآمر ، وإليهما يرجع الفضل في توليه الخليفة الحافظ بعده.

3) فى الاصل : يستحر ، ولعلها كما أثبتنا ، وقد تكون أيضا « يستجز » .

4) نقل هذا النص حتى آخر الفقرة ابن عذارى في البيان المغرب (1 / 309 - 310) دون أن ينسبه إلى ابن القطان .

5) إضافات يقتضيها السياق ، من البيان المغرب (الموضع المذكور في الحاشية السابقة) .

أفعاله ويسميه « الشيخ الكذاب » ، فخاف منه ميمون على نفسه ، فجعل يخاطب الامام * أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى (49 أ) عنه .

باب أخبار سنة تسع عشرة وخمسمائة :

في أخبار الموحدين :

فمن ذلك ظهور أبي محمد البشير :

قال اليسع :

لما كان عام تسعة عشر وخمسمائة خرج الامام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى الناس ، فقال لهم : تعلمون هذا الشيخ البشير ؟ فقالوا له : ومن البشير ؟ قال لهم : هو الونشريشي . تعلمون [1] أنه امي لا يقرأ ولا يكتب ، وتعرفون انه لا يثبت على آية ، وقد جعله الله مبشراً لكم مطلعا على اسراركم ، وهو من آية الله تعالى فى هذا الامر !

فأول كراماته أنه حفظه الله القرآن ، وعلمه الركوب ، ثم استعرضه أمامهم فحفظ ، فعرضه عليهم فى أربعة أيام : فى كل يوم ربع ، وأجرى أمامهم حصانا أتقن ركوبه غاية الإتقان ، فاستغربوا أمره وأعجبهم وصدقوا ذلك تصديقا قويا [2] .

ثم قام الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه خطيبا فيهم ، فقال لهم :

---

1) فى الاصل : يعلمون .

2) أورد هذه القصة مع كثير من التفاصيل التى هى أشبه بحوك الاساطير منها بسرد التاريخ : ابن الاثير فى الكامل (8 / 297) والنويري فى نهاية الارب (ط . جاسبار رميرو سنة 1919) ص 191 ـ 192 ؛ وانظر كذلك أويثى : الخرافة والتاريخ فيما كتب عن نشأة الدولة الموحدية (وهو الملحق الاول من ملاحق كتابه « تاريخ الدولة الموحدية ») 2 / 595 ـ 596 .

« قال الله تعالى : « ليميز الله الخبيث من الطيب [1] » ، وقال سبحانه

(49 ب) وتعالى : « منهم المؤمنون وأكثرهم * الفاسقون [2] » ؛ وهذا البشير مطلع على الأنفس محدث . والنبى صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول « إن في أمتى محدثين ، وإن عمر منهم [3] » ؛ وقد صحبنا أقوام أطلعه الله تعالى على ما في نفوسهم من النفاق ، ولابد من النظر فى أمورهم حتى يتم المراد من العدل في أحكام هذه البلاد » .

فقالوا له :

ـ ما أمرت يمتثل !

فنودى في الناس في جبل المصامدة المطيعين: من كان مطيعا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللإمام المهدي رضى الله تعالى (عنه) [4] فليقبل !

فكانوا يأتون قبائل‌قبائل [5] ، فيعرضون على البشير، فيخرج قوما عن يمينه وقوما [6] عن يساره ، فكل من اخرجه عن يمينه يزعم أنه من أهل الجنة ، وما خرج عن يساره ، إلا شاك [7] فى الأمر وفى الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه .

---

1) سورة الانفال ، آية رقم 37 .

2) سورة آل عمران ، آية رقم 110 .

3) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم في باب فضائل عمر (رضه) (8 / 115) على هذه الصورة : « قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم » ؛ وفسر ابن وهب لفظ « المحدث » هنا بأنه الملهم ، وقال القسطلاني إن المحدث هو الذي يلقي في روعه الشيء قبل الاعلام به أو يجري الصواب على لسانه من غير قصد .

4) زيادة يقتضيها السياق .

5) في الاصل : قبائلا قبائلا .

6) في الاصل : قوم . . . وقوم .

7) في الاصل : شاكا .

واتفقت له فيهم عجائب : منها انه يؤتى برجل، فيقول: ردوا هذا على اليمين، فإنه تائب، وقد كان قبل كافراً بهذا الأمر، ثم أحدث البارحة أو اليوم توبة ! فيقول الرجل : كل ماحدث به الإمام فهو حق ! ويطلق أهل اليسار، وهم يعلمون أنه ليس لهم الا القتـل ، فلا يفر منهم أحـد . وكان إذا اجتمع منه كثير قتلهم * قراباتهم : يقتل الأب ابنه والابن أبـاه والـأخ أخاه [1] . (50 أ)

....

أخبار سنة (522)

.... * وفيها استرعى علي بن يوسف البيعة لابنه سير [2] ، (33 ب) فعقدت له البيعة بقرطبة .

---

1) عن هذا « التمييز » أو التطهير الذي اضطلع به البشير انظر ابن الاثير والنويري (في الموضعين اللذين سلفت الإشارة إليهما من قبل) ؛ والبيذق : أخبار المهدي ص 78 ؛ وابن خلدون : العبر 6 / 228 ؛ والسلاوي : الاستقصا 2 / 79 ـ 80 .

2) سير بن علي بن يوسف بـن تاشفين ، من أبناء السلطان المرابطي علي ابن يوسف ، وقد عقد له أبوه ولاية العهد في يوم الجمعة 14 جمادى الاولى سنة 522 (15 يونيه 1128) كمـا نص على ذلك ابن عـذارى فى البيان المغرب (مخطوطـة تامجروت) ورقة 34 وعبـد الملك بن موسى الوراق فى كتاب المقباس حسبما نقـل عنه ابن الخطيب فى الإحاطة (ط . عنـان) 1 / 454 ، وعهد علي بن يوسف فـى نفس الوقت إلى ابنه تاشفين بحكم الاندلس ، فكبر ذلك على سير وفاوض أباه فـى عزله لما اشتعل فى نفسه مـن حسد لاخيه تاشفين بسبب ثناء الناس عليـه ، فلم يسع أباه إلا أن عزل تاشفين عن الاندلس وأمره بالوصول إلى حضرته ، فرحل هذا إلى مراكش فى أواسط سنـة 531 ، وصـار فى جملـة من يتصرف بأمر أخيـه سير ويقف ببابه كأحد حجابه . وقـد بقي سير ولياً للعهد منـذ سنة 522 حتى وفاته سنـة 533 « على الصورة القبيحة » كما يقول ابن الخطيب ، وهي الصورة التى سوف يصفها ابن القطان عند الحديث عن موته في أخبار سنة 533 ، ويتفق مع هذا ما يذكره فرانسيسكو كوديرا فى بحثه عـن « بني تاشفين » فى كتاب « أبحاث نقديـة حـول التاريخ الاندلسى » (المجلد التاسـع ـ سرقسطـة سنـة 1899) ص 119 ـ 120 حيـث يصف مجموعة من النقود المرابطية ضربت في مراكش والمرية وإشبيلية منصوصا فيها على « سير ولي العهد » . (وانظر عن سير بن علي مقالنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » ص 132 ـ 133 والمراجع المذكورة فى هذا الموضع) .

وفيها عزل علي ولده أبا بكر [1] عن إشبلية [2] ، وغربه مكبولا إلى

---

1) أبو بكر بن علي بن يوسف ، هو أكبر أبناء السلطان المرابطي ، ولد سنة 493 (1099 ـ 1100) ، وكان يلقب بيكور (صيغة تصغير « أبي بكر ») وكذلك بكو ، ونشأ بالاندلس كما جرت عادة علي بن يوسف في تنشئة أبنائه ، فدرج في إشبيلية وقام على رعايته وتأديبه الطبيب الاندلسي المشهور أبو مروان ابن زهر ، ولكنه لم يكن منصرفا إلى التحصيل بل كان كثير التشغيب والتضريب كما نستدل من رسالة من أبيه إليه (نشر هذه الرسالة الدكتور حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الاندلس ـ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، سنة 1954 ص 68 ـ 70) ، ويبدو أن أول منصب رسمي عهد به إليه كان حكم إشبيلية في ذي الحجة سنة 517 (يناير ـ فبراير 1124) ، وإن كان لم يضطلع به بالفعل إلا فى شهر المحرم سنة 518 (فبراير مارس 1124) ؛ وكان مما قام به أثناء حكومته لإشبيلية تعقبه لألفونسو المحارب حينما قاد حملته الطويلة التي اخترق فيها بلاد الاندلس في سنة 519 (1125 ـ 1126) ، وقد أسند إليه أبوه بعد ذلك قيادة جيوش الاندلس في 27 صفر سنة 520 (24 مارس 1126) ؛ ويذكر ابن الابار من غزواته حملته إلى كوليه في جمادى الاخرة سنة 522 (التكملة ـ ط. كوديرا ص 87 ، الترجمة رقم 289) ، أما عزله عن إشبيلية الذي يشير اليه ابن القطان في هذا النص فإنه كان فى رجب سنة 522 (يوليه 1128) بسبب تصريحه بالتذمر والضيق من تعيين أخيه سير وليا للعهد ، ولعله كان يرى نفسه أحق بذلك لانه اكبر إخوته . فنفي إلى الصحراء (صحراء المغرب) كما يذكر ابن القطان ، ويبدو أن أباه رضي بعد ذلك عنه إذ نرى أنه قد عهد إليه بقيادة بعض جيوش المرابطين في قتال الموحدين ، وفي سنة 533 يتوفى سير بن علي ولي العهد فيعهد علي بن يوسف بالامر إلى تاشفين ، ويعود أبو بكر إلى الاحتجاج والسخط . حتى اذا ضاق به أبوه أمر بإخراجه من مراكش وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن بها ، ويقول ابن عذارى إنه وصل إلى الجزيرة مريضا فلم تطل مدة محبسه هذا إلى أن هلك (انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 130 ـ 139 ؛ وأويثي : علي بن يوسف وأعماله بالاندلس ص 102 ، 108 ؛ وانظر كذلك ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدي ـ الطبعة الثانية) ص 25) .

2) كذا ، ويكتب هذا الاسم عادة « إشبيلية » ، على أن كتابة هذا الاسم بغير

الصحراء لأمر نسب إليه ، لأنه لم يرض بيعة أخيه ، وولى مكانه بإشبيلية أجداي [1] ، فنهض من قرطبة إلى إشبيلية ، واستخلف على قرطبة أبا زيد تيكلات [2]

وفيها ولي (قضاء) قرطبة (أبو) عبد الله محمد * بن أصبغ [3] ؛ وقدم **(34 أ)**

يا ً - كما جاء في الاصل - كان شائعا في عامية الاندلس كما ينص على ذلك ابن هشام اللخمي في « لحن العامة » : « ويقولون بعض بلاد الاندلس إشبلية ، والصواب إشبيلية ، وكذلك عربتها العرب ، وكان اسمها قبل ذلك أشبانية » (انظر هذا النص وتعليق الدكتور عبد العزيز الاهواني عليه في مقاله « ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة » - مجلة معهد المخطوطات العربية - مايو سنة 1957 - ص 143) .

1) لسنا نعرف على وجه التحقيق من هو « أجداي » هذا ، وقد ذكر أويثي في مقاله عن « علي بن يوسف . . . » أنه هو المسمى بعبد الله بن أبي بكر سير اللمتوني (ص 102 - 103 ، 112) ، ثم ذكر مرة أخرى في نفس المقال أنه عبد الله ابن عمر بن سير اللمتوني (ص 107 - 108 ، 111) ؛ هذا والذي نعرفه من القائمة التي أوردها ابن عذارى لولاة إشبيلية في « البيان المغرب » (القسم المرابطي) (ورقة 51 - 52) أن الذي خلف أبا بكر بن علي بن يوسف على حكم إشبيلية هو عمر بن سير وظل عليها ما بين شعبان وذي القعدة سنة 522 (أغسطس - ديسمبر 1128) . انظر مقال أويثي السالف الذكر ص 108 ؛ ويرى هذا الباحث أن حكم أجداي للمدينة ربما كان بصفة مؤقتة قبل ولاية عمر بن سير المذكور .

2) ذكر أويثي في مقاله المشار إليه (ص 111) أن أبا زيد هذا قتل في سنة 524 (1129 - 1130) في خلال معركة مع النصارى على الارجح ، وأن حكمه لقرطبة كان لفترة قصيرة على أية حال ، إذ أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذي يشير إلى ولايته .

3) في الأصل : « وفيها ولي قرطبة عبد الله بن محمد بن أصبغ » ، والنص على هذه الصورة يوقع في الخطأ مما حملنا على إصلاحه على ما أثبتنا ، فالذي نعرفه من سائر المراجع التاريخية أنه لم يل ولاية قرطبة أحد يحمل هذا الاسم في السنة المذكورة ، وإنما نعرف أن من بين من ولوا قضاء الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد

أبو الوليد بن رشد [1] إلى مراكش على علي بن يوسف ، وأشار عليه ببناء سور مراكش ، وقال له : لا يحل لك سكنى هذه المدينة دون سور ، فبناه وأنفق في بنائه نحو سبعين ألف دينار [2] .

ابن أصبغ الأزدى القرطبى المعروف باسم ابن المناصف ، ولد سنة 474 ، وولى خطة المظالم بقرطبة مع شيخه أبى الوليد ابن رشد ، وكان هذا يستحضره فى مشايخ أهل الشورى ، ثم ولى قضاء الجماعة مدة طويلة ، وصرف بعد ذلك عنه ، ففرغ إلى التدريس وولى الصلاة بالمسجد الجامع ، وتوفى سنة 536 وقد جاوز الستين (انظر فى ترجمة : الضبى : بغية الأنفس ترجمة 51 ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبى على الصدفي ، ترجمة 118 ؛ ابن سعيد : المغرب 1 / 163 ؛ السلاوي : الاستقصا 2 / 66).

هذا ويدلنا على صواب ما رجحنا أن ابن القطان نفسه سيذكر فى أخبار سنة 528 أن فيها عزل علي بن يوسف « أبا عبد الله بن أصبغ » عن القضاء بقرطبة ؛ وقد انخدع بنفس ابن القطان الأستاذ أويثى فعده من ولاة قرطبة فى هذه السنة (انظر مقاله عن علي بن يوسف . . . ص 111)

1) هو الفقيه المشهور أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ولد بقرطبة فى سنة 450 ، وولى قضاء الجماعة فى قرطبة سنة 511 وبقى فى هذا المنصب حتى سنة 513 أو 515 إذ استعفى من القضاء لكى يتفرغ لتأليف كتابه الكبير « البيان والتحصيل » . وكانت وفاته فى الحادي عشر من ذي القعدة سنة 520 . ومن كتبه المنشورة « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » الذي يعتبر من أحسن المجموعات الفقهية (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1164 ؛ الضبي : بغية الملتمس ، ترجمة 24 ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ص 278 - 279 ؛ النباهي : المرقبة العليا ص 98 - 99 ؛ وانظر كذلك بروكلمان : تاريخ الادب العربي 1 / 384 . والذيل 1 / 662 .

2) من الواضح أن ابن القطان قد وهم هنا إذ جعل رحلة ابن رشد الى مراكش في سنة 522 بينما نعرف أنه توفي قبل ذلك بسنتين، ويبدو أن ابن القطان قد اعتمد في هذا التاريخ على أبي مروان الوراق في كتاب « المقباس » إذ أن هذا المؤرخ هو الذي أوصى في كلامه عن بناء سور مراكش بأن رحلة ابن رشد كانت في سنة 522 ولو أنه لا ينص على ذلك صراحة (انظر ما نقله عن الوراق في ذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » ص 53) ، وقد تابع ابن القطان على ذلك ابن عذاري في البيان المغرب (1 / 310) ولو أنه لا ينص على نقله عنه والصحيح أن رحلة

وفيها مات ابن الوراق السرقسطي (1) ، وابن يربوع المحدث (2) ، وأبو بكر ابن ناصر (3) .

والعباسي في هذه السنة المسترشد كما كان ، وبإفريقية حسن بن علي ، وبمصر الآمر .

ابن رشد إلى مراكش ونصحه لعلي بن يوسف ببناء سورها إنما كانا في أواخر سنة 519 على أثر الغزوة التي قام بها ابن رذمير (ألفونسو المحارب ملك أرغن) وأخترق فيها الاندلس من شمالها الى جنوبها . وقد نص على هذا التاريخ صاحب الحلل الموشية (ص 80) ، وقد كانت وفاة ابن رشد بعد رجوعه الى قرطبة من تلك الرحلة بنحو خمس شهور (أنظر ترجمة أويثي الاسبانية لنص « الحلل » ص 116 ، وكذلك مقالنا « وثائق تاريخية جديدة . . . » ص 124 ـ 126)

1) في الاصل: «ابن الوراق والسرقسطي» مما يوحى بأنهما شخصيتان مختلفتان والواقع أن الاشارة هنا إلى أبى المصراف عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي السرقسطي المعروف بابن الوراق ، أقرأ الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتولى الصلاة فيه ، وكانت وفاته في الخامس من صفر سنة 522 ، وكان مولده في سنة 442 (انظر ترجمته في ابن بسكوال : الصلة ، ترجمة 747) .

2) هو المحدث المشهور أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع ، أصله من شنترين ، ويعتبر في عداد أهل إشبيلية ، وسكن قرطبة ، وكان بصيراً بالحديث والرجال والتعديل والتجريح ، وتوفى في التاسع من صفر سنة 522 ، وولد في سنة 444 (انظر ترجمته في الصلة ، رقم 640، وابن الابار : معجم أصحاب أبى علي الصدفي، رقم 191).

3) لم نهتد إلى شخصية ابن ناصر هذا .

بـــاب
أخبار سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

كان الموحدون أعزهم الله تعالى بتينملل .

وفي هذه السنة وصـل الى علي بن يوسف خبـر من مدينة بلنسية أن ابن رذمير [1] عازم على الخروج إلى بلاد المسلمين ، فخشى أن تكون حركته كالتي كانت في سنـة عشرين [2] ، فقسط على الرعيـة سودانا يغزون في العساكر ، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم ، يخرجون ذلك من أموالهم ، ففعلوا .

ونهضت الحشـود إلى مرسيـة ، وقائدها يـدر بن ورقاء [3] ، وقائـد

---

1) يعني به ألفونسو الاول ملـك أرغن Aragón المعـروف بالمحـارب Alfonso el Batallador ، حكم أرغن ونبرة ما بين سنتي 499 و 529 هـ . (1104 - 1134) وهو الذي استولى على سرقسطة سنـة 512 (1118) من أيدي المسلميـن واتخذها عاصمة لملكه ، وكان قد قام في سنة 519 - 520 بحملة جريئـة على بـلاد المسلمين من سرقسطة حتى وصل إلى السواحل الجنوبيـة الشرقيـة دون أن يتعـرض لمقاومة تذكر .

2) يعني الحملة التي أشرنا إليها في الحاشية السابقة ، وقد فصل الحديث عنها صاحب الحلل الموشية ص 75 - 80 (والترجمة الاسبانية ص 109 - 110) وابن الخطيب: الاحاطة (ط. محب الدين الخطيب) 1 / 20 - 40 ؛ والاحاطة (ط . عنان) 1 / 114 - 120 ؛ وانظر كذلك : Dozy : Recherches . . . , 1 , pp. 348 - 363 ؛ وكوديرا : اضمحلال دولة المرابطين ص 13 - 16 ؛ وبوسك بيلا : المرابطون ص 233 - 236 ؛ ويوسف أشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين (ترجمة الاستاذ محمد عبـد الله عنان) ص 146 - 150 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 123 - 126 .

3) في الاصل : بدر بن ورقاء ، والصواب ما أثبتنا ، وهو القائد أبو عبد الله يدر ابن ورقاء ، كان واليا على بلنسية في سنة 519 (1125) حينمـا مرت بالقرب منهـا جيوش ابن رذمير (ألفونسو المحارب) خلال حملته على الاندلس . ويبدو أن عمـل

العساكر كلها ابن مجوز [1] ، وابن رذمير بالقليعة [2] بمقربة من جزيرة

مرسية أضيف إليه بعد ذلك ، ويذكر ابن عذارى (الذي يسميه محمد بن يوسف يدر) أنه توفى سنة 524 وهو على عمل بلنسية (انظر مقال أويثي عن «علي بن يوسف...» ص 113 ـ 114) ، وقد نص صاحب « مفاخر البربر» عليه في القائمتين اللتين أوردهما لعمال بلنسية ومرسية للمرابطين (ص 82) ، ومن بين « النصوص السياسية » التي نشرها الدكتور حسين مؤنس عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1955 ـ ص 120 ـ 122) رسالة موجهة من ابن ورقاء هذا إلى القاضي ابن العزيز ببلنسية يعلمه فيها باستخلاص حصن كوالية من أعمال بلنسية من أيدي النصارى ، وتاريخ الرسالة 14 من جمادى الاخرة سنة 522 ، وهذه الغزوة هي التي اشترك فيها ـ باعتباره قائداً عاما للجيوش المرابطية أبو بكر ابن علي بن يوسف كما يفهم من نص لابن الابار (التكملة ط . كوديرا ـ ص 87 ، ترجمة 289) ؛ ولعل هذه الحملة هي نفسها التي يتحدث ابن القطان عنها في هذا الموضع . وانظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 77 .

1) يرى أويثي أن ابن مجوز هذا هو الذي تسميه بعض المراجع الاخرى أبا زكريا يحيى بن علي بن الحاج وأن اسم « مجوز » و « مكور » و « مقوز » ليست إلا صيغا بربرية لكلمة « حاج » العربية ، وهو من عائلة بني الحاج المشهورة التي أنجبت عددا من أعظم القواد المرابطين ، وأول أفراد هذه الاسرة أبو عبد الله محمد ابن سموين بن محمد بن ترجوت الذي كان ابن عم يوسف بن تاشفين وواحدا من خيرة قواده وهو الذي هزم ألفونسو السادس ملك قشتالة في معركة Consuegra سنة 490 ؛ وأخوه أبو الحسن علي بن الحاج هو الذي عهد إليه بحكم غرناطة سنة 496 ، وفي سنة 497 يستشهد في ميدان القتال ضد النصارى قرب بلنسية ، ويخلفه في هذه السنة أخوه محمد على حكم غرناطة ، وفي سنة 498 يعزل عن غرناطة ويظل بعيدا عن مناصب الحكم حتى يعتلي علي بن يوسف العرش ، فيعهد إليه بولاية فاس سنة 501 ، ثم بلنسية سنة 503 ، ثم يشترك في القتال الدائر بين المرابطين وألفونسو المحارب قرب سرقسطة ، ويستشهد هناك بين سنتي 503 و 505 ابنه يحيى ، وفي سنة 508 يشترك في معركة البورت Congost de Martorell التى هزم فيها المسلمون ، ويتوفى في السنة التالية في معركة ضد القشتاليين .

أما أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج المذكور في هذا الموضع من النص فقد

شقر ، فالتقى الجمعان هنالك ، وانهزم المسلمون ، وتبعهم العدو ، وذهب أكثر الرجالة قتلا وأسرا ، وحاز « العدو » [1] الاسلاب والاثاث والدواب، وذهب من المسلمين ما يزيد* على اثنى عشر ألفا بين قتيل وأسير ؛ (34 ب) وبلغ ذلك علي بن يوسف ، فغاظه [2] ، وأمر بالكتب إلى لمتونة [3] بالخزى، فكتب ابنا أبي الخصال [4] عنه إليهم بكل تنكيل وخزى ؛ وكل هذا مما مهد الله تعالى به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى .

أسند إليه حكم إشبيلية سنة 523 ، وفى هذه السنة يشترك في الوقعة التي انتهت بهزيمة قليبرة Cullera التي يتحدث ابن القطان عنها هنا ، وقد كان من نتائج هذه الهزيمة أن عزل عن حكم إشبيلية ، وخلفه على ولايتها أخوه عمر في سنة 524 ، ولكنه لم يلبث أن استشهد أيضا فى سنة 526 في الوقعة التى هزم فيها المسلمون أمام جيوش ألفونسو السابع ملك قشتالة . (انظر أويثي : علي بن يوسف ص 106 ـ 107) .

2) هذه الوقعة هي المعروفة باسم « قليبرة » Cullera

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) فى الاصل : فغاصه .

3) فى الاصل : لمتون .

4) في الاصل : أبناء أبي الخصال ، وإنما المقصودان هما أبو عبد الله محمد وأبو مروان عبد الملك ابنا مسعود الغافقيان الشقوريان وكانا من أعظم كتاب الدولة المرابطية حتى وقع منهما أو من أحدهما ما أوجب غضب علي بن يوسف عليهما واقصائهما بسبب تلك الرسالة التي يشير إليها ابن القطان هنا ، وتوفى أبو مروان بمراكش سنة 539، وأما أبو عبد الله فكانت وفاته بقرطبة في السنة التالية (انظر مقالنا « وثائق تاريخية . . . » ص 118 ـ 119) . هذا وقد نشر الدكتور حسين مؤنس نص الرسالة التي كتبها أحد هذين الاخوين على لسان علي بن يوسف إلى جند بلنسية من المرابطين حينما أوقع بهم ابن رذمير تلك الهزيمة ، وفيها يعيرهم بتخاذلهم وتقاعدهم، وقد أفحش الكاتب الاندلسي في رسالته هذه على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة على ما يقول عبد الواحد المراكشي في « المعجب » (ص 176) ؛ انظر « نصوص سياسية . . . » ص 114 ـ 118 .

وأغارت [1] النصارى على غليرة [2] ، واكتسحت ما وجدت ، ورصد النصارى أجداي [3] صاحب قرطبة في بعض مخارجه ، فالتقوا به ، فنكب المسلمون وأصيب منهم جملة ، وعزل أجداي عن إشبيلية ، ووليها يحيى ابن بكون [4] ؛ وعزل تميم [5] عن فاس [6] ووليها عمر بن علي بن يوسف [7] .

---

1) في الاصل : وغارت .

2) بالاسبانية Galera . انظر أويثي : تاريخ ... 1 / 77 .

3) في الاصل : أجد .

4) كذا ، ولعلها مكوز (مجوز) ، ويرى أويثي أنه أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج ، وأنه هو المذكور باسم « ابن مجوز » (انظر ما سبق أن أوردناه في الحاشية رقم 1) ص 110 .

5) هو تميم بن علي بن يوسف بن تاشفين ، ذكره ابن عذارى فى حديثه عن أبناء الامير علي بن يوسف ، وقال إنه حضر مبايعة أخيه سير بولاية العهد في قرطبة فى 14 جمادى الآخرة سنة 522 ، ولسنا نعرف عنه بعد ذلك إلا ما يذكره ابن القطان هنا من ولايته على فاس ثم عزله هنا ، ثم اشتراكه فى قتال الموحدين (انظر أويثي : علي بن يوسف ... ص 105) .

6) فى الاصل : قابس ، والصواب ما أثبتنا .

7) لا نعرف الكثير عن أبي حفص عمر بن علي بن يوسف المذكور هنا ، وقد ذكر ابن عذارى أنه ولي حكم غرناطة خلفا لابن عمه أبي عمر يناله ، وكان أول ما قام به هو إطلاق سراح فقهاء جيان الذين قبض عليهم سلفه عامل غرناطة ، وكان من أهم ما قام به أثناء عمله هو الاشتراك مع أخيه الاكبر أبي بكر بن علي بن يوسف فى مهاجمة النصارى الذين كانوا قد استولوا على أحد حصون المسلمين ، فاستنقذ الاميران الحصن واستعرضا معا جنودهما فى غرناطة ، ولكن حكمه لهذه المدينة لم يستمر إلا أربعة أشهر (من جمادى الاولى حتى رمضان سنة 522) وبعدها عزل عن غرناطة وانتقل إلى المغرب فيما يبدو (انظر البيان المغرب - القسم المرابطي - ورقة 33) ونعرف عن نص ابن القطان هنا أنه عهد إليه بحكم فاس فى سنة 523؛ كذلك نعرف من نص آخر فى آخر هذا الكتاب أنه هو الذي ألحق بأخيه سير ولي العهد جراحة خطيرة إثر تسوره على داره يريد زوجته، وذلك في آخر صفر سنة 533، فتوفي سير من إثر هذه الجروح .

وضرب السليطين [1] بالنصارى على جريدة [2] من الخيل تحمل الميرة إلى بعض الثغور ، فرموا الاطعمة وفروا أمامه .

وبعث علي بن يوسف ألفي دينار لاصلاح سور [3] سبتة .

وكان العباسي في هذه السنة المسترشد على ما كان عليه قبل . وكان بمصر أيضا في هذه السنة « الآمر [4] » ، وفي المهدية وبجاية الولاة الذين كانوا عليها في السنين التي قبلها حسبما تكرر ذكره .

---

1) فى الاصل : السلطين ، وإنما المراد بالسليطين (تصغير السلطان) هو ألفونسو السابع الذي ولى عرش قشتالة فى سنة 1126 بعد وفاة امه « أراكة Urraca » بنت الفونسو السادس وظل يحكم حتى سنة 1137 (520 ـ 534 هـ .) ، وكان قد نصب على عرش بلاده وهو بعد صغير السن ، وربما كان هذا هو السبب فى استخدام ابن القطان عند الاشارة إليه لفظ « السليطين » بالتصغير .

2) فى الاصل : حليدة .

3) فى الاصل : رسول .

4) إضافة يقتضيها السياق .

(35 أ)

* بــاب
في أخبار سنة أربع وعشرين وخمسمائة
أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :
فيها التمييز والحركة المباركة

كان للموحدين أعزهـم الله تعالى تمييز بهونا ، وقتل فيه المنافقون، وتمييز بتينملل ، كانت عقبه الحركة إلى البحيرة [1] ، وكان الإمـام رضي الله تعالى عنه قـد حشد لها الناس ، وكتب رضـي اللـه تعالى « عنــه » باستدعائهم وتحريضهم . فشيعهم الإمـام رضي الله تعالى عنـه إلى تينملل كرمها الله تعالى .

وتمادى الموحدون أعزهم الله تعالى في مسيرهم ، فخرج إليهم تميم ابن علي بن يوسف بعسكر لجب مع بعض أصحابه إلى إيجيليز [2] .

....

(39 أ)

* هزيمة أبي بـكر بــن يندوج [3] بكيك :

واستوفت علـى تميم [4] الاموال والسلاح بكيك ، فطلب منه الجنـد

---

1) في الأصل : البحيريـة .

2) في الأصل : الجبلين .

3) ربما كـان أبو بكـر بن يندوج هذا هو الذي يذكره ابن خلـدون باسـم أبي بكر بن محمد اللمتوني عامل السوس (العبر 6 / 228) ولعلـه هو نفسه الذي يذكره البيذق (أخبار المهدي ص 129) مسميا إياه عمر بن ينـدوك ، و كان معتصما بحصن تافر كـكونت في كيك غيغرة ، غزاه البشير ، ومات عمر هذا فأخـذ الموحدون له 150 فرسا ، ومات فيه 500 رجل .

4) هو تميم بن علي بن يوسف المذكور قبل ذلك ، وقد أورد صاحب الحلل الموشية وصفا لهذه الوقعة ، إلا أنه ظن أن تميما هذا هو تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف (انظر الحلل ص 92 وص 134 من ترجمة أويثي الاسبانية). وقد نص ابن عذارى على تميم هذا عند حديثه عن أبنـاء علي بن يوسف (البيان المغرب ـ القسم الموحدي ـ الطبعة الثانيـة ص 25)

قسمة شيء من ذلك عليهم أ فوعدهم للغد ، فلما كان اليوم الثاني وقعت عليهم الهزيمة، فأسلموا الاموال والسلاح والاخبية وغيرها ، وحاز الموحدون أعزهم الله تعالى ذلك كله ، وانهزم أبو بكر بن يندوج [1] .

هزيمة بكو بن علي وقتل يطي بن إسماعيل :

(39 ب) ولما انتهت الهزيمة [2] إلى الجروية [3] خرج عليهم * بكو بن علي ابن يوسف [4] ومعه يطى بن إسماعيل [5] والقواد في عسكر مجر [6] ، فأخذت البشير [7] تلك السنة التي كانت تأخذه عند عظائم الامور ، فلما قام من سنته أعلمهم بالفتح وأنهم يهزمون بكو بن علي ، وأنهم لا بد لهم من يوم آخر يلزلون فيه « أفراج ابن وغواد » على مقربة من مراكش،

1) في الأصل : يبدوح .

2) في الأصل : العزيمة .

3) لم أستطع التحقق من هذا الموضع :

4) نظن أن اسم « بكو » هذا ليس إلا صيغة من الصيغ التي يكتب بها اسم « أبي بكر » مثل بكور أيضا ، ولهذا فالمقصود هنا هو أبو بكر بن علي بن يوسف أكبر أبناء السلطان المرابطي الذي سبق أن ترجمنا له (انظر ص 105 حاشية رقم 1) وقد جاء الاسم على نفس الصورة التي يوردها ابن القطان هنا فيما كتبه عن هذه الوقعة البيذق (أخبار المهدي ص 131 ، والترجمة الفرنسية ص 222)؛ أما ابن أبي زرع في روض القرطاس (2 / 118 ـ 119) والسلاوي في الاستقصا (2 / 84) فيسميانه « أبا بكر » . وانظر أويثي : تاريخ . . . 1 / 80 .

5) يسمى صاحب الحلل الموشية هذا القائد المرابطي « بطى اللمتوني » (انظر ص 92 من االنص و 135 من الترجمة الإسبانية) .

6 (في الأصل : بحر .

7) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشريشي الذي سبقت الإشارة إليه غير مرة.

وأنه يجزح [1] سبعة من الموحدين ـ وأشار إلى أحدهم ـ ، فانهزم بكو ومن معه دون مشقة ولا كبير حرب ، وأخذت محلاتهم [2] ودوابهم وأمتعتهم وأسبابهم وأسلحتهم [3] وقبابهم. وجدوا في آثارهم. وكان ذلك كله!

فوصلوا يوم الاثنين إلى أمجدار بقبلة أغمات وريكة . فوجدوا عسكر يطي وعمر بن تورجير بن يوسف زوج ابنته مريم في عساكر ، فبشر المسيح [4] بهزيمتهم فانهزموا .

ولما رأى يطي بن إسماعيل الهزيمة وثب من صهوة فرسه الى الارض وجلس على درقته ليرجع الناس إليه ، فأدركته الدفعة وقتل وهو على درقته .

وكانت الهزيمة من أمجدار [5] إلى فحص مراكش حرسها الله تعالى

الهزيمة على أغمات :

* وخرج يوم الاربعاء جميع أهل أغمات حتى التجار ، فتنادب [6] (40 أ) الموحدون أعزهم الله على القتال ، وكان المدبرون لأمر الموحدين أعزهم

1) في الأصل : يخرج .

2) في الأصل : مخلاتهم .

3) في الأصل : وانسابهم وأسحلتهم .

4) من الغريب إطلاق تسمية « المسيح » ، فلسنا نعلم أن المهدي أو أحد رجاله قد أطلق عليه هذا اللقب ، وربما كانت سهوا من الناسخ أراد به البشير المذكور قبل ذلك .

5) في الناصل : محدار ، وقد سبقت قبل ذلك بسطور على الصورة التي صححناها بها ، وذكر ابن القطان أنها تقع بقبيلة أغمات وريكة أي في جنوبها ، ونظن أن هذا الموضع هو نفسه الذي ذكره البيذق باسم « مكداز » في الحديث عن الأحداث التي سبقت وقعة البحيرة (أخبار المهدي ص 78 من النص و 127 من الترجمة الفرنسية) .

6) في الأصل : فتناسبوا ، ولعل الصحيح ما أثبتنا .

الله تعالى ثلاثة رجال : سيدنا ومولانــا الخليفة الإمام أمير المؤمنين [1] ، وأبو حفص عمــر بن علي أصناج [2] ، وأبو عمران موسى بن تمارا الجدميوي [3] . رتبوا الصفوف . فكانت الهزيمـة وأخذت جميع المحلات، وقتل من أهـل أغمات مقتلة عظيمة ، ومـات فيها من جناوة ثلاثـة آلاف أسود ، ومشت الهزيمة إلى أن وصل الموحدون أعزهم الله تعالى أفراج يوسف بن وغواد ، فباتوا هنالك ليلة الخميس .

هزيمة علي بن يوسف :

وأصبح الموحدون أعزهم الله تعالى يوم الخميس على باب الشريعة، فخرجت إليهم العامة أجمعون بنشاط وعزم بغير سلاح ، وبرز علي بـن يوسف بعساكره ،

فلما رأى السوقة بغير سلاح نودي فيهم أن ارجعوا ليأخـذوا السلاح، فكان رجوعهم شبها بالهزيمـة ، فخرج الموحدون أعزهم اللـه تعالى على بقية ذلك من دارة لهم كانوا صنعوها - تلك الدارة - سجمى [4] ، ودفـع الموحدون أعزهم الله تعالى في أثر العامة دفعة واحدة ، فكانت الهزيمـة إلى باب الشريعة [5] . وتضايق الناس في الباب ، فمات أكثر الناس في الزحام وكثر القتل فيهـم . فدهش علي بن يوسف وحار حتـى لقال له بعض الناس ممن « كان معه » [6] : يا مرابط ، سر من هنا ! - إلى أحد

1) يعنى عبد المؤمن بن علي .
2) عن عمر اصناج انظر ما سبق أن جاء فى ص 68 ، حاشية رقم 2.
3) عن موسى بن تمارا راجع ص 79 ، حاشية 2 .
4) كذا ، ولعله يعنى أنهم بنوها للتحص والاحتماء بها .
5) هو الباب الذي يعرف اليوم باسم « باب الخميس » .
6) إضافة يقتضيها السياق .

الابواب حيث لا زحام ـ، ولم يرد أن يسميه لئلا يعلم به ، ففر ودخل على باب المخزن .[1]

وكـان يوما عظيما ، فمشى الموحدون أعزهم * الله تعالى إلى بحيرة (40 ب) الرقائق امام باب الدباغين [2] وباب أيـلان [3] ، فأخذوا مروسهم [4] فيها

أربعون هزيمة على مراكش وذكر يوم البحيرة :

وتمادى الحصار على مراكش حرسها الله تعالى مدة من اربعين يوما يقاتلونهم في كل يوم منها أشد قتال ، يحمل الواحد من الموحدين أعزهم الله تعالى على العشرة مـن الملثمين فيهزمهم ، وسيدنـا ومولانا الخليفـة الإمام أمير المؤمنيـن رضي اللـه تعالى عنه في هذه الايام يتقـدم أمامهـم لبسالته ، ويهزم الابطال لحماسته ، والسعد يقدمه . والنصر يخدمـه ، وعلـي ابن يوسف يحشر عساكره من جميع الاقطار ، ويستوفد من بالاندلس منهم وفي جزائر البحار ، والعساكر تصل إليه كل يوم ، إلى أن وصله وانودين ابن سير [5] بعسكر سجلماسة ، فانكسر إلى باب الدباغين ، ووصل عسكر

1) هو المعروف اليوم بإسم « باب الاحمر) .

2) فى الأصل : الزناعين ، والصواب ما أثبتنا ، وقد أشار إليه البيذق (أخبار المهدي ص 103) ، ويسمى اليوم « باب الدباغ » .

3) احتفظ هذا الباب باسمه القديم حتى اليوم: باب أيلان (أي أغمات أيلان)

4) كـذا .

5) فى الاصل : وايدين ... ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وربما كان وانودين ابن سير هذا هو نفسه الـذي ذكره ابن عذارى فى البيـان المغرب (الجزء الرابع ـ ط . تطوان 1956) ص 198 (والطبعة الثانية التى تطبع الان فى تطوان بمساهمة الاستاذين محمد بن تاويت ومحمد ابرهيم الـكتاني مع الاستاذ أويثي) ص 215 ؛ وقـد قال ابن عذارى عنهم إنه كان أول وال على جزيرة ميورقة بعد استنقاذها من ايدي القراصنة البيزيين والجنويين والقطلانيين سنـة 509 ، إلا أنـه لـم يبق بهـا إلا ثلاثـة أشهر (انظر كذلك مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 161) .

القبلة ، فلم يدخلوا مراكش ، وباتوا في أخبيتهم بخارج باب أغمات ، فعرض عليهم الدخول ، فامتنعوا إلا معاجلة الحرب ، فغلس الفريقان مبكرين على سروجهم وتعبيتهم .

فكانت المدافعات بينهم على رؤوس العيون من سواقي الرقائق ، (41 أ) فاستشهد من استشهد * من الموحدين ، وانحاز باقيهم إلى التملع بداخل البحيرة .

وإن حفيرا من تلك السواقي خندقا عظيما مغاره في السعة ثلاثون ذراعا اعترض لسيدنا الخليفة الاول رضي الله تعالى عنه في طريقه ، فوثب به فرسه - وكان فرسا أخضر - ، فعجب الموحدون أعزهم الله تعالى لسعة الخندق وقوة الوثبة وثبات سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه على السرج ، وقيل إنه أعاد ذلك ثانية كذلك .

وكانت الحرب في البحيرة إلى ان جمع الناس بين صلاة الظهر والعصر ، وصلوا صلاة الخوف ، فقال علي بن يوسف لما راى الموحدين اعزهم الله تعالى يصلون صلاة العصر بعد الهزيمة في البحيرة : إن هذا لعجب : غلبوا فصلوا ، وغلبناهم فعطلناها ! ما اظن هـؤلاء إلا على الحق ! . وقد كان الموحدون اعزهم الله محافظين على الصلوات في اوقاتها وعلى شروطها.

وكانت هذه الكائنة على الموحدين أعزهم الله تعالى يوم السبت الثاني من جمادى الأولى عام أربعة وعشرين وخمسمائة [1] في قول

1) يقابل هذا التاريخ 13 أبريل سنة 1130 م . ، على أن الباحث الأستاذ اويثى يرى أن هذا التاريخ لا يطابق ما ذكره أبو بكر البيذق في كتاب أخبار المهدي حول هذه الموقعة ، ورأي البيذق له قيمته الكبرى إذ أنه قد اشترك في المعركة بنفسه ، وقد ساق أويثى حججه على رأيه ، وانتهى إلى أنه يمكن التوفيق بين ما ذكره المؤرخان إذا صحح ما يقول ابن القطان على أساس جعل تاريخه « الثاني عشر من جمادى الثانية » لا الأولى أي 13 مايو سنة 1130 ، وقد كان يوم سبت أيضا (انظر تاريخ الدولة الموحدية 1 / 83 - 84) .

المؤرخين كلهم إلا اليسع ، فقد تقدم قوله [1] ، وما أراه إلا وهما .

وفقد البشير وجماعة من اهل الجماعة ، وحمل أبو حفص عمر بن يحيى [2] جريحا على الاعناق ، فلما جن الليل تداول الناس جرحاهم ودفنوا من أمكنهم دفنه ، وأردف الناس بعضهم بعضا ، وتعاونوا ورحلوا .

وكان من لطف الله تعالى أن جاءت [3] السماء بمطر وابل في عشي ذلك اليوم فانكفأ له * المجسمون إلى ديارهم ليعاودوا [4] القتال بعد ذهاب (41 ب) كللهم ، وتخلص أمير المؤمنين رضي الله عنه مع الصابرين الباقين من أصحابه ، وأمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه يتقدمهم ، ودفعوا على من كان وثب عليهم من الملثمين ، فانهزموا أمامهم ، وخلوا لهم عن الطريق

ولقد حكى السيد الاجل أبو علي الحسين بن أمير المؤمنين [5] رضي الله تعالى عنه قال :

سمعت أبي رضي الله تعالى عنه يقول :

كان يوم البحيرة فارس من فرسان الموحدين، يحمل على الملثمين فيرمونه بالنبال ، فيحميه الله تعالى من السهام ، فتصيب الرمح الذي بيده حتى يرجع رمحه مثل القنفذ من السهام .

قال :

وكان يفهمنا أنه رضي الله تعالى عنه ذلك الرجل .

---

1) لم يتقدم هذا القول فيما بين يدينا من المخطوط ، ولعله ذهب في أحد الخروم الكثيرة التي ذهبت ببعض أوراقه .

2) هو عمر إينتي (الهنتاتي) الذي تكرر ذكره غير مرة .

3) قد تكون أيضا : جادت .

4) في الأصل : ليعادوا ، وقد تكون أيضا : ليغادوا .

5) سنورد ترجمة للحسن بن عبد المؤمن هذا عند الحديث عن أبناء هذا الخليفة الموحدي .

وقعـة بجهـة أغمات :

وساروا حتى إذا كـانوا بحومـة أغمات لحقهم الطلب ؛ فـروى عـن سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه انه قال :

لما ضيقوا علينا واضطررنا إلى الدفاع كان معي عبد الله بن يعلى بن ملوية ، فانقسمنا قسمين : أنا في قسم ، وهو فى قسم ، والملثمون قد الحوا [1] في اتباعنا ، فقال لى عبد الله بن يعـلى : كن انت واصحابك في اليمين واضرب فيهم ! ففعلنا ذلك ، فانهزم الملثمون في الحين إلى باب مراكش فكان عاقبة عبد الله مـا اختـاره لنفسه انه من اصحاب الشمال ! [2]

(42 أ) ولما وصل الموحدون اعزهم * الله تعالى إلى جبل هزرجة ـ وهي بلاد الشيخ ابي ابرهيم [3] عين سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه خمسين رجلا محتسبا ، وأمرهم أن يسبقوا إلى الفج ، وكان هزرجة هموا بالغدر ، وخاف أن يسبقوا إليه ، فسبق المحتسبون إليه ، وسلموا من عدوهم، فلقوا به عسكرا من الغزاة قد بعثهم الامام المهدي رضي الله تعالى عنه، فساروا معهم الى تينملل .

وكـان قتل هيلانة يوم البحيرة ذريعا: مات منهم زهاء اثنى عشر [4] ألفا ، لانهم كانوا قد حشدهم الموحدون اعزهم الله تعالى ، واوعبـوا في

---

1) فى الاصل : لقد لحوا .

2) يعني بذلك خروج ابن ملويـة ـ وكان أحد أهـل الجماعـة العشرة ـ علـى دعوة الموحدين أو « ارتداده » عند إعلان خلافة عبد المؤمن بن علي ، وكان قـد انضم إلى صفوف المرابطين حينئذ ونهض الى تينملل ليهدمها ، فقام عليه بعض زعماء جنفيسة وقتلوه وصلبوه بتينملل سنة 527 (انظر ما سبق أن كتبناه عنه في الحاشية رقم 2 ص 80) .

3) يعني أبا ابرهيم اسماعيل بن يسلالي الهزرجي أحد أهـل الجماعـة العشـرة (انظر ص 78 حاشيـة 1) .

4) في الاصل : اثنا عشر .

الحشد ، فعملوا الهزيمة يومئذ . وكانوا اول منهزم لابي عمروس من بلادهم ، فتبعهم المجسمون ، فأوعبوا قتلهم .

واستشهد يوم البحيرة نصف اهل الجماعة ، وسلم نصفهم . فالذين سلموا : منهم سيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المؤمنين رضي الله تعالى عنه . وابو حفص عمر بن علي ، وابو ابرهيم ، وابو حفص بن يحيى ، وعبد الله بن ملوية .

وكان سيدنا الخليفة قد وجه رقاصا [1] للامام المهدي رضي الله تعالى عنهما بالخبر . فوصل إليه . فاستجلاه ، واعلمه بالحقيقة . فقال له : عاش ابو محمد عبد المؤمن ؟ قال : نعم ، قال له : كأنه لم يمت احد [2] ! والبركة في بقائه . وكأنكم بالفتح !

وصادف الموحدون اعزهم الله تعالى الامام المهدي رضي الله تعالى عنه عند وصولهم إليه مريضا . فلم يعش بعدها إلا اياما * قلائلا . (42 ب)

وقيعة انهزم فيها الملثمون :

ذكر البيذق أنها كانت بعد البحيرة وقيعة مع لمتونة ، وهم في أربعة جيوش يقدمها أربعة من صناديدهم [3] ، فاقتتلوا بموضع يقال له « أيجران بني تيوكريت» [4] ، فلما رأوا ما لا يطيقون رجعوا إلى مراكش ، ورجع الموحدون أعزهم الله تعالى إلى تينملل ، وهذا في حياة الإمام المهدي

1) الرقاص في الاصطلاح الاندلسي والمغربي هو حامل البريد ؛ وقد ذكر البيذق في كتابه (اخبار المهدي ص 79) إنه هو نفسه كان الذي ابلغ خبر هزيمة لبحيرة إلى ابن تومرت (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 1 / 547) .

2) في الاصل : أحدا .

3) الخبر بالتفصيل في كتاب البيذق (أخبار المهدي ص 79 - 80) ، وقد ذكر أسماء قواد هذه الجيوش المرابطية الاربعة ، وهم سير بن واربيل ومسعود بن ورتيغ ويحيى بن سير ويحيى بن كانجان .

4) يسمي البيذق هذا الموضع « إيجر متاع بني كوريت » .

رضي الله تعالى عنه ، وميزهم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، وكتب اسم عمر أصناج بعد اسمه ، وجعل رسمه عقيب رسمه.

....

(50 أ) * قال اليسع :

.... (فقال ابن همشك :) [1] تأمرني أن أجمع ثلاثمائة فارس وأخرج إليهم ؟ قال (علي بن يوسف :) نعم !

فصعد ابن همشك [2] على باب أيلان ، وأخرج جملة من أصحابه

---

1) لم يترك الناسخ هنا فراغا إلا أنه من الواضح ان عدة سطور قد سقطت من هذا الموضع مما حملنا على إضافة ما وضعناه بين حاصرتين ، على أن هذا النص كان من بين ما نقله عن اليسع صاحب « الحلل الموشية » دون أن يشير إلى مصدره ، ومؤدي النص هنالك (الحلل الموشية ص 94 ـ 95) أن الموحدين ضربوا الحصار قبل معركة البحيرة أربعين يوما على مراكش كان يتوالى خلالها القتال ، وكان فى جيش علي بن يوسف رجل من أهل ثغور الاندلس يدعى عبد الله بن همشك ، فلما اشتد الامر على علي بن يوسف من أجل الحصار طلب إليه ابن همشك أن يأذن له فى الخروج إلى الموحدين بثلاثمائة فارس من أصحابه .... الخ .

2) ضبط الاستاذ أويثي هذا اللفظ «همشك» بفتح الهاء والشين وسكون الميم (انظر تاريخ الدولة الموحدية 1 / 81، وترجمته للحلل الموشية ص 118، حاشية رقم 1 حيث يذكر أن ضبطه لهذا الاسم على تلك الصورة إنما توخاه وقصد إليه بعد أن رآه مضبوطا هكذا في مخطوطة « نظم الجمان ») ، وقد تبع أويثي على ذلك الاستاذ بوسك بيلا في كتابه عن « المرابطين » (ص 218 ـ 219) ؛ وإنما الصواب في ضبط الاسم هو ما أثبتنا . أما مخطوطة « نظم الجمان » فلا يعتد بضبط ناسخها ، إذ أنه دائما حافل بالاخطاء مما لا يجعل لنا معولا عليه بأية صورة . ويدل على صواب ما ذكرنا فى ضبط هذا الاسم ذلك البيت الذي رواه ابن الابار للشاعر أبي بكر اليعمري الوبذي فى هجاء ابرهيم بن همشك (المقتضب من تحفة القادم بتحقيق الاستاذ ابرهيم الابياري ص 77 :)

. . همشك ضم من حرفيـ ـن : من هم ومن شك

إذ لا يستقيم ضبط أويثي مع سلامة وزن البيت . أما عبد الله بن همشك فلم توافنا عنه المراجع بما يشفي الغلة ، وكل ما نعلمه هو أنه ينبغي أن يكون من هذه

يقاتلون أمامـه لينظر أحوالهم في قتالهم ، فرآهـم بخفتهم يدخلـون تحت ظل الفناء . فنزل وأمر الخارجين معـه إليهم أن يردوا أرماحهم من ستة أذرع ، وبرز أول النهار إليهم ، فما انصرف حتى أدخل المدينة نحوا من ثلاثمائة رأس . ففر الناس .

وأمر علي بـن يوسف بالخروج إليهم ، فالتقوا ، وانهـزم الموحدون أعزهـم الله تعالى ، وقتـل منهم نحو مـن أربعين ألفا ، ولم يسلم منهـم إلا أربعمائة بين فارس وراجل . فظهر أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن رضي الله تعالى عنه في هذا اليوم ظهوراً عظيماً ، وأغنى غناء بينا ، وذب عن المنهزمين ، وحمى المغلولين إلى أن جن الليل . وكان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في هذه الاحوال لا يسافر ، إلا أنه يبعث البعوث.

ولما جن الليل انصرف الموحدون أعزهم الله تعالى ، ولحقوا بالجبل فلما سمع الإمـام المهدي رضي اللـه تعالى عنـه بهزيمتهم قال : إذا عاش عبد المؤمن بقي الامر وظهر .

وفي * « البحيرة » فقد البشير ، ولم يجده الموحدون ولا الملثمون (50 ب) حيا ولا ميتا ، فيقول الغلاة في أمره إنه رفع ! (1)

فلما انصرفوا إلى تينملل بعد الهزيمة اشتدت عليهم الاحوال .

العائلة الاندلسية المسيحية الاصل والتي كان مـن أبرز رجالها ابرهيم بن همشك صهر أمير مرسية محمد بن سعد بن مردنيس (انظر عنه ابن الابار في الموضع المذكور قبل ذلك ، وابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 260 ـ 263 ، والإحاطة (ط. عنان) 1 /) وابن عذارى : البيان المغرب ـ القسم الموحدي (الطبعة الثانية) ص 49 ـ 54

1) عن معركة البحيرة انظر كذلك : البيـذق : أخبـار المهدي ص 78 ـ 79 ؛ الحلل الموشية ص 94 ـ 95 ؛ عبد الواحد المراكشـي : المعجب ص 192 ـ 193 ؛ ابن الاثير : الكامل 8 / 298 : ابن خلكان : وفيات الاعيان 4 / 144 ؛ النويري ؛ نهاية الارب (ط . جاسبار رميرو) ص 192 ـ 193 ؛ ابن خلدون : العبر 6 / 228 ، ـ 229؛ السلاوي : الاستقصا 2 / 80 ـ 81 .

وقال ابـن الراعي :

خـرج الموحدون أعزهم الله تعالى عام البحيرة حتـى نزلوا بظاهـر أغمـات بالموضع المسمى «أمجدار» [1] ، وأقاموا هنالك أربعيـن يومـا ، واتصل بهم بكـور علي بن يوسف [2] بشرذمته وشوكته ؛ ففتح اللـه تعالى لأوليائه الموحدين وهزموهم واتبعوهم بالسيف والسلب إلى مراكش .

وقـال غيره :

هزم بكو ويطـي بن إسماعيل ، فخرج علي بـن يوسف بشرذمتـه وشوكته ، ففتح الله تعالى لاوليائه الموحدين إلى باب المدينة ؛ ودخـل علي بن يوسف على باب دكالة ، ورجع بقية المنهرمين من واد أم ربيع فحلق علي بن يوسف لحاهم .

وكان يوم البحيرة بعد شهر ونصف من وصولهم؛ وبني الجامع، وأنفق في بنائه نحو ستين ألفا ، وبنى صومعته نحو الثلث ، وتركها تتقعد ، ثم أتم بناءها سنة سبع وعشرين .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد ، وبإفريقيـة حسن بن علي وبمصر الآمر .

---

1) في الاصل : إيجدار ، وقد سلف ذكر هـذا الموضـع على الصـورة التي أثبتناها ، وأشرنا إلى أن الارجح هو أن يكون هذا الموضع هو الذي يسميه البيذق (ص 78) « مجداز » .

2) كذا ورد الاسم هنا ، وقد سبق أن جاء « بكو » ، وقـد سبق أن أشرنا إلي أن هاتين صيغتان في اسم « أبي بكر » .

* مواداعة الامام المهدي رضي الله تعالى عنه للناس وإشعاره إياهم بوفاته ؛ (42 ب)

وذلك أنه لما تمادى مرضه خرج راكبا على بغلته ، وجمع الناس ليسمعهم كلامه ووداعه ، وأمر أن يكون الرجال أمامه ، والنساء خلفه ليسمع كلهم كلامه ، فقال لهم رضي الله تعالى عنه : إن المهدي مرتحل عنكم ! فبكى الناس واستوحشوا ، فقالت له أخته زينب : وإلى أين تغيب عنا ؟ الم يكفك ان غبت عنا خمسة عشر عاما ؟ وقالوا له : إن كنت تسير الى الشرق ونسير معك ؟ ؛ فقال إنما اسافر وحدي !

وكان وعظه رضي الله تعالى عنه ووداعه للناس من بعد العصر* الى (43 أ) أن كاد الشفق أن يغيب ؛ ثم التفت الى الوقت وهو راكب ، فكبح البغلة باللجام ، ورجع الى موضعه وصف الناس ، وقال لهم : صلوا الصلاة في أوقاتها ، وإياكم أن تقولوا ان المهدي أخر الصلاة عن وقتها من أجل أنه قد فاتته المغرب أو كادت لاشتغاله بالوعظ ! واتصل الالم .

وفاة الامام المهدي رضي اللة تعالى (عنه) :

توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وخمسمائة [1] ، ودفن رضي الله تعالى عنه بمدينة تينملل حرسها الله تعالى .

---

1) يتفق معظم المؤرخين على هذا التاريخ (13 / 14 رمضان سنة 524 أغسطس سنة 1130 م .) . وانظر حول ذلك أويثي : تاريخ 1 / 87 .

خاتمة لذكر دولته رضي الله تعالى عنه
بذكر ما لم ينضبط بالتاريخ من أمره :

كان رضي الله تعالى عنه يدعو الناس الى عبادة الله تعالى، ويخبرهم أن الله سبحانه فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، وفرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، ويأمرهم بقراءة القرآن وحفظه ولزوم الحزب (1) بعد صلاة الصبح وبعد المغرب ، وأمر المؤذنين إذا طلع الفجر ان ينادوا « اصبح والحمد لله! » (2) إشعارا بأن الفجر قد طلع، لالزام الطاعة، ولحضور الجماعة وللغدو لكل (3) ما يؤمرون به؛ وامر بغزو من خالف أمره ؛ وعلم الناس الحركة كيف تكون ، فأمرهم إذا عزموا على الركوب* (43 ب) أن ينادي مناد : الاستخارة بالله والتوكل عليه ! ، وإذا تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجالة يكون بينه وبين الامير مقدار ربع ميل ، ويكون الامير متقدما على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به يحفون به ، ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعروفون بالساقة ، ثم كل قبيل على ترتيب وحسن هيئة معه علاماته.

فأما رايته (4) المنصورة المتقدمة بين يديه ففي أحد وجهيها مكتوبا

---

1) في الاصل : الحرب .

2) أورد ذلك أيضا السلاوي في الاستقصا (2 / 86) ، وقد أصبح هذا النداء شعاراً للموحدين بدليل ما يذكره ابن عذارى في البيان المغرب (القسم الموحدي - الطبعة الثانية ص 16) في أثناء الكلام عن حصار الموحدين لوهران : « فاجتمعوا ذات يوم في الجبل المطل على وهران ، فصاحوا صيحة واحدة بلسان واحد : أصبح والحمد لله ! ولم يكن اللمتونيون يصيحون بذلك ، فلما سمعه أهل عسكر تاشفين (بن علي بن يوسف) وقعت رجفة عظيمة ، فأمر ألا يخرج إليهم خيفة الكمين » .

3) هذه الكلمة مكررة في الاصل .

4) في الاصل : رأيته .

« الواحد الله ، محمد رسول الله ، المهدي خليفة الله» ، وفي الوجه الثاني « وما من إله إلا الله، وما توفيقي إلا بالله ، وأفوض أمري إلى الله ».

وأما رايات الموحدين أعزهم الله تعالى وأنجدهم فإنما تفنن أمرها حين تواصلت فتوحهم بعده كما سيأتي وصفها إن شاء الله تعالى ، فأما في أيامه فإنه لما ملأت عليهم رايات لمتونة الفحوص مختلفة الالوان قال لهم : لا تهولنكم هذه الخرق ، وارفعوا أنتم ما لديكم من الثياب ، فعن قريب تصير هذه العلامات كلها لكم ! فرفعوا أزرهم وأكسيتهم وأرديتهم ونحو ذلك ، ثم أفاء الله تعالى علامات أعدائهم .

وأوصاهم في سفرهم إذا مروا على طريق متصل* بها زوع نكبوا (44 أ) عنه ودرأوا أهل الفساد عنه ؛ وإذا سمع صياح متظلم [1] وعى قوله وأشكى من ظالمه .

وقال رضي الله تعالى عنه :

شروط العلم تسعة ، وهي : الفراغ التام ، والبصيرة النيرة ، والسريرة الحسنة ، والهمة العالية ، والصبر الحديدي ، والاقتداء بالإمام الناصح ، واتباع السبيل الواضح ، والتأدب بأدب أهله ، وألا يبتغي به ماسوى وجه الله تعالى .

وينبغي لطالب العلم أن يقدم أربعة أشياء : أن يرغب إلى الله تعالى في الهداية الى الحق، وأن يكون له سريرة حسنة ، وأن يقنع بما علمه الله، وأن يعلم أن الباب مفتوح لسائر العباد .

والأعمال لا تصلح إلا بتقديم أربعة أشياء : الحذر ، والاحتياط والإشفاق ، والإخلاص .

---

1) في الاصل : متكلم .

والقواطع عن العلم أربعة : الحوادث الصارفة ، واشتغال النفس وعدم الكفاف ، ومخالطة الناس .

وآداب الصحبة ثمانية : المسالمة ، والمسامحة ، والمساعدة ، والمناصحة ، والمؤازرة ، والمواصلة ، والمحافظة ، والمكارمة .

وكان دعاؤه رضي الله تعالى عنه :

اللهم أعنا على طاعتك ، وأتمم علينا نعمتك ، وزدنا من فضلك وإحسانك ، وثبتنا على دينك ، حتى نلقاك وأنت راض عنا برحمتك يا أرحم الراحمين [1] .

اللهم وفقنا ولا تخذلنا ، واهدنا إلى الخير ولا تخيبنا ، ووفقنا لما تحب وترضى حيثما كنا . وأعنا على القيام بحقك ، واحفظ أمانتك ، * ورعاية (44 ب) عهدك ، بفضلك يارب العالمين .

اللهم تعلم ذنوبنا كلها فاغفرها ، وتعلم عيوبنا كلها فاسترها ، وتعلم حوائجنا كلها فاقضها ، وتعلم أعداءنا فاكفنا إياهم ، كفى بك وليا ، وكفى بك نصيراً .

اللهم إن نواصينا بيدك لم تملكنا منها شيئا ، فكما فعلت ذلك بنا فكن أنت ولينا ومولانا ، واهدنا إلى سواء السبيل ، إنك نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين .

---

1) نقل هذه الفقرة من دعاء المهدي صاحب الحلل الموشية ص 97 ـ 98 ، وانظر كذلك ترجمة أويثي الإسبانية ص 142 ـ 143 .

ذكر الفترة التي تلت وفاته بكتمان موته رضي الله تعالى عنه عن الجمهور ، والبيعة الخاصة لسيدنا ومولانا الخليفة الأول أمير المؤمنين رضي الله عنه

وذلك أنه لما توفي رضي الله تعالى عنه كتم أصحابه وفاته ، وما كان يعلمها إلا أهل الدار المسمون قبل، وهم خدمته وأخته شقيقته ، ولقد كتمت ذلك عن زوجها ، وأكابر أصحابه فبايعوا سيدنا ومولانا الخليفة الأول الإمام أمير المؤمنين في الحين بيعة * السر رضي الله تعالى عنه [1] . (45 أ)

. . . . [2] وقال له : سيركبك الخيل !

وقال الإمام رضي الله تعالى عنه عام البحيرة لما أصيب الموحدون أسلم عبد المؤمن ؟ قالوا : نعم . قال : فالأمر باق الى قيام الساعة !

فهذا وأمثاله من أقوال الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه يدل على ما صدقه الوجود من أن الخلافة في عقبه رضي الله تعالى عنهم أجمعين إلى قيام الساعة بحول الله تعالى كما قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في حديث البزار الذي ذكرناه ، وكما يدل عليه قوله

---

1) ذكر البيذق أنه لم يحضر وفاة المهدي إلا خمسة أشخاص : خليفته عبد المؤمن ابن علي ، وأبو ابرهيم اسماعيل بن يسلالي الهزرجي ، وأبو محمد وسنار ، وعمر أصناج ، وأخت المهدي أم عبد العزيز بن عيسى (انظر أخبار المهدي ص 81) .

2) لم يترك الناسخ فراغا هنا ، ويبدو أن كلمات سقطت من النص فيها تتمة لهذه الجملة التي يتنبأ فيها ابن تومرت لعبد المؤمن بعلو كلمته واتساع سلطانه ، ويشبه ذلك ما أورده ابن خلكان في وفيات الأعيان (2 / 403) إذ يقول إن ابن تومرت كان كثيراً ما يقول لأصحابه : صاحبكم هذا غلاب الدول ! (يعني عبد المؤمن)، ويتبع ذلك ابن خلكان بقوله : ولم يصح عنه أنه استخلفه ، بل راعى أصحابه في تقديمه إشارته ، فتم له الأمر وكمل .

عليه الصلاة والسلام إذا اختلف الناس فالعدل فى مصر [1] ؛ وقوله عليه الصلاة والسلام : لا يزال أهل العزب [2] ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة [3] . وقد جودنا الكلام على هذا الحديث فى « الأحكام » والحمد لله

كرمه رضي الله تعالى عنه :

كان يخرج للمواساة مرتين وثلاثا فى الشهر الواحد بحسب حضور المال [4] لديه ، وكان رضي الله تعالى عنه يتفقد من يرتب ببابه الكريم بأن يغلق الباب على غفلة من الناس ويحصى من حضر . فيعطوا على السوية عشرة دنانير عشرة دنانير ، يفعل هذا في العام مراراً كثيرة، وربما والى [5] ذلك فى كل شهر .

---

1) لم أجد هذا الحديث فى كتب الصحاح ولا فى مقدمات كتب تاريخ مصر مثل كتب ابن عبدا لحكم والسيوطى وابن تغرى بردى على الرغم من عناية هذه الكتب بتسجيل كل ما جاء فيه ذكر مصر من الأحاديث والآثار ؛ هذا وإن كانت قد وردت فى كل هذه الكتب أحاديث أخرى فى نفس المعنى (انظر ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة 1 / 29 ؛ النويري : نهاية الأرب 1 / 346 ـ 347 ؛ السيوطى : حسن المحاضرة 1 / 5 ـ 12) .

2) هذه الكلمات مطموسة فى الأصل .

3) ورد هذا الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الإمارة 6 / 54؛ والمالكي : رياض النفوس 1 / 3 ؛ والحميدي : جدوة المقتبس ص 7 ؛ وابن عذارى : البيان المغرب 1 / 6 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 14 ـ 15 .

4) فى الأصل : المليل .

5) فى الأصل : إلى

تواضعه رضي الله تعالى عنه :

قال ابن صاحب الصلاة :

إنه ما لبس قط إلا ثياب الصوف عن قميص وعن سراويل وعن جبة تواضعا لله تعالى وزهداً .

تأديبه لبنيه الكرام رضي الله تعالي عنه وعنهم :

كان رضي الله تعالى عنه يطعمهم الطعام الحسن ويلبسهم مثل ما يلبس من الثياب ، وكان يدربهم في الدين ويشتد عليهم فيه ويعلمهم الأذان ، ويأخذهم بالرمي والعوم وركوب الخيل والتدرب عليها مع الموحدين أعزهم الله تعالى [1] ، وكان يأخذهم بحضور الصلوات الخمس في الجماعات ، وبقراءة الحزب من القرآن إثر الصلاة ، ويحضرون مع المؤذنين في الأسحار على ارتقاب الفجر والمنازل ، وربما يمشون على أقدامهم ، وإذا ولاهم البلاد بعث معهم من أشياخ الموحدين أعزهم الله تعالي ورجالهم العقلاء الخيار الفضلاء وزراء وأشياخا في الأحكام ، والحمد لله رب العالمين .

---

1) ما ذكره ابن القطان هنا حول تأديب عبد المؤمن بن علي لبنيه سواء من الناحية العلمية أو العسكرية كان متبعا بصفة عامة في تربية الحفاظ - أي صغار الطلبة - الذين كان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف ، وقد تحدث عن ذلك بالتفصيل صاحب الحلل الموشية (ص 125) . وانظر تعليق الدكتور أحمد مختار العبادي على هذا النص في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين» (مجلة تطوان - العدد الخامس سنة 1960 - ص 107) .

الإثناء الإمامي المهدي عليه رضي الله تعالى عنه والتصريح بخلافته بعده رضي الله تعالى عنهما وببقاء الأمر العلي في عقبه الكريم إلى قيام الساعة بحول الله تعالى

قـال ....

(51 أ) .... (1) *مشاورين، ويأمرهم بالتزام أشياخ البلاد من الفقهاء والطلبة والكتاب والشعراء، ومذاكرتهم وملازمة الخير وقراءة القرآن وعقائد الامام المهدي رضي الله تعالى عنه وحفظها، وحفظ التوحيد العربي والغربي، (2) والعدل (3) والاحسان وإماتة الباطل.

علمه وحلمه وانبساطه رضي الله تعالى عنه:

أما علمه رضي الله تعالى عنه فسيأتي قطعه لزمانه بإملاء علوم المهدي رضي الله عنهما، وقراءة العقائد (4) والموطأ، (5) ومجالسته للطلبة،

1) سقط أول هذا النص، ولو أن بقيته التي تبدو هي التي أوردها صاحب الحلل الموشية في ص 125 ـ 126 والتي تحدث فيها عن تأديب الحفاظ وتعليمهم.

2) يقصد باللغتين العربية والبربرية.

3) في الاصل: والأعدل.

4) ربما كان يعني بكلمة « العقائد » مجموع آراء المهدي ابن تومرت لا كتابا بعينه، وفي هذه الحالة يكون الارجح أنه يعني كتاب « أعز ما يطلب » الذي يتضمن بيانا لعقيدة المهدي وجملة الآراء التي كانت عماد ثورته الدينية السياسية، وربما كان هذا اللفظ تحريفا لكلمة « القواعد » إذ أننا نعرف أن ابن تومرت ألف كتابا بهذا العنوان، ولو أنه فقد لسوء الحظ. (انظر مقال الدكتور مختار العبادي حول كتاب الحلل الموشية ص 167)

5) كتاب الموطأ الذي صنفه ابن تومرت إنما هو مجموعة الاحاديث النبوية التي وردت في موطأ الإمام مالك بن أنس برواية تلميذه يحيى بن عبد الله بن بكير، وذلك بعد حذف الاسانيد، وقد نشرت هذا الكتاب مطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر سنة 1907، وبالخزانة العامة بالرباط منه نسختان تحت رقمي 840 ج و 1222 ج (انظر مقال الدكتور العبادي المشار إليه قبل ذلك ص 157، حاشية 72 ـ 73).

حتى يقول ابن حبوس [1] يمدحه :

بخليفة المهدي سيدنا اقتدى [2]	نهج العلوم معبداً ومذللا
وتفجرت عين النباهة بعدما	(قد)[3] كان خاطرها أكل وأجبلا[4]
قد صير المعقول قلبا ماثلا [5]	فمتى رميناه أصبنا المقتلا
ورعى جحيم العلم في أوطانه	من كان يبدي الضعف أن يتنقلا
وافيت حضرته المقدس تربها	فإذا الذي أبصرت لن يتخيلا
ووقفت وسط سماطه فوجدته	سوقا تقام على المعارف والعلا

1) هو أبو عبد الله محمد بن حبوس الفاسي ، ولد سنة 500 ، وتوفي سنة 570 ، وكان أول من هنأ عبد المؤمن بن علي لدى جبل الفتح (جبل طارق عند عبوره إلى الاندلس ، وقال عبد الواحد المراكشي عنه إن طريقته في الشعر كانت على نحو طريقة ابن هانئ ، وقد أورد المراكشي وصفوان بن إدريس في «زاد المسافر» من شعره بيتين من بحر الابيات المثبتة هنا ورويها وقافيتها ، هما :

بلغ الزمان بهديكم ما أملا	وتعلمت أيامه أن تعدلا
وبحسبه أن كان شيئا قابلا	وجد الهداية صورة فتشكلا

ولا نكاد نشك في أن هذين البيتين هما مستهل القصيدة التي اقتطف منها ابن القطان تلك الابيات . هذا وقد ابن حبوس حظيا لدى عبد المؤمن ولدى ابنه يوسف أبي يعقوب (انظر في ترجمته وأخباره : المعجب ص 213 ـ 215 ؛ ابن الابار : التكملة، ترجمة 1055 ؛ صفوان بن إدريس : زاد المسافر ص 1 ـ 6 ؛ ابن حماده : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 9 ـ 10 ؛ ابن دحية : المطرب ص 09 ، 199 ـ 201 ؛ وراجع مقال الاستاذ هنري بيريس عن « الشعر في فاس على عصر المرابطين والموحدين» ، مجلة إسبريس ، المجلد الثامن عشر سنة 1934 ، ص 17 ـ 33) .

2) في الاصل : اعتدى .

3) زيادة تقتضيها استقامة الوزن .

4) أي انقطع .

5) في الاصل : ما تلا .

لـم ألـق إلا عـالمـا وإزاءه متعلـمـا متكثـرا متقـلـلا

ومدارسا قسع الريـاضة لو رأى سقراط سيرتهـا لـذم الهيكلا

وسمعت كل مذاهب الحق التي ما إن ترى عن مقتضاها معدلا

وبصرت بالطوسي [1] يفهق حوله وأبي المعالي [2] مجملا ومفصلا

لـم ألف إلا مصقعـا أو مفلقـا ومجـادلا عن دينه ومرسلا

(51 ب) *والكل في علم الإمـام مقصر حسب المبـرز منهم أن ليـلا

فاترك عكاظا والوفـود بسوقها حذقا[3]وسحبان الخطيب ودغفلا[4]

---

1) يعني بالطوسي الامام أبا حامد الغزالي .

2) يعني الامام أبا المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري المعروف بإمام الحرمين ، ولد سنة 419 وتوفي سنة 478 (انظر في ترجمته ابن خلكان : وفيات الاعيان : 2 / 341 ـ 343 ، والسبكي : طبقات الشافعية 3 / 249 ـ 274 والمادة التي كتبها عنه بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية 1 / 1100)؛ أما إشارة الشاعر هنا إلى الغزالي وإمام الحرمين فلان كليهما يعتبر من اكبر أئمـة الاشعرية التي كانت مبادئها من أهم الأسس التي أقـام عليها ابن تومرت ثورتـه الدينية السياسية ، وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي : «وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها » (المعجب ص 188) .

3) في الأصل : خرقـا .

4) يشير في هذا الشطر إلى سحبان وائل الخطيب المشهور ، وإلى النسابة دغفل ابن حنظلة السدوسي أو الذهلي ، وكان قد أدرك النبي (صلعم) ولكنه لم يسمع منه شيئا ، وقتله الخوارج الازارقة (انظر مجمع الامثال للميداني ـ ط . القاهرة سنة 1252 هـ. 2 / 308 ؛ وابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ـ ط . القاهرة 1939 ـ 1 / 464 ـ 465 ؛ وابن عبد البر : الاستيعاب في أسماء الاصحاب ـ على هامش الاصابة ـ 1 / 467 ـ 468) .

يعشو لها الأعشى بنار محلق [1] ويضم علقمة [2] إليها جرولا [3]
والحق بحضرته السنية واستمع للقول واحذر - ويك - أن تتقولا
فيها كمال الدين والدنيا معا وسعادة الأرواح في أن تكملا

وأما انبساطه رضي الله تعالى عنه فإنه كان يحدث جلساءه ويفاوضهم [4]، كما روى عن بعضهم أنه قال :

كنت بتلمسان أقرأ كتب أصول الدين، وكان لي صاحب يقرأ كتب الفقه، فرحل عني من تلمسان يريد المشرق، فوصل إلى بجاية، فخاطبني منها يعرفني ويقول لي : قد وصل إلى هذه المدينة فقيه عالم بالعلم الذي تطلبه، فلتصل إليه، فعند وصول كتابه إلى رحلت إلى بجاية، فلقيت بها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه [5] .

---

1) ورد هذا الشطر في الاصل : « يعيشوا [إ]لها الاعشى بنار مخلق »، والصواب ما أثبتنا، ويعني بالاعشى أعشى قيس الشاعر الجاهلي المعروف وبالمحلق سيدا من سادات الجاهلية في مكة، كان فقيراً خاملا ذا بنات، فسبق إلى إكرام الاعشى عند نزوله بمكة واحتفى به كثيرا، فمدحه الاعشى بقصيدة جعلت أشراف العرب يتهافتون على الزواج من بناته (انظر القصة في ابن رشيق القيرواني : العمدة 1 / 24 - 25) وهو يشير هنا إلى قول الاعشى من قصيدته في مدح المحلق :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

2) يعني الشاعر الجاهلي المعروف علقمة بن عبدة الفحل .

3) هو الشاعر المخضرم الحطيئة جرول بن أوس العبسي .

4) في الاصل : ويعاوضهم .

5) عن ابتداء صلة عبد المؤمن بن علي بالمهدي انظر : البيذق : أخبار المهدي ص 52 - 57 ؛ الحلل الموشية ص 86 - 87 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 181؛ روض القرطاس 2 / 107 ؛ الاستقصا 2 / 73 - 74؛ ابن عذارى : البيان المغرب ص 56 ؛ وانظر مناقشة أويثي للقاء التاريخي بين رجلي الدولة الموحدية وما أحاط به من أساطير (تاريخ الدولة الموحدية 1 / 43 - 46) .

ومن مكارمه وحسن عهده رضي الله تعالى عنه ما حكى بعضهم أنه رضي الله تعالى عنه لما توجه إلى فتح بجاية وتوسط بقرية كبيرة. فاستوقف [1] الجند وخب السير منفرداً على فرسه ، حتى وقفت على باب دار من ديار القرية ساعة يسائل أهلها ، ثم انصرف ، فلما نزل في قبته المعظمة الميمونة* (52 أ) أمر بإحضار أهل الدار المذكورة ، فسألهم عن أبيهم ، فقالوا إنه توفى منذ أعوام وتركهم أربعة بنين ، فأسلمهم [2] أرضا واسعة للحرث ، وأعطى كل واحد منهم ألف رأس من الغنم ومثلها من البقر ، وأربعة آلاف دينار ، وكتب لهم ظهيرا بالعز والأمان والإحسان وتقديمهم حكاما على قومهم رضي الله تعالى عنه [3] .

ومنها أنه كان ساكنا بتينملل أيام الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه، فآب [4] من سفره سافرها ، فأهدت له جارة كانت له من نساء الموحدين عنزا ، فقبلها بفضله ، فلما ملكه الله تعالى أعطى المرأه ثوبا وألف دينار [5] .

ومنها أنه رضي الله تعالى عنه أحس بضعف طلبة أهل مجلسه المكرم من طلبة الحضرة منهم أبو محمد المالقي [6] وغيره ، فقال لأشياخ [7] الموحدين

1) في الاصل : فاستوقد .

2) في الاصل : فأسهم .

3) ذكر هذه القصة بتفاصيل أخرى تختلف عما جاء هنا عبد الواحد في المعجب ص 230 ـ 231 ؛ وكذلك ابن عذارى في البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 56-57.

4) في الاصل : فباب .

5) أورد هذه القصة أيضا ابن عذارى في البيان المغرب ص 57 .

6) لعله أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن المالقي ، وهو الذي ولى القضاء لعبد المؤمن بعد وفاة أبي محمد عبد الله بن جبل الوهراني ، وظل على هذا المنصب طوال حكم عبد المؤمن ثم صدر خلافة ابنه يوسف أبي يعقوب (انظر المعجب ص 200 ، 245) ؛ وقد وردت هذه القصة أيضا في البيان المغرب لابن عذارى ص 57 .

7) في الاصل : الأشياخ .

أعزهم الله تعالى . هؤلاء طلبة غرباء ضعفاء ، والإقلال عليهم ظاهر ، فنرى أن ندفع إليهم مالا نقارضهم فيه ، ويتجزون به ويردون السلف لنا ؛ فقالوا ، نعم ، فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم ، فاكتسبوا منها ، وكانت أصل غناهم، ولم يأخذها منهم أبداً .

ومنها أنه رضي الله تعالى عنه تذاكر يوماً حال الأندلس مع الروم المقاتنين، فجرى (ذكر) [1] وقعة أقليش [2] التي هزم فيها الطاغية وقتل ولد: أذفونس ؛ فقال رضي * الله تعالى عنه لوزيره أبي جعفر ابن عطية [3] : (52 ب) اخرج إلى أشياخ الجند وسلهم هل بقي أحد ممن حضر وقعة أقليش [4] ؛

1) إضافة يقتضيها السياق .

2) في الاصل : اقليس ، وقد سبق للمؤلف أن فصل الحديث عن هذه الوقعة التي أحرز المرابطون فيها انتصارا عظيما على جيوش ألفونسوا السادس ملك قشتالة (انظر ص 5 حاشية رقم 2) .

3) هو أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي ، أصله من قرية بناحية طرطوشة Tortosa بالاندلس ، ولد بمراكش وتولى الكتابة لعلي بن يوسف ولابنه تاشفين سلطاني المرابطين ثم لما انقطعت دولتهم أخفى نفسه مدة حتى استكتبه الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي بمناسبة قضائه على ثورة الدعى الماسي ببلاد السوس فلما وصلت الرسالة التي كتبها ابن عطية إلى عبد المؤمن استحسنها وأمر بتقريب أبي جعفر ثم استوزره ، وجرت له بعد ذلك محنة قتل فيها في أواخر سنة 553 (انظر في ترجمة عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 198 ـ 200 ؛ ابن الابار : الحلة السيراء (ط . دوزي) ص 198 ، 215 ـ 216 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة (ط . محب الدين الخطيب) 1 / 132 ـ 139 ، الإحاطة (ط . عنان) 1 / 271 ـ 279 : ابن عذارى : البيان المغرب (الطبعة الثانية من القسم الخاص بالموحدين) ص 26 ـ 27 ، 35 ـ 37 ؛ المقري : نفح الطيب 7 / 110 ـ 115 ؛ السلاوي: الاستقصا 2 / 116 ـ 120 ؛ ابن الابار : إعتاب الكتاب ص 225 ـ 229) . .

4) في الاصل : اقليش .

ففعل ، فألقى شيخا يقال له عبد الله بن زيدون قال إنه حضرها ، وعمر بن تورزجين من أشياخ لمتونـة أيضا حضرها : فعرف ابن عطيـة بذلك أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، فسر بأن بقي من يحدثه بصفة تلك الحروب ، وأمر بإدخالهما إلى مجلسه العالي ، وأمر بأن يحضر معهما أشياخ الجند ، فكان ذلك ؛ وسألهما عما شاهداه من تلك الحروب ، فحكياها [1] من أولها إلى آخرها ؛ وعند تمام حكايتها أعطى لابن زيدون خمسمائة دينار ، ولابن تورزجين مثل ذلك ، وأعطي لـأشياخ [2] الحاضرين في المجلس لكل واحد مائـة دينار ، وكـانت هذه الحكاية سببا لنظره لجزيرة الأندلس وتجهيزه العساكر إليها .

ومن مكارمه العظيمة رضي الله تعالى عنه حضه [3] الناس على العلم ، وإرادتـه لهم ولبنيهم مايريده لنفسه ولبنيه ، واستدعـاؤه الصبيان الصغـار الـأسنان من أبناء إشبيلية [4] وقرطبة وفـاس وتلمسان إلى حضرته العلية ليعلمهم ويحفظهـم القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلـم ، فانتخب (53 أ) الأولاد النجبـاء * الحفـاظ من كل بلـد ، ووجهوا محسنا إليهم مزودين ، فكان عدد الذين توجهوا من إشبلية [4] خمسين صبيا ، فسافروا نحو الحضرة العلية مع الـأستاذ أبي الحسن نجبة منجبهم والأستاذ أبي بكر الحصـار ، نهضوا في كفالتهما حتى وصلوا حضرة مراكش حرسها الله تعالى ، فأنزلوا أكرم إنزال ، وتلقاهم الوزير أبو جعفر ابن عطية مأموراً بذلك، وقد قبلوا بما أحسنهم من الـإحسان والـإنعام وإجراء الطرف والتحف ثلاثة أيام . ثم

---

1) في الاصل : فحكاها .

2) في الاصل : الأشياخ .

3) في الاصل : وحضه .

4) انظر تعليقنا المتقدم على ص 105 ، حاشية 2 .

أمروا بكتب التوحيد وحفظه ، وكتب موطأ الإمام رضي الله تعالى عنه وحفظه ، ومسلم [1] وحفظه . وأقاموا كذلك تحت جراية واسعة ، وجباية بالغة . وأستاذاهم المذكوران معهم ستة أشهر ، حتى بدا عليهم نور الإمامة ، وتميزوا بالحفظ وامتازوا بالكرامة.

ثم ولى سيدنا ومولانا الخليفة أبا يعقوب [2] رضي الله تعالى عنه إشبلية وقرطبة ، فوجه معه الوزير أبا جعفر [3] ابن عطية ، وبعث الصبيان الحفاظ معه إلى آبائهم ، وقد نالوا من الخير ما نالوا وانصرف الاستاذ أبو بكر* الحصار معهم . (53 ب)

---

1) يعني صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري .

2) في الاصل : أبي يعقوب ، وهو يعني يوسف بن عبد المؤمن الذي ولى الخلافة بعد موت أبيه سنة 558 وكانت وفاته سنة 580 ؛ أما ولايته على إشبيلية وقرطبة فقد كانت سنة 551 ويقول ابن عذارى فى ذلك : « لما وصل أشياخ إشبيلية إلى الحضرة العلية في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة رغبوا فى سيد يرجع معهم إليها ويستندون إليه فى مصالحها وصرح ابن الجد بطلب السيد أبي يعقوب ، فقال لهم عبد المؤمن إنه صغير السن (كان يبلغ حينئذ ثمانية عشر عاما إذ أنه ولد سنة 533) ، فقالوا : بل هو كبير ، فأسعفهم فى ذلك وبعثه معهم أميرا » (البيان المغرب ـ القسم الموحدي ص 34) .

3) فى الاصل : أبي جعفر .

كراماته رضى الله تعالى عنه :

ومنها ذكره رضى الله تعالى عنه قبل وجوده، وأعلى ما في ذلك ما ذكره أبوالقاسم المؤمن [1] في كتابه الذي ألفه في «فضائل الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه »، فإنة قال : إن في كتاب أبي عبد الله الملقب بالباقر بن علي زين العابدين [2] بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ـ الحض على الايمان بالمهدي وبطائفته التي تقاتل معه وبعده وهم أنجال الخليفة الآخذ عنه ما وعد الله الخليفة المؤيد بالنصر الذي ينصره ويفتح به وعلى يديه، المسمى فى الخطبة الجامعة عن رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ـ عبد المؤمن بن علي القيسي رضي الله تعالى عنه [3] .

قال أبو القاسم المذكور :

وهذا أيضا موجود فى كتاب يحيى بن زيد [4] ، وفى كتاب القاسم الاكبر [5] : وجميع ما ذكر أيضا من فضائل الامام رضي الله تعالى عنه وعلاماته ومواضعه ورجاله وخدمته والخليفة الآخذ عنه المشار إليه فى حين

---

1) راجع عن هذا المؤلف ما سبق أن كتبناه فى ص 5 ، حاشية رقم 1

2) فى الاصل : علي بن زين العابدين .

3) من الواضح أن هذا لا أساس له من الصحة ، وإنما هي أقاويل نسجها المؤرخون الذين كانوا فى خدمة الموحدين تقوية لمركزهم ،

4) هو يحيى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي إمام فرقة الشيعة الزيدية ، وهو الذي خرج على الوليد بن زيد المرواني فى خراسان ، فتمكن منه يوسف بن عمر والي خراسان وقتله وصلبه ، ثم أحرقه بالنار ، وذلك فى سنة 125.

5) لعله القاسم بن إبرهيم العلوي الذي تولى على صعدة من بلاد اليمن بين سنتي 246 و 280 ، وينسب إليه كتاب « الرد على ابن المقفع » (انظر أحمد أمين: ضحى الإسلام 3 / 276) .

(54 أ) وجود الخلق وقسمة الطوائف [1] * فى الاديان وعبدة الهوى ، والناصر والمنصور بأمره المسمى بالرجل المؤمن عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه فى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الكشف عن ضيم النفوس » .

وإيضاح البيان فى ذلك كله فى كتاب « النصر » لادريس بن إدريس [2] يسند جميعه إلى رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم .

وقال :

سمعت أيضا أبا عبد الله اللخمي يقول :

رأيت فى الخبر عن خير البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : خير القرون الذي أنا فيه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، والاخر أشق ، ولا يقوم بالحق بعد الفترة التي تحدث في الخلق بعد هذه القرون إلا المهدي والرجل القائم بأمره . ومن يليه من الخلفاء بعده رضى الله تعالى عنهم [3] .

---

1) في الاصل : الطوائق .

2) هو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأبوه إدريس بن عبد الله هو الذي فر من وقعة فخ بالمشرق والذي أسس دولة الأدارسة في المغرب الاقصى ، أما ادريس الثاني هذا فقد ولد سنة 177 بعد أن توفي أبوه وأمه حامل به فبايعه أهل المغرب ، وهو الذي بنى مدينة فاس ، وكانت وفاته سنة 213 (انظر السلاوي : الاستقصا 1 / 160 ـ 171) ؛ ولسنا نعلم لإدريس هذا كتابا يسمى « النصر » كما يذكر المؤلف هنا .

3) الذي ورد فى صحيح البخاري (1 / 91) : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ قال عمران : فما أدري قال النبي (صلعم) بعد قوله مرتين أو ثلاثا ـ ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن » ، وكذلك حديث آخر قريب من هذا : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم » . ولم نر الحديث على الصورة التي جاء بها فى النص فى واحد من كتب الصحاح .

ومن ذلك تبشير الامام المهدي رضي الله تعالى عنهما قبل الاجتماع به ودعاؤه بلقائه ، وقد كتبنا ذلك قبل هذا فى هذه المقدمة [1].

ومن ذلك ذكر ابن عبد ربه القرطبي صاحب « العقد » [2] له في (54 ب) أرجوزة نظمها يقول فيها بعد ذكر المهدي رضي الله تعالى عنه* الى وفاته ؛

---

1) حول تبشير المهدي بلقاء عبد المؤمن وتنبئه به انظر القصص الواردة فى ذلك في « أخبار المهدي » للبيذق ص 53 ـ 57 و « المعجب » لعبد الواحد ص 180 ، وقد جمع كل هذه الاقوال وناقشها الاستاذ أويثي فى بحثه « الاسطورة والتاريخ فى نشأة الدولة الموحدية » ، وهو الذيل الاول من ذيول كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » (انظر 2 / 587 ـ 588) .

2) يعني كتاب « العقد الفريد » للأديب الاندلسي المشهور أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبى المتوفى سنة 228 ، ولم نر فى كتاب العقد أية أرجورة يتحدث فيها عما يذكره المؤلف هنا ، وكل ما جاء فى العقد الفريد أرجوزته التى يتحدث فيها عن غزوات عبد الرحمن الناصر والتى انتهى فيها إلى سنة 222 هـ . (انظر العقد ـ ط القاهرة سنة 1944 ـ 4 / 501 ـ 527) ، هذا ولو أن هناك أرجوزة تنسب لابن عبد ربه وسرد فيها تاريخ الاسلام والخلفاء الراشدين ، على أن ابن الابار يذكر بمناسبة هذه الارجوزة خبرا عن القاضي منذر بن سعيد البلوطي يقول فيه إنه كتب بيتي هجاء فى ابن عبد ربه لانه أسقط ذكر علي بن أبي طالب (رضه) من الخلفاء الراشدين (انظر عن ذلك مقالنا « التشيع فى الاندلس » ـ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1954 ـ ص 110 ـ 111) ، وإذا صح ذلك فما كان أبعد ابن عبد ربه ـ وكان معروفا ببغضه للشيعة ومن شابههم ـ عن أن يتنبأ بظهور خليفة لمهدي غير مقطوع بصحة نسبته إلى علي بن أبي طالب (رضه) ، هذا وقد ردد المؤرخ الموحدي صاحب كتاب المقتبس من كتاب الانساب ما ذكره ابن القطان هنا عن تنبؤ ابن عبد ربه فى أرجوزته بظهور عبد المؤمن، وأورد البيتين المذكورين هنا وأضاف إليهما خمسة أبيات أخرى (أخبار المهدي ص 26) ، وهى أبيات ينم ضعف نسجها وركاكة ألفاظها عن الوضع والاختلاق ، كما أنه زعم أن الفقيه الاندلسى المعروف غازي بن قيس تلميذ مالك بن أنس قد ردد تلك النبوءة فى أبيات أخرى من بحر الرجز ، وهى أبيات مثل سابقتها لا شك فى أنها موضوعة .

ويرجع الامر إلى عدنـان لماجد قد خص من عيلان
رب الفتوح صاحب الملاحم وقامع الاعراب والاعاجم

وجرى في وصف فتوحه طلقا مديداً ،

وذكره ابن الحناط [1] في أرجوزة له .

وذكره عبد الملك بن حبيب [2] فقال :

---

1) هو محمد بن سليمان بن الحناط الرعيني القرطبي ، توفى سنة 437 وكان شاعراً أديبا واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة ، وكان متهما بفساد الدين والخلق ، وهو من الشعراء المعروفين بالتشيع (انظر في ترجمته : جذوة المقتبس للحميدي ، رقم 60 ؛ الصلة لابن بشكوال ، رقم 1435 ؛ البغية للضبي ، رقم 124 ؛ التكملة لابن الابار ، رقم 429 ؛ المغرب لابن سعيد 1 / 121 ـ 124 ؛ الذخيرة لابن بسام ، القسم الاول 1 / 383 ـ 410 ؛ وكذلك مقالنا « التشيع في الاندلس » ص 142 ـ 143) ؛ وعلى أية حال فلسنا نعرف لابن الحناط هذا أرجوزة فيها إشارة لمثل ذلك .

2) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب الالبيري الفقيه المؤرخ الاديب ، ولد سنة 174 وتوفى 238 ؛ وقد بقى لنا من كتبه مختصر كتابه الكبير في التاريخ ، ومنه نسخة وحيدة مخطوطة محفوظة في المكتبة البودليانية بأوكسفورد تحت رقم 127 ، وقد قمنا بدراسة هذا الكتاب وبيان قيمته التاريخية في مقالنا عن « مصر والمصادر الاولى للتاريخ الاندلسي » (بحث بالاسبانية في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد)ـ سنة 1957 ـ ص 189 ـ 200 ، كما قمنا بنشر النص العربي للفصول الخاصة بفتح الاندلس وأخبارها والتنبؤات عن الحوادث المستقبلة (ص 221 ـ 243) ، وليس في كل ذلك ذكر للبيتين المنسوبين هنا لابن حبيب ، ولكن في الكتاب نصا قد يمكن تأويله بأنه يشير إلى المهدي بن تومرت ، وقد رأينا من المستحسن أن ننقل هنا هذا النص (ص 240 من المقال المذكور) : « وسمعت عبد الملك بن حبيب يقول : إذا خرجت دولة بني أمية ووليها رجل من الموالي أو البربر تكون في دولته الصيحة ، وفي دولة أخرى من بني أمية تكون القرمونية ، ثم تخرب قرطبة حتى لا يسكنها إلا الغربان ، وينتقل الملك إلى إشبيلية ، وتخرج الخلافة من ولد العباس ، ويصير الامر إلى بني أبي طالب حتى يخرج الدجال ، ويدخل الداخل من قريش من ولد فاطمة ، فتبرأ اليه أهل الاندلس بالامر، ففي زمان هذا الفاطمي تفتتح القسطنطينية ، وعلى يدي الفاطمي يقتل النصارى

صاحب المهدي يأتي بعده خيرة الاعراب طرا والعجم
أقبل الملك بـه من نعتـه أشيب اللحية ليس بالهرم

وذكره الطبني [1] في أرجوزة له .

وذكره حبيب بن هبيرة [2] ؛ إلى غير ذلك من ذكره رضي الله تعالى عنه في أراجيز قديمة غير منسوخة لصفاته وأفعاله وفتوحاته .

وبعضهم يأثر ذكره رضي الله تعالى عنه عن دنيال عليه السلام وعن سطيح [3] : وبالجملة قد كان قبل وجوده السعيد منتظرا زمانه ، ومتشوفا

بقرطبة وكورها ، فلا يبقى نصراني ، ويقع السبي في ذراريهم حتى توجد الخادم بمهماز والامرد بسوط . وأخبرني ابن أبي شمر أنه سمع حسانا يحدث بهذا». على أننا بينا في هذا المقال (ص 193 ـ 194) أن كل هذه الفصول زيادات أقحمت في الكتاب من بعد ، وربما كان بعض مؤرخي البلاط الموحدي هم الذين أقحموها في النص تأييداً لرأيهم في ظهور المهدي ؛ ومهما يكن من أمر فإننا لم نجد في الكتاب ولا زياداته أي إشارة الى عبد المومن .

1) بيت بني الطبني من الأسر المشهورة في الأندلس ، وأصلهم من طبنة عاصمة الزاب بأفريقية ، وأول من اشتهر منهم زيادة الله بن علي بن حسين الذي توفي سنة 415، وكان من جلساء المنصور بن أبي عامر، وقد اختص ابن سعيد بالذكر بعض أفراد هذه العائلة (المغرب 2 / 92 والمراجع الأخرى المذكورة في حواشي هذا الموضع) ، ولسنا ندري من هو الطبني المقصود هنا ، ولعله هو نفسه الذي ألف كتابا في أخبار إفريقية والقيروان، وهو كتاب أشار إليه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص356)

2) لم نهتد إلى شخصية حبيب بن هبيرة هذا .

3) سطيح بن ربيعة هو الكاهن الجاهلي المشهور (انظر عنه المقال الذي كتبه عنه ليڤي دلا ڤيدا في دائرة المعارف الإسلامية 4 / 189 ـ190) ، ويبدوا أن هناك أسطورة مغربية قديمة كانت تدور حول كونه مدفونا بأرض مدينة سطيف ، فقد ذكر البيذق في أخبار المهدي (ص 114) أن عبد المؤمن بن علي حينما مر بسطيف في طريقه لفتح بجاية دفع جواده ومعه أصحابه الموحدون حتى وصل الى قبر سطيح وحك عليه جواده ، ثم قال لأصحابه : أتعرفون ما قال صاحب هذا القبر ؟ قالوا له : أنت العارف بذلك . فقال لهم الخليفة : « أزيلوني عن هذا القبر لئلا تدوسني خيل عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي اه » ؛ وربما كان المؤلف يشير إلى نفس هذه القصة.

كيانه ، إلى أن حقق الله تعالى منه ما كان يذكر ، وأبرز للوجود ما كان ينتظر فجاءت للامة سعادتها ، ولانت نحو الحق مقادتها، والحمد لله رب العالمين .

ومنها مما يلحق بذكره رضي الله تعالى (عنه) قبل وجوده وجود [1] اسمه الاعز منقوشا * في لوح رخام . (55 أ)

قال أبو القاسم المؤمن :

دحلت [2] في أرض القدس رباطا يعمره رهبان الروم مفروشا بالرخام المجزع ، وفيه رخامة بيضاء قد نقش في سطحها الظاهر منها أحد عشر سطرا على كل سطر منها اسمان إلا السطر الاوسط فعليه اسم واحد .

قال :

وعلى السطر الاوسط السادس [3] اسم الامام المهدي رضي الله تعالى عنه وحده : وعلى السطر السابع اسم الخليفة بعد الامام المهدي رضي الله تعالى عنهما الاخذ عنه في حياته المسمى عبد المؤمن بن علي القيسي . واسم شيث عليه السلام .

قال :

وعرضت ذلك على الامام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فأمرني بحفظه وأن [4] أكتم ذلك حتى يحين الوقت الذي يكون فيه ظهوره رضي الله تعالى عنه .

---

1) في الأصل : ووجود .

2) في الأصل : دخلة .

3) في الأصل : السابع ، والصواب ما أثبتنا .

4) في الأصل : وأنا .

ومن كراماته رضي الله تعالى عنه إنجاز [1] الوعود النبوية للطائفة المهدية بفتح الارض ، وتدويخ الطول منها والعرض ، فما أم بلدا إلا فتحه ولا سعي سعيا إلا أحمده واستنجحه [2] ، تنجزا لصادق الوعود . وكرامة بمصاحبة السعود ، حتى إنه رضي الله تعالى عنه يشير الى ذلك مهما كتب كتابا بفتح من فتوحه ، ويفصح بأنه كرامة من كرامات الله تعالى للدعوة المهدية بفصيح * اللفظ وصريحه [3] . (55 ب)

ومن كراماته رضي الله تعالى عنه نضوب وادي سلا الذي هو بحر ترفأ فيه السفن الكبار ، فنضب لجوازه رضي الله تعالى عنه بعسكره ، حتى لم يحتج فيه الى قنطرة ولا قارب ، كما سيأتي بعد إن شاء الله تعالى، وذلك خرق عادة [4] .

ومنها نماء دراهمه رضي الله تعالى عنه، كما حكى بعض الموحدين من كومية قال :

---

1) في الأصل : إيجاز .

2) في الأصل : واستنجه .

3) انظر أمثلة لذلك في الرسائل التي كتب بها عبد المؤمن بن علي (مجموع رسائل موحدية ص 13 ، 80 ـ 81 ، 99 . . . الخ) .

4) يبدو أن المؤلف يشير بهذا إلى ما حدث في أثناء توجه عبد المؤمن بن علي إلى فتح بجاية في سنة 546 ، فقد تجمعت جيوشه في سلا ، ومنها خرج إلى شبريط ثم « الوادي متاع ورغة » ثم إلى مسون ؛ ولا ينص البيذق في حديثة عن خط سير عبد المؤمن هذا على ما يذكره ابن القطان هنا من جفاف النهر حتى عبر عبد المؤمن وعسكره ، ولكنه يوحي بذلك إذ يقول : « وخرجنا من مسون ، ولم يعلم أحد أي طريق سلكنا ، وسلك بنا الخليفة على طريق لم تسلك» (انظر أخبار المهدي ص 113 ؛ وانظر عن هذه الجملة روض القرطاس 2 / 148 ؛ وأويثي : تاريخ... 1 / 160 ـ 167) .

كان سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه أيام طلبه قد سافر من تلمسان إلى فاس فى طلب العلم ولقاء المشايخ بها ، فصحب فى طريقه تاجرا مليا [1] من أهل الاسكندرية ، فرافقه إلى فاس ، فطلب الكرى من التاجر كراء دوابه ، فأعوزته منه خمسة عشر درهما ، فاستسلفها التاجر من سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه : ثم إن التاجر طلبه بفاس ليقضيه إياها . فلم يجده ، فكتب اسمه فى زمامه [2] ، ثم رحل إلى الاسكندرية ؛ ثم توغل فى المشرق ، وجال [3] نحو ثلاثين سنة : وكان جعل تلك الخمسة عشر درهما رأس مال على حدة [4] . فوضع الله تعالى فيها البركة ونمت نماء عظيما إلى أن صارت ألف دينار ؛ ثم رجع التاجر إلى بجاية بعد غيبته تلك السنين الطويلة ، * فوجد أبا محمد عبد الله بن سليمان (56 أ) صاحب إمارة البحر [5] ، فثقف ماله حتى يعلم حاله ، فاستعجل التاجر

1) أي غنيا ،
2) فى الأصل : زمانة .
3) فى الأصل : وبحال ،
4) فى الأصل : جدة .
5) أبو محمد عبد الله بن سليمان التينمللي المسكالى من أهل خمسين المستدركين بعد التمييز ، وكان هو وأخوه يوسف من كبار قواد عبد المؤمن وخيرة رجال دولته ، وقد ولى عبد المؤمن عبد الله هذا على سبتة بعد إخضاع الثورة التي قام بها القاضي عياض سنة 543 ، واضطلع بأمر الفرقة التي سارت إلى قبيلة غمارة وقضت على ثوار تيطاوين (تطوان) ، ويبدو أن عبد المؤمن وكل إليه قيادة أسطوله البحرى فى سنة 546 ، وكان عبد الله بن سليمان هو الذي تولى إخماد ثورة يصلاسن بن المعز ، كما كان له فضل القضاء على ابن قسى الثائر فى جبل شلير وأركش ووادي آسن بالأندلس (انظر أخبار المهدي ص 35 ، 108 ، 111 ، 115 ، 125 ؛ والمعجب ص 194 ، 338 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 32 ؛ ومجموع الرسائل الموحدية ص 14 وهي رسالة كتب بها عبد المؤمن إلى طلبة سبتة ويشير فيها إلى قيادة عبد الله للأساطيل الموحدية ، وقد جاء فى نفس هذه الرسالة (ص 13) أمر من الخليفة بتثقيف التجار الذين يحملون المرافق إلى مالقة ، مما يؤكد ما يذكره المؤلف هنا من كون عبد الله بن سليمان هو المكلف بذلك .

الوصول إلى الحضرة العلية ، وقصد لقاء أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه فلقيه في طريق البحيرة ، فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فذكر مسألته وتعرف له ، وأحضر زمامه والاسم مكتوبا على الخمسة عشر درهما وأنها قد نمت حتى بلغت ألف دينار . فجزاه على أمانته خيرا وكتب له ظهيرا بالأمان فى أهله وماله ونفسه ، وأمر بصرف كل ما ثقف له عليه .

أمره رضي الله تعالى عنه بالمعروف ونهيه
عن المنكر وعدله ، ونهجه مناهج الحق وفضله :

بذلك قطع أيامه ، ورفع أعلامه ، وأحيا الحق وأعلى مراسمه ، وأقام أسواق العدل ومواسمه ، [1] وخضد [2] الباطل وقطعه ، وقمع شرذمته وشيعه ، حتى علا منار الهدى وارتفع ، وبهر نوره وسطع ، وانقشعت حناديس الظلم وغياهبه [3] . واتسعت مقاصد الفضل ومذاهبه ، فكل حركاته وسكانته أمر بمعروف ونهى عن منكر ، وفضل وعدل لاتزال آثار تحمد وتشكر ، والتعرض للإحصاء ، لآحاد [4] ذلك العلاء . ليس بممكن ، فلا ينزف البحر بالدلاء .

لكن له رسالة جامعة لأنواع من الأوامر ، الباقية فخرا لمن تفاخر . * خلدت من مآثره [5] السنية ، وأوامره السنية ، ووصاياه الحكمية ، (56 ب) وآدابه العلمية ، ما يقر معه بفضله كل سامع لها وآثر ، ويعلم أن فضله وعدله

1) فى الأصل : ومن اسمه .
2) فى الأصل : وحضره .
3) فى الأصل : وعوايبة .
4) فى الأصل : آحاد ،
5) فى الأصل : مآثر .

وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر ابن عطية ، فرأيت تدوينها هنا في جملة ما أثبته أنموذج [1] معاليه ، التي هي إحدى فرائد [2] هذا الكتاب ولآليه .

وهي بعد البسملة والصلاة [3]

من أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره ، وأمده بمعونته ، إلى جميع الطلبة الذين بالأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة ، وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد :

فالحمد لله ، وهو اللطيف الكريم، الرؤوف الرحيم ، الذي بعدله قامت السموات والأرض وبه تقوم ، وعلى محمد نبيه المصطفي الصلاة المباركة والتسليم ، والأمته المخلصة في عليين كتابها المرقوم ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم ، الذي بعثه رحمة للمؤمنين ، ينيلهم [4] به الروح والنعيم ، ويريهم رحيقها المختوم .

---

1) في الأصل : اموذج .

2) في الأصل : فوائد .

3) هناك رسائل من هذا القبيل وصلت إلينا في بعض المراجع الأخرى مثل الرسالة التي وجهها عبد المؤمن إلى طلبة سبتة (مجموع رسائل موحدية ص 1 ـ 3) ، ورسالته إلى جماعة المشيخة بقرطبة (نفس المرجع ص 13 ـ 17) ، وإلى طلبة سبتة (ص 61 ـ 67) ، ورسالة الفصول الى أهل بجاية (ص 126 ـ 138 ، وأخبار المهدي ص 13 ـ 17 و 134 ـ 145) ؛ وجميع هذه الرسائل ـ مثل هذه التي يوردها ابن القطان بجملتها هنا ـ مما كتبه عن الخليفة كاتبه ووزيره أبو جعفر ابن عطية .

4) في الاصل : بنيلهم .

وكتابنا هذا - كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة ، وسوغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة . وجعلنا وإياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه - ، من الحضرة العلية بتينملل - حرسها الله تعالى - في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة [1] : وقد وصلناها - والحمد

---

1) لعبد المؤمن كتاب وجهه إلى طلبة صنهاجة تاسغرت بتاريخ 27 من ربيع الأول سنة 543 ، أي بعد تاريخ الرسالة المذكورة هنا بعشرة أيام (انظر مجموع الرسائل الموحدية ص 5 ـ 6) ، وقد جاء في تلك الرسالة الموجهة من مراكش أنها كتبت بعد صدور الخليفة من الحضرة العلية بتينملل حيث كان عبد المؤمن يؤدي واجب الزيارة لقبر المهدي محمد بن تومرت، وهذا يتفق مع ما جاء في تاريخ الرسالة التي يوردها ابن القطان هنا وتحديد مكان إرسالها ، إذ أن هذه الرسالة كما يتبين إنما كتبت في أثناء زيارة عبد المؤمن لتينملل وبمناسبتها ، وننوه هنا بما ذكره عبد المؤمن في رسالته إلى طلبة صنهاجة تاسغرت حيث يقول : « وتصلكم طي كتابنا هذا نسخة كتاب خاطبنا بمثلها كل جهة من جهات الموحدين - وفقهم الله - فيما قرب وبعد ، وحملناها من الوصايا ما نرجو أن يعين على أمر الله ويعضد ، ورأينا إنفاذها إليكم لتنالوا من بركاتها ما تجدون أثره قريبا » (انظر ص 6) ، ونكاد نقطع بأن النسخة التي أرسلها عبد المؤمن طي كتابه المذكور إنما هي نفس تلك الرسالة التي أوردها ابن القطان هنا بنصها. وقد كان لهذه الرسالة شهرة عظيمة وانتشار واسع وأصبحت مثلا يقتدى بعد ذلك لدى سلاطين الموحدين ، نرى ذلك فيما كتبه عنها ابن صاحب الصلاة بمناسبة إراده نص رسالة مماثلة كتبها أبو الحسن ابن عياس عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في الثالث من شهر رمضان سنة 561 (انظر نص هذه الرسالة في كتاب « المن بالإمامة » ورقة 79 أ ـ 82 أ) ، إذ يقول ابن صاحب الصلاة معلقا عليها : « وصل الامير الأجل الأعدل أبو يعقوب رضي الله عنه بأمره الكريم في هذه الرسالة العلية بالأمر والعدل الأمر الذي بدأه أولا أبوه الخليفة الرضى أمير المؤمنين رضي الله عنهم في رسالته المشهورة بالعدل والنهي عن المنكر المؤرخة بالسادس عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة التي كتبها في الحضرة العلية تينملل حين زيارته قبر المهدي رضي الله عنه الى جميع الطلبة والاشياخ والعمال من الموحدين ببلاد العدوة والاندلس ، فاقتفى رضي الله عنه في ذلك أثره » (انظر نفس المرجع ، ورقة 82 أ ـ 82 ب) .

الله ـ وجناح الرحمة مخفوض [1] ، وطرف المكاره* مغضوض [2] ، وفيض (57 أ) العدل والبذل [3] منتشر مستفيض . وشأن الظلم ـ بإذن الله تعالى ـ مكفوف مقبوض ، والحق أبلج لا كناية ولا تعريض [4] .

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي رضى الله تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم . وشفاء شوق إليه لزم ولازم ، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعا ببركاته، ورجاء في تضاعف الاجر بكل لبنة من لبناته [5] ، وحرصا على أن يتوافر به حظ التوفيق وقسمه ، ويعلو في الملا الاعلى ذكره ورسمه ، ورغبة في رفع بيت من أفضل البيوت التي أمر الله عز وجل أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولتنعم الجوارح بمشاهدة [6] هذه المشاهد المنعمة ، والمواسم المعظمة ، وتتزود بالتطوف على معاهد ماعهدته العوارف المتممة ، كل ذلك غرضا في ذات الله تعالى غرضه ، وأمر يستحب المرء إليه طلب ذلك الخير ويستنهضه [7] .

وقد تم ـ بحمد الله تعالى ـ هذا الوطر [8] ، واقتضى الاياب إلى النظر فى المصالح والرأي الجميل النظر ، وتفجرت ـ بحمد الله تعالى ـ منابع الخير وفاضت ، وعادت روابض الأمر إلى أشرف حالاته وآضت ، وانبعثت موارد البركات بعد ما غارت فى غير هذا الزمن المذكور وغاضت ونسأل

1) في الاصل : منفوض .
2) في الاصل : معضوض .
3) في الاصل : والبدل .
4) في الاصل : تعويض .
5) في الاصل : لبانه .
6) في الاصل : بمشهادة .
7) في الاصل : وتستنهضه .
8) في الاصل : الوطن .

(57 ب) الله تعالى عوننا على شكر هذه النعم التي عمت ملابسها ،* ووعت [1] الـأفئـدة نفائسها ، وخاب عن رحماها خاسر الكلمة وبائسها .

وإن الله تعالى قـد قضى بأن يـكون شرف صاحبه به وامتساكه ، وبين العدل والجور حياة العالم وهلاكه ، فالسعيد من لقي ربه مبرءًا من اتباع الهـوى سليما ، والشقي من أتى مليما ، باكتساب الكبائر ملومـا ، « ومن يكسب إثما فإنما يـكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما [2] » ، والله سبحانه يهب الرحمة للمسترحمين ، ،ويحب الرفق ويحـل به كنفه الـأمين ، وفي الحض على ذلك يقول وهو أصدق القائلين : « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين [3] » ، وبرحمته سبحانه بسط لعباده النعماء ، وبرأفته كشف عنهم العماء ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنمـا يرحم الله من عبـاده الرحماء [4] .

وقد اتصل بنا ـ وفقكم الله تعالى ـ أن من لايتقي الله تعالى ولا يخشاه ، ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشـاه ، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما أذاعه [5] من المنكر وأفشاه ، يتسلطـون بأهوائهم على الـأموال والـأبشار . وينتشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الـإنتشار ، يستحلون [6] حرمـات المسلمين من

1) في الاصل : ونعت .
2) سورة النساء ، آية رقم 111 .
3) سورة الشعراء ، آية رقم 215 .
4) ورد هذا الحديث الشريف في صحيح البخاري (كتاب الجنائز) 2 / 79 ؛ وفي سنن أبي داود (باب البكاء على الميت) 2 / 58 ؛ وفي سنن ابن ماجة (باب ما جاء في البكاء على الميت) 1 / 481 ؛ وفي صحيح مسلم 3 / 39 ؛ وفي سنن النسائي 4 / 22 .
5) في الاصل : اداعه .
6) في الاصل : يستحبون .

غير حلها [1] ، ويسارعون إلى نقض عقد الشرع وحلها ، ويصفون الشدة والغلظة بطراً ورياء في غير محلها ، ويبتدعون من وجوه المظالم* ما تضعف (58 أ) شواهق الجبال عن حملها ، ويستنبطون من فواحش الآثام ما تذهب نفوس المؤمنين لأجلها ويتسببون إلى قتل المسلمين فضلا عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلبيسات ينشئونها ، ومزورات يضيفونها إليهم وينسبونها ، وينظرون إلى اهتضام حق الله تعالى فيهم بأباطيل يعدونها ظلما ويحسبونها، ويسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة ، ويعيثون [2] فيهم بكل غاصبة للقلوب منتزعة ، والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول : « من قتل عصفورا بغير حق عبثا جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش يقول : يارب ، سل هذا فيم قتلني عبثا من غير منفعة ؟ » ، [3] ولا يلتفتون إلى عاقبة ولا ينظرون ، ولا يمرون بآذانهم ما يفعل الله تعالى بأمثالهم ولا يحذرون ، « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلى أنفسهم وما يشعرون » ، [4] هيهات ! هيهات! إنهم ساء ما كانوا يعملون ، تالله ليأتينهم من العقاب الأليم في أقرب أمد ما يهدهم هدا [5] ، ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهلكة سدا ، ويستأصلهم [6] بصواعق الانتقام فقد جاءوا شيئا إدا .

---

1) في الاصل : حليها .

2) في الاصل : ويعبثون .

3) أورد هذا الحديث الإمام ابن حنبل في مسنده مخرجا إياه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص (رضه) . انظر عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير في شرح الجامع الصغير 6 / 192 ـ 193 .

4) سورة البقرة ، آية رقم 9 ؛ وقد جاء في الاصل : « ... وما يخادعون إلا أنفسهم » .

5) في الاصل : هدى .

6) ويتأصلهم .

(58 ب) أما * علموا أن الله تعالى يطلع على نجواهم ، ويوقعهم في مهاوي بلواهم ، ويلبسهم أردية سرائرهم فيما استهواهم الشيطان به واستغواهم؟ أما علموا أن أمر المهدي رضي الله تعالى عنه تساوى في الحق به أضعف المسلمين وأقواهم ؟ ألم يقل رسول الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ (1) دماؤهم ويسعى لذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » (2) ؟ لقد أمنوا مكر الله جرأة عليه وإقداما ، وأعمت الشهوات بصائرهم إذهابا لنور الحق من نفوسهم وإعداما ، وتالله لو تعين لنا فاعل ذلك وتشخص ، لما خرج من حبالة مكره ولا تخلص ، ولسارع إليه من أسرع عقابنا ما يمحو رسمه محو الفنا ، ويكتب يديه بما قدماتا من الخنى (3) ! .

ولقد ذكر لنا فيما ذكر من تلك المظالم . المستغرقة لأنواع المآثم . الموبقة لاهلها حين يقرع سن الندم النادم ، أن أولياءك الخائضين في غمرات أبحرها ، المثيرين لأسباب منكرها ، الصارمين لعلق الشريعة

1) في الاصل : تنكفى ، ولعلها كما أثبتنا .

2) جاء في صحيح البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فمن أخضر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (9 / 97) ، والذي ذكره الامام البخاري هو أن ذلك لم يكن حديثا نبويا شريفا وإنما كان مكتوبا في صحيفة قرأها علي بن أبي طالب (رضه) في إحدى خطبه ورواه النسائي مختلفا بعض الشيء في ألفاظه ، إذ قال إن قيس بن عباد والاشتر انطلقا إلى علي (رضه) فسألاه : هل عهد إليك نبي الله (صلعم) شيئا لم يعهده الى الناس عامة ؟ قال : لا ، إلا ما كان في كتابي هذا . فأخرج كتابا من قراب سيفه فإذا فيه « المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم.. الخ » (سنن النسائي 8 / 19 ـ 20) ؛ ورواه ابن ماجة عن طريقين مختلفتين مع بعض الخلاف في ألفاظه (سنن ابن ماجة 2 / 151 ـ 152) ؛ ورواه كذلك أبو داود في سنن 2 / 249) .

3) في الاصل : الغنى .

القاطعين لأبهرها ، يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط إبلاغا في الانتهاء بكثرتها وإمحاشا [1] ، ويتسببون بذلك إلى أخذ أموال الناس إيغاراً للصدور وإيحاشا [2] . وذلك * أمر معاذ الله أن يرضى به مؤمن (59 أ) بالله ، أو يتجه إليه حق بنوع من الاتجاه ، ما أبعد العدل - أصلحكم الله تعالى - عن هذه الأمثال والأشباه !

وقد علمتم أن عادتنا فيمن يستوجب الضرب أو يستحقه ، ممن يظلم الامر الشرعي أو يعقه ، حدود معلومة ، دون إفحاش ولا انتهاك . ومواقف مرسومة ، تقابل كلا بمقتضى جرمه من أثيم أو أفاك .

ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات [3] وتحجير المراسي [4] وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرما وإفكا ، وأدناها إلى من تولاها دمارا وهلكا . وأكثرها في نفس الديانة عيثا وفتكا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! هل قام هذا الامر العالي إلا لقطع أسباب الظلم وعلقه ؟

---

1) في الاصل : وإمجاشا ، والامحاس هو سجح الجلد (أي خدشه بشدة) أو احراقه .

2) في الاصل : وايجاشا .

3) القبالة هي في الاصل الضريبة التي تدفع لبيت المال ، وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضي به الشرع ، وكانت هذه الكلمة تستخدم في المغرب والاندلس للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف أو بائعوا السلع الرئيسية (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 2 / 305 - 306) .

4) في الاصل : المراصي ؛ وتحجير المراسي يعني به منع التصرف فيها والحجر على حرية الانتفاع منها ، وهو مأخوذ من الاصطلاح الشرعي « التحجير » بمعنى الحجر وهو منع لتصرف (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 2 / 250) .

وتمهيد (1) سبيــل الحق وطرقــه ؟ وإجراء (2) العدل إلى غايــة شأوه (3) وطلقه ؟ اللهم إنا نشهدك أن سبيلنا سبيلك ، وإنا نستعيذك مما استعـاذك منه محمد رسولك . روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قـال : « أعوذ بالله من المغرم والمأثم (4) ، تنبيها على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم . ولئن نقــل إلينا ـ والله الشاهد ـ أن نوعا من هذه الانـواع المحرمة ، أو صنفا من تلك الاصناف المظلمــة ، يتولاه أحد هنالك من البشر ، أو يأمر بشيء من ذلك الفعــل المستنكر ، لنعاقبنه بمحو أثره ، عقابا يبقى * (59 ب) (عظة (5)) لمن اتعظ . وعبرة لمن تنبه لزاجر الحق واستيقظ .

وإن من ذلك الرأي الذميم ، والسعي المنقوم ، ما ذكــر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها ، والطوائف المارة على البــلاد لمعنى تجارتها ، يتسبب إليهــم قوم من هؤلاء الظلمــة الدخلاء الذين يضعــون الغش طي ما يوهمون به من النصيحـة ، ويستبطنون (6) المكر في تصرفاتهم القبيحة ، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت . وإن للمخزن جميع ما به أتيت ! ويقرنون بهــذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله ، ويعتقد (7) السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم مناله ، وإنها لداهية (8) عاقرة ، قاصمة

1) في الاصل : وسد ، ولعلها تحريف عما أثبتنا .
2) في الاصل : أجزاء .
3) في الاصل : شهوة .
4) أورده النسائي في جملة ما يتعوذ به في الصلاة (السنن 3 / 57) .
5) هذه الكلمة غير واضحة في الاصل .
6) في الاصل : ويستبطون .
7) في الاصل : ونعتقد .
8) في الاصل : لذاهبة .

للظهر فاقرة ، ويا عجبا لكم ـ معشر الطلبة والشيوخ وكافة الموحدين ـ فإنكم بذلك مطلوبون ، وما حجتكم وما أنتم على حق كيف تتكيف هذه الكبائر وأنتم للأمور هنالك رصد [1] ؟ أم كيف تجري هذه الظلمات وقد قام للحق أود ؟ أم كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك ؟ والحرمات تنتهك ؟ ولا يمتعض لذلك منكم أحد ؟ كلا ، ليعاقبن كل من [2] جنى ، وليظهرن ما قصد القاصد وما عني . وإن وراء قولنا* لتتبعا يبحث [3] (60 أ) عن ذلك ويمحص ، ونظراً يفرق بين المشكل منه ويخلص !

ولا شك ـ والله أعلم ـ في أن أسباب تلك المنكرات ، ودواعي تغير تلك الاحوال المتغيرات ، قوم يتوسطون بينكم وبين الناس ، ويقولون ما لا يفعلون ذهابا إلى التدليس عليكم والإلباس ، ويجعلون النفير بالظلم والعدوان بدلا من العدل والقول الجميل والإيناس ، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها ، وبعدكم عن مشاهدة الامور ومعاينتها . والتحجب عن مطالعة الامور داعية كبرى لفسادها واختلالها ، وسبب [4] قوي في انتقاضها وانحلالها ، وفرصة لوسائط السوء بانهمالها في البواطل واسترسالها ، فلا تكلوا النظر فيها إلى أحد سواكم ، ولا تبعدوا بغاظ [5] الحجاب عما قصدكم من الخير ونواكم ، وباشروا الاحكام هنالك مباشرة المتعهد المتفقد، وعليكم بالتواضع لامر الله تعالى وترك الاستعلاء المتنقد ، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال ، كثير الاضطراب في الباطل

---

1) كرر الناسخ هذه الجملة في الاصل .

2) في الاصل : ما .

3) في الاصل : يحث .

4) في الاصل : ونسب .

5) في الاصل : بغلظ .

والانتقال، فقد نهى رسول الله صلى اللـه عليه وسلـم عن القيل والقال، وتثبتوا (1) ـ وفقكم الله ـ فـي الاحكام التـي لا بد لكم من النظـر فيهـا تثبت البحث عن حقائق الامور والاستقصاء، وتعهدوا الناس بالتحذير من اللدد في الخصام، وبالغوا في الايصاء.

ولا تظنوا أن الاجتهاد في الامور يؤدي إلى الهجوم عليها والاقتحام، (60 ب) ويخرج النظـر عن التثبت في القضايا والاحكـام، فاذهبوا فيها* مـذهبا وسطا، واقصدوا الاعتدال مقصدا مقسطا، ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكما، وشاوروذا فيما يخفى عنكم وجهه لنرسم لـكم فيه رسما، فليس كل مجتهد مصيبا برأيه، ولا كل هاجم على رأي منجحا في سعيه، وبين طرفي الاحوال واسطة جميلة فيها معقـد السياسة ومناطها، وخيـر الامور ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ أوساطها.

وعليكم أن تبحثوا بغاية جدكـم عن أولئك المسببين لتلك القبائح، الساعين في صـد ما يرضاه اللـه تعالى مـن المصالح، وتعرفونا بهـم بعد تثقيفهم لنشرد بهم من خلفهم، ونكف بعقابهم نوعهم الظالم وصنفهم، وقد استخرنا الله في سد تلك الذريعـة، وصـد تلك الافعال الشنيعة، فرأينـا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين لكبائر، وتعلمونا بنبأ كل مـن ترون أنه يستوجب القتل بفعله الخاسر، دون أن تقيموا الحد عليه، أو تبادروا بالعقاب إليه، ولا سبيل لكم إلى قتل أحد من كل من هو في بلاد الموحدين وأنظارهم، ومن هو معهم وداخـل في مضمارهم، وكل من ترون أنـه يستوجب القتل، ممن يريد المكر في أمر الله والختل، فعرفونا بجلية (2)

---

1) في الاصل : وثبتوا .

2) في الاصل : سجلية .

أمره وتصحيحه ، وخاطبونا بميـز أمره ومشروحه ، لينفذ فيـه من قبلنا ما يوجبه الحق ويقتضيه ، ونمضي في عقابه ما ينفذه الشرع ويمضيه. فإياكم من مخالفة أمرنا هذا في قتل أحد ممن* ذكرناه كـائنا من كـان ، كبر (61 أ) ذنبه عندكم أو هان . ولتبادروا الى إعلامنا بذنبه بعد سجنه وتثقيفه لنقابله بما نراه ، ونجري الحق فيه مجراه .

وإنه أعملنا بأن من يرضى من تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه ، ولا يبـالي أحسـن الفعـل فعله أم قبيحه ، يبـتاع المرأة ويبيـعها دون استبراء [1] ، ويعبث في ذلك بكل إقدام على الله تعالى واجتراء ، ولا يتحفظ من مواقعة الزنا المحض ، ومخالفة الواجب مع الفرض ، وإن في ذلك من اطراح ما أمر الله تعالى به من اتباع الشرع، وإفساد الاصل من السنة والفرع، ما لايحل [2] سماعه . ولا يستقر بنفس مؤمنة استطلاعه . فـلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يبتاع شيـئا منهن أو يبيع . حتى يستـأذن الحاكـم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضـيع . ولتـقدموا للنـظر في أسواقهن من ترضون دينه وأمانته . وتتحققون ثقته وصيانته . فمن أبيح له البيع والابتياع أحضره الامين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع . ونجري السنة مجراها ويمتثل الامر المطاع وكذلك فليتوقعوا عن بيع النساء في جميع من تغنمونه منهن في تلك الارجاء . حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفيته . وتعلمونا من ذلك بجليته . لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم . ويجري إليه اقتصادكم

---

1) في الاصل : استتار ، والاستبراء هو التلبث على المرأة حتى تحيض ويتأكد عدم حملها .

2) في الاصل : يحمل .

والله الله في البحث على الخمور ! وتقديم النظر في أمرها فهومن أهم الامور . فإنها مفتاح الشرور ، ورأس الكبائر والفجور . وهي رابطة أهل الجرم ، وجامعة* أشتات الظلم ، قال النبي صلى الله تعالى وملائكته (61 ب) الكرام عليه وسلم : « الخمر جماع الإثم [1] » ، فخذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشانها : واجتهدوا في إراقتها وكسر دنانها . واعمدوا إلى السبب الذي يؤدي إلى التمكن منها فارعوه والحظوه ، واطرحوا الإغفال لذلك والفظوه ، وقدموا أمناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب ، يكون بالمحافظة على ذلك محل الكالىء الرقيب ، ولا يكن منهم إلا من يفرق بين الحلال والحرام ويميز . ويعرف ما يجوز ، شربه وما لا يجوز ، ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرب واعتصاره وخذوهم بتوقف جدهم على ذلك واقتصاره ، فما حل منه أباحوه ، وما كان غير ذلك قطعوه أصلا وفرعا وأراقوه . « الحلال بين والحرام بين [2] » ، ولقضايا الشرع نظام ؛ قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام [3] ».

1) لم نجد هذا الحديث بلفظه في كتب الصحاح المعروفة ، وأقرب ما ورد إليه هو ما خرجه ابن ماجه في السنن (2 / 327) عن أبي الدرداء (رضه) أنه قال : أوصاني خليلي (صلعم) لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر ؛ وعن خباب بن الأرت عن النبي (صلعم) أنه قال : إياك والخمر ، فإن خطيئتها تفرع الخطايا كما أن شجرتها تفرع الشجر .

2) أورد هذا الحديث البخاري (الصحيح 1 / 20) ؛ ومسلم (5 / 50) ؛ وابن ماجة (2 / 476 ـ 477) ؛ وأبو داود (2 / 82 ـ 83) ؛ والنسائي (7 / 242 ـ 243).

3) الذي جاء في كتب الصحاح « ما أسكر كثيره فقليله حرام » (انظر فيض القدير للمناوى 5 / 420 ؛ وسنن ابن ماجة 2 / 332 ؛ وسنن النسائي 8 / 300 ـ 301 ؛ وسنن أبي داود 2 / 130) ؛ وقد جاء في فيض القدير (نفس الموضع المشار إليه قبل) وفي سنن أبي داود كذلك حديث آخر أشبه بهذا ، وهو « ما أسكر منه العرق فملء الكف منه حرام » (والغرق بفتحتين مكيال يسع ستة عشر رطلا)

وإن ممن [1] يسعى فى نوع من انواع الفساد ، ويستصحب الاضرار بالمسلمين في الإصدار [2] والإيراد، هؤلاء الراقصين [3] الذين يردون بالكتب ويصدرون . ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون ، فإنه ذكر لنا أنهم يأخذون الناس بالنظر في كلفهم، ويلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلفهم وهذا فعل كل فرقة منهم فى سيرها ، وسوء رأيهم [4] بذلك* في (62 أ) المخازن وغيرها؛ وإن من جملة ما حكي عنهم أنهم يتألفون في الطرق جموعا، ويحلون بأفنية الناس حلولا شنيعا، يكلفونهم مؤوناتهم تكليف المجرم [5]، ويتحكمون عليهم بحكم المغرم، حتى إنهم لا يرضون فى ضيافاتهم إلا بأسمن الجزر . وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر ؛ فسارعوا ـ وفقكم الله تعالى ـ إلى حسم [6] هذه العلة من أصلها ، وبادروا إلى قطع تلك العادة الذميمة وفصلها [7] ، وتخيروا لرسائلكم إرسالا ، وانتقوا من أهل المقدرة على ذلك والثقة [8] رجالا، وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في المجيء والانصراف، ويقطع شأنهم عن التكليف والإلحاف، وارسموا لهم أياما معروفة العدد، معلومة الأمد، لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم، ويوزعوها على مسافات مراحلهم، وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة، وأوعدوا من تسبب منهم إلى مسلم

---

1) فى الأصل : من .
2) فى الأصل : الإصرار .
3) الراقص مثل الرقاص التي سبق التعليق عليها ، والمقصود هو حامل البريد.
4) فى الأصل : وسواء وأيهم ،
5) فى الأصل : المجترم .
6) فى الأصل : تحسيم ، ووضع الناسخ عليها علامة شك ، فلعلها كما آثبتنا .
7) في الأصل : وفضلها ،
8) فى الأصل : واثقة .

بمساءة أو مضرة . والله تعالى المستعان على دفع أسباب الجور ، ونستعيذ به سبحانه من الحور [1] .

وكذلك ذكر لنا ـ وفقكم الله تعالى ـ من التحكم في الأموال ، وقلة المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال ، أن أولئك الذين ذكرت خدعهم ، ووصفت غرضهم الذميم ومنزعهم ، يفعلون في أموال الناس ما تقدم ذكره ، وشرح مكره ، وتمتد أيديهم إلى المخازن هنالك فيعيثون [2] فيها ويتحكمون ، ويجرؤون في التعدى عليها ملء شأوهم* وأنفسهم يظلمون ، فاتقوا الله (62 ب) تعالى فيها ، فإنها أمواله المخزونة في أرضه ، وبادروا إلى كف كل معتد وقبضه ، ولا سبيل لكم أن تنفدوا منها قليلا ولا كثيرا إلا بعد استئذاننا [3] وتعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك ، وهذا أمر منا لكم ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ والموحدين كافة ، أمراً دائما لازما ، سنته بالاستمرار مستظلة، وصحته بفضل الله لاتدخلها تعلة .

وقد خاطبنا بمثل ما خاطبناكم به جميع الطلبة والموحدين وكافة البلاد التى هي بالدعوة المهدية معمورة ، وبكلمة الإيمان مشرقة [4] منيرة ، فأمرنا بجميع فصول كتابنا هذا إليكم ولسواكم شامل، وفي كافة أقطار الموحدين نافذ عامل ، فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف فقد تبين عناده ، وساء في العاجل والآجل مآله [5] ومعاده ، ومن لم يمتثله بواجب الامتثال ، ويكف

1) فى الاصل : الجور ؛ والحور هو النقصان ، وفى هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبوي الشريف « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أي من النقصان بعد الزيادة أو من فساد أمورنا بعد صلاحها .

2) فى الاصل : فيعيشون .

3) فى الاصل : استدااننا .

4) فى الاصل : مشرفة .

5) فى الاصل : فآله .

يده عما رسمناه في كافة الـأحوال . فقد تعرض لـأشد العقاب وأوحاه [1] ، واستقبل من ارتكاب النهى ما يصده الانتقام به عن سوء منحاه . فاستصحبوا حدنا هذا استصحابا مؤبدا . واتخذوه في كافة أحوالكم مستندا ومعتمدا ، وعلى كل من إلى نظركم من أهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد ، الأخذة بالمذهب الرشيد ، عون الامير ـ أيده الله تعالى ـ على (63 أ) بسط* العدد ، وإفاضته على الكل ، ورفع لعبء ثقل [2] وكل : أن يسلكوا في جميع تصرفاتهم سبيل الاستقامة ، ويستمروا على استعمال الحقائق والمواصلة على ذلك والاستدامة . ويتجافوا عن مواقع الظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة . وينقادوا [3] للواجبات بداراً إليها وإسراعا . ويكونوا [4] في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تألفا واجتماعا .

ولما كان هذا الأمر عندنا ـ وفقكم الله تعالى ـ أهم أمر وأوجبه. وأحق ما أدناه الحق وقربه ، وكان اهتمامنا به قد جعله على كل حالة مقدما ، وأنفذه بأمر الله تعالى إنفاذا ملتزما ، رأينا أن نجعل في كتابنا هذا علامة بخط يدنا ، وها هي قد رفعت الإشكال رفعا بينا . وأرتكم فرط اهتبالنا حقا مبينا ، فبادروا إلى تلقيها بالامتثال والمسارعة ، وصلوا ابتداء شأنها بالمواصلة له والمتابعة ، واحضروا للاجتماع على هذا الكتاب جميع من في تلكم البلاد من الطلبة والعمال ، وكافة المقدمين للاعمال ، ولا تقدموا أمرا من الامور على إنفاذ جميع ما تضمنه ، والاعتمال بكل ما شرحه وبينه ، ولا تشتغلوا بشغل قبل الاشتغال بمعانيه ، وبما أمركم به على

1) أي أسرعه .

2) في الاصل : ورفع العبد المثقل وكل ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، والكل (بفتح الكاف) هو الثقل من كل ما يتكلف، ويطلق على العيال.

3) في الاصل : وينقاد .

4) في الاصل : ويكون .

قواعده ومبانيه ، ومخاطبتنا بما يكون منكم في تلقيه ، واتباع ما ينهيه إليكم ويلقيه . واقرأوه على الكافة أعالي المنابر ، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحواضر ، وأسمعوا به إفصاحا وإعلانا ، وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحدانا ، وأحسنوا إيصال أغراضه [1] إليهم ، فإن الله تعالى يجزي الاحسان إحسانا .

(63 ب) فإذا تفرغتم من قراءته على الجماهير،* وبلغتم حجته بواجب التبليغ والتقرير ، فاكتبوا منه نسخا الى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر ، وكل كورة من تلك الكور ، وأكدوا عليهم فيما أكدنا عليكم فيه . من تقديم العمل فيه على كل الوجوه ، وامتثال مضمنه على ما يحبه الله تعالى ويرتضيه ، وحذروهم من التعرض لمخالفته فلا عذر لمن لا يقصده على الفور ويأتيه ، ونحن بمرصد التطلع والتسمع لما يكون منكم ومنهم ، لنقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم .

وقد علم الله تعالى أن غرضنا بجميع المسلمين إشفاق وحنان ، وجانبنا لهم دعة مستمرة وأمان ، ولدينا من التراؤف بهم والرفق بجانبهم شان لا يقاربه [2] من فضل الله تعالى شان ، وقد علمتم ذلك منا واخبر تموه . وجربتموه على مر الزمان وصبرتموه [3] ، فلتتلقوا كل من استرعاكم الله أمره بكل طلاقة ويسر . ولتنشروا [4] عليهم جناح الرحمة أكمل نشر ، ولتعلموا - رعاكم الله - أن من شملته كلمة التوحيد ، في العهد القريب أو البعيد ، في مضمار واحد من العدل محمولون ، وأنكم عن

---

1) في الاصل : إعراضه .

2) في الاصل : يفارقه .

3) كذا في الاصل ، وربما كانت « وخبر تموه » .

4) في الاصل : ولينشروا .

عن كل من هنالك مسئولون، ولفظ الموحدين بيننا وبينهم جميعا، والحق يسلك بينهم من التناصف مسلكا مشروعا ، وقد ألفت الكلمة بينهم . فبعضهم لبعض في الخير أسوة ، وقد قال الله تعالى « إنما المؤمنون إخوة[1] ، فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل قصداً* إلى مرضاة الله تعالى (64 أ) وإتيانا، وكونوا عباد الله إخوانا، وأحسنوا بهم - رعاكم الله- ظنا، وعودوهم الخير لفظا ومعنى ، وتخلقوا معهم بمحاسن الأخلاق وقولوا للناس حسنى . واستألفوا الناس بالتي هي أحسن . وابذلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يتمكن . وانهجوا لهم من المبرات منهجا يبدو به مضمركم الجميل ويتبين ، وسروا بصالح عملكم وبشروا، وسبروا - كما قال عليه الصلاة والسلام - ولا تعسروا[2] وسكنوا ولا تنفرا .

واعلموا أن السعي في هذا الغرض الواجب، والاعتمال في رفع ذلك المانع الحاجب لا يتأتى لكم جملة واحدة ، حتى تكون نفوسكم متآلفة عليه متساعدة ، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاونا يجمع في الصلاح آراءكم، ويضمن النجح التام لكم ولمن وراءكم ، فعليكم بالمظافرة ، والمناصرة والمؤازرة ، فهي سواعد السعد ، قواعد الود ، وشيم الكرام الحافظين للعهد، وبها يعمر محل الرضى ونديه ، وبه أوصى الله تعالى ورسوله ومهديه.

وقد نصحنا لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها ، وذكرناكم بهذه التذكرة فاستقبلوا رشدها ، ونبهناكم تنبيها* بالغا . وللمحال (64 ب) ما بعدها ، جعلنا الله تعالى وإياكم ممن امتثل أمره المطاع بخالص نيته . وأفرغ الرحمة على قالب سجيته ، وحفظ ما استرعاه الله تعالى ، فكل راع مسئول عن رعيته .

1) سورة الحجرات ، آية رقم 10 .

2) تمام الحديث « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » (انظر فيض القدير للمناوي 6 / 361 .

وكان مما بعثنا ـ وفقكم الله تعالى ـ على تنبيهكم وإذكاركم ، وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم ، مـا ألفينـاه بحضرة مراكش ـ حرسها الله ـ من بعض تلك الانواع ، مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع ، كنوع القبالة ، وما يجري مجراها في وجوب الازالة والاحالة ، فإنا كنا لا نبحث عن ذلك ، لتخيلنا أنه لا يجرؤ أحد أن يسلك في هـذا الامر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك ، فلما كان الحث عمـا يجب ، وزال [1] عن وجه المشاهدة ما كان يحتجب ، اطلعنا على ذلك فأنكرنا ما كان نكيرا ، وأزلنا بعون الله تعالى ما كان محذورا بالشرع محظورا ، حتى تطهر ثوب الامن من دنسه ، وتجلى الوجه الخالص عن ملتبسه ، واقتبس نور الحق من مقتبسه ، وجرت الامور على ما عهدناها عليه من الاعتدال والقوام ، بحكم ما أحكمه الامام المهدي رضي الله تعالى عنـه في القضايا والاحكام ، وإذا كان الافتيات في شيء من هذا ونحن على اقتـراب ، فكيف الامر فيمن (65 أ) هو في حكم* بعد عنا واغتراب ؟ !

فانظروا هذا ـ وفقكم الله تعالى ـ نظر أولي الالباب ، ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب ، واتذهبوا إلى إظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

1) في الاصل : وأزال .

مدة خلافته رضي الله تعالى عنه :

بويع رضي الله تعالى عنه إثر موت الامام المهدي رضي الله تعالى عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة بيعة خاصة . وأعلن ببيعته حين أعلن بموت الامام المهدي رضي الله تعالى عنهما عام تسعة وعشرين وخمسمائة (1) ؛ وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر غير ستة أيام .

---

1) هكذا ذكر ابن القطان ، وأكد ذلك أيضا ابن عذارى في البيان المغرب (1 / 312) ، ويقول أويثي إن ابن الاثير يتفق معهما أيضا على هذا التاريخ ولو أننا لم نجد في « الكامل » نصا صريحا على ذلك ، أما البيذق فإنه يجعل البيعة العامة لعبد المؤمن في سنة 527 (أخبار المهدي ص 133) وكذلك ابن صاحب الصلاة (فيما ينقل عنه ابن أبي زرع في الروض 2 / 129) وابن خلدون والسلاوي اللذان يذكران أن أصحاب ابن تومرت المقربين إليه كتموا وفاته ثلاث سنوات مما يفهم منه أن البيعة العامة لعبد المؤمن كانت في سنة 527 (انظر العبر 6 / 229 والاستقصا 2 / 91) ؛ وابن أبي زرع هو الوحيد الذي يجعل هذه البيعة في يوم الجمعة 20 من ربيع الاول سنة 526 أي بعد وفاة المهدي بسنتين على الرغم مما أشرنا إليه من نقله عن ابن صاحب الصلاة كون هذه البيعة في سنة 527 (الروض 2 / 132) ، وقد ذكر أويثي أن هذا التاريخ الاخير خاطيء إذ أن يوم 20 ربيع الاول المذكور لم يكن يوم جمعة وإنما يوم أربعاء ، فضلا عن أن ابن أبي زرع كثير الغلط غير جدير بالثقة في كل ما يقول ؛ ويرى أويثي أخيرا أن ما ورد هنا إنما هو على الارجح تحريف من ناسخ المخطوط لسهولة الخلط بين رقمي « السبعة » و « التسعة »، على أننا نستبعد هذا الرأي ، إذ أننا سنرى ابن القطان في أخبار سنة 529 يعود إلى تأكيد ما ذكره هنا من أن الاعلان ببيعة عبد المؤمن تم في هذه السنة (انظر مناقشة أويثي للآراء المختلفة حول هذه الناحية في « تاريخ الدولة الموحدية » ص 109) .

عمره رضي الله تعالى عنه :

قيل ثلاث وستون سنة ، وقيل أربع وستون سنة (1) .

وقت وفاته ومدفنه رضي الله تعالى عنه :

توفي قبل الفجر يوم الثلاثاء (2) الثامن من شهر جمادى الآخرة عام ثمانية وخمسين وخمسمائة . (3) ونقل رضي الله تعالى عنه إلى تينملل - شرفها الله تعالى - يوم الجمعة غرة شعبان المكرم عام ثمانية وخمسين وخمسمائة .

1) نقل ابن أبي زرع الرأيين وأسند الاول إلى ابن الخشاب ، والثاني إلى ابن صاحب الصلاة (الروض 2 / 168) ، وأما عبد الواحد المراكشي فقال إن عبد المؤمن ولد سنة 487 (المعجب ص 197) ، وقال ابن خلكان إنه ولد سنة 500 وقيل إنها كانت سنة 490 (الوفيات 2 / 404) ، أما ابن عذارى فإنه نقل عن أبي زكريا يحيى ين وسنار (في الاصل : بن سنان) أن عمره كان ثلاثا وستين سنة، وقيل : أربعا وسبعين (البيان المغرب - الطبعة الثانية - ص 55)

2) في الاصل : الثلاثة .

3) يتفق كل المترجمين لعبد المؤمن على أنه توفي في شهر جمادى الآخرة سنة 558 ، غير أنهم يختلفون في تحديد اليوم ، أما البيذق فإنه يتفق مع ابن القطان في أن ذلك كان في يوم الثلاثاء الثامن من هذا الشهر (أخبار المهدي ص 83) ، وكذلك ابن أبي زرع في أحد قوليه (الروض 2 / 168) والسلاوي (الاستقصا 2 / 129) ، ولو أن هذين المؤرخين يجعلان الثامن جمادى الآخرة موافقا ليوم جمعة لا ثلاثاء ، وأما ابن عذارى فإنه يحدد وفاة عبد المؤمن بليلة الخميس العاشر من جمادى الآخرة (البيان المغرب ص 55) ، ويوافق ابن أبي زرع في قول آخر له على العاشر من هذا الشهر إلا أنه يجعله يوم ثلاثاء (2 / 168) أما عبد الواحد المراكشي فإنه ينفرد بإيراد تاريخ السابع والعشرين من الشهر المذكور (المعجب ص 235) ؛ وأقوال المؤرخين المشارقة مضطربة فابن خلكان والنويري يجعلان ذلك في العشر الاخير أو الآخر (كذا) من ذلك الشهر (الوفيات 2 / 404 ؛ ونهاية الارب ص 214) ؛ ويحدده ابن الاثير بالعشرين من جمادى الآخرة (الكامل 9 / 81). وقد رجح أويثي في بحثه لهذا التاريخ ما استقر عليه ابن القطان والبيذق أي الثامن من جمادى الآخرة الموافق ليوم الثلاثاء 14 مايو سنة 1163 م . (انظر تاريخ الدولة الموحدية 1 / 209) .

(65 ب)

* أولاده الكرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين : [1]

فمنهم سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو يعقـوب رضي الله تعالى عنه ، وشقيقه السيد الاسني أبو حفص (عمر) ، [2] والسادات المكرمون أبو عبد الله ، [3] وأبو محمد عبد الله صاحب بجاية . [4] وأبو سعيد

1) عن أبناء عبد المؤمن واختلاف المؤرخين حول عددهم وأسمائهم انظر الحلل الموشية (ص 117) ، وابن أبـي زرع (الروض 2 / 168 ـ 169) ، وعبـد الواحـد (المعجب ص 198) ، والزركشي : تاريخ الدولتيـن ص 9 ، وابـن صاحـب الصلاة (المن بالإمامة ـ مخطوطة أوكسفورد ورقة 42) وابن عذارى (البيان ص 56) . وانظر كذلك الملحق الثاني مـن الملاحق التي ذيل بها أويثي كتابـه (2 / 613 ـ 624) .

2) في الاصل بياض بقدر كلمة ، وقد أضفناها اعتمادا على مختلف المراجع الموحدية ، وأبو حفص عمر هذا هو شقيق يوسف بن عبد المؤمن كما ذكر المؤلف ، وأمهما هي بنت أبي عمران موسى بن سليمان التينمللي الكفيف أحد أهـل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 116 ؛ وروض القرطاس 2 / 172 ؛ والمعجب ص 237) ؛ وقد تولى أبو حفص الحجابة لاخيه يوسف كما قاد له الجيوش وتوفي سنة 575 (انظر أويثي : تاريخ 2 / 613 ـ 614)

3) هو محمد أكبر أبناء عبد المؤمن وولي عهده له في حياته ، وقـد تولى الخلافة بعد موت أبيه خمسة وأربعين يوما . ثم خلع عن العرش وبويع بعده أبو يعقوب يوسف أخوه (انظر في هذه الاحداث : أويثي : تاريخ 1 / 219ـ 223.

4) ولاه أبوه عبد المؤمن على بجايـة سنة 551 في جملة من ولاه من أبنائه على البلاد ، ولم تكن سنه تجاوز حينئذ خمس عشرة أو ست عشرة سنة ، فلما بويع أخوه يوسف بن عبد المؤمن رفض الاعتراف بخلافته ، واشترك في العصيان مع أخيه أبي سعيد عثمان عامل غرناطة ، ولكنه لم يلبث أن أعطى عهده بالطاعة بعـد أن رأى أخاه المذكور يعلن الولاء ويكف عن الثورة ، فقبل منه أبو يعقوب ، وتوجه عبد الله إلى مراكش ليبايع أخاه ، ولكنه مات في الطريـق مسموما (انظـر أويثي : 2 / 62) .

عثمان، [1] وأبو علي الحسن، [2] وشقيقهما أبو الربيع سليمان. [3] وأبو زكريا يحيى، [4] وأبو ابرهيم اسماعيل، [5] وأبو إسحاق

---

1) أضاف ابن أبي زرع إلى اسمه « صاحب غرناطة » (2 / 168) بينما ذكر قبل ذلك أن أباه ولاه سبتة وطنجة (2 / 151) ، وقد ولي الجهتين بالفعل في سنة 549 في حياة أبيه مضافا إليها مالقة والجزيرة الخضراء (البيذق ص 116 والمعجب ص 224) ، وقد أشرنا إلى رفضه الاعتراف بخلافة أخيه يوسف ثم إفاءته بالطاعة سنة 560 ، وقد كان له نشاط عسكري كبير في الاندلس ، وكانت وفاته في سنة 571 (أنظر أويثي 2 / 618 ـ 619) .

2) ولي عمل سبتة لاخيه يوسف ، وفي سنة 564 عاد إلى مراكش ، ثم ولي في سنة 567 قيادة جيش غمارة في غزوة وبذة بالاندلس ، وفي سنة 570 ولي عمل إشبيلية واشترك بعد ذلك في سنة 572 مع أخيه أبي الحسن علي في مهاجمة طلبيرة، وتوفي سنة 574 وهو عامل على إشبيلية (نفس المرجع 2 / 620) .

3) عين عاملا على تادلا في حياة أبيه عبد المؤمن ، وفي سنة 580 توجه إلى مراكش لمبايعة ابن أخيه يعقوب المنصور ثم اشترك في قتال بني غانية ببجاية فلحقت به الهزيمة ولجأ إلى تلمسان ، ثم عاد بعد ذلك إلى عمل تادلا حيث حاول الثورة على يعقوب المنصور ، ولكنه لم يلبث أن هزم وأسر ، ثم قتل في الرباط سنة 584 (نفس المرجع 2 / 622) .

4) عين عاملا على بجاية سنة 561 خلفا لأخيه عبد الله المذكور قبل ذلك ، وظل في هذا المنصب حتى سنة 565 حين توجه قائداً على عرب إفريقية إلى الأندلس مع أخيه أمير المؤمنين يوسف ، واشترك بعد ذلك في حملة وبذة قائداً لأهل كومية ، وكانت وفاته سنة 571 وهو مرافق لأخيه يوسف عند عودته إلى مراكش (نفس المرجع 2 / 620) .

5) أمه بنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة ، ولي عمل إشبيلية سنة 561 خلفا للحافظ أبي عبد الله بن إسماعيل إيجيج، وفي سنة 563 تولى إرسال بيعة أهل إشبيلية إلى أخيه أمير المؤمنين يوسف ، وفي السنة التالية تلقى طاعة ابن همشك للخليفة الموحدي ، ثم رافقه إلى غزوة وبذة قائداً على عسكر جنفيسة ، وفي سنة 568 توجه هو والشيخ أبو حفص عمر إينتي إلى قتال القومس النصراني المعروف باسم « البيوج El Giboso » (الأحدب) فقتلاه وهزما عسكره . ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد (نفس المرجع 2 / 620) .

ابراهيم،[1] وأبو يوسف يعقوب،[2] وأبو الحسن علي،[3] وأبو زيد عبد الرحمن،[4] وأبو سليمان داود.[5] وأبو موسى

---

1) ولي قرطبة لأخيه أمير المؤمنين يوسف سنة 563، وفي سنة 564 أستدعى إلى مراكش، وفي سنة 567 كان على رأس قبيلة جدميوة في حملة وبذة، ثم ولي عمل إشبيلية في سنة 576، وقام في سنة 578 باستعادة مدينة شنتفيلية من أيدي النصارى وعزل بعد ذلك عن عمل إشبيلية، وفي سنة 580 اشترك في حملة شنترين، ويبدو أنه سرح بالسخط على ابن أخيه يعقوب المنصور حينما بويع له بالخلافة في نفس هذه السنة مما أدى إلى نفيه إلى تلمسان. وقد قتل في سنة 583 فتك به أهل تلمسان على ما يبدو (نفس المرجع 2 / 621 ـ 622) .

2) لا يعرف من أخباره إلا أنه كان عاملاً على مرسية سنة 579، وأن أخاه يوسف امتنع عن لقائه حينما ذهب لزيارته في مراكش (نفس المرجع 2 / 623) .

3) في سنة 551 ولاه أبوه عبد المؤمن على فاس، ثم استخلفه على مراكش عند ما قام بغزوته ضد إفريقية، وفي سنة 558 قام بحمل رفات والده إلى تينملل لدفنها هناك، وفي سنة 571 تولى عمل قرطبة ثم اشترك في حملة وبذة ومهاجمة طلبيرة بالأندلس، وعاد بعد ذلك في سنة 576 إلى المغرب، فولاه أخوه يوسف على افريقية، ولكنه وقع أسيراً في أيدي العرب، وفي سنة 580 وكل إليه عمل تلمسان (نفس المرجع 2 / 619 ـ 620) .

4) عين عاملا على السوس موطن أمه ـ بصفة رمزية على ما يظهر لصغر سنه عندئذ (أخبار المهدي ص 116 ـ 117) ، وفي سنة 594 تولى عمل اشبيلية إلى أن عزله عنها محمد الناصر بن يعقوب المنصور عند توليه الخلافة سنة 595، ووجه به الخليفة بعد ذلك إلى سجلماسة حتى سنة 607 حينما أعاده إلى الأندلس عاملا على جيان (نفس المرجع 2 / 623) .

5) ذكر كذلك ابن أبي زرع في الروض (2 / 169) وابن عذارى في البيان (ص 56) ، ولكننا لم نعثر على شيء من أخباره .

عيسى ،[1] وأبو العباس أحمد ،[2] رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

بناته رضي الله تعالى عنه وعنهن :

الحرتان المكرمتان صفية وعائشة[3] .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

السيد الاعلى أبو حفص[4] ابنه[5] رضي الله تعالى عنهما، وأبو جعفر أحمد بن عطية ،[6] وأبو محمد عطية ،[7] وأبو محمد عبد السلام بن

---

1) ولي لأخيه أمير المؤمنين يوسف القيروان سنة 576 بعد فتح قفصة ، وفي سنة 581 وقع في بجاية أسيراً في يد ابن غانية ، بينما كان يزمع الرحلة إلى مراكش لتهنئة ابن أخيه يعقوب بالخلافة، ثم أطلق سراحه في السنة التالية حينما استرد الموحدون المدينة ،ثم عين بعد ذلك عاملا على إشبيلية في سنة 601 . وقد كان حيا في سنة 621 (نفس المرجع 2 / 6?2) .

2) لا نعرف من أخباره إلا أنه كان عاملا على سجلماسة حتى وفاته سنة 574 .

3) ذكرهما أيضا ابن أبي زرع (الروض 2 / 169) وابن عذارى (البيان ص56).

4) هو أخوه عمر المذكور قبل ذلك .

5) في الأصل : . . . وابنه ؛ وهو تحريف من الناسخ يوقع في الخطأ إذ يوهم أن ابنا لأبي حفص عمر بن عبد المؤمن قد ولي الوزارة لجده ، وهو أمر ليس هناك ما يؤكده .

6) في الأصل : وأبو جعفر وأحمد بن عطية ، وقد سبق أن عرفنا بالوزير ابن عطية ومظان ترجمته (انظر ص 138 حاشية رقم 3) .

7) أبو محمد أو أبو عقيل عطية بن عطية أخو أبي جعفر المذكور قبيله ، وكان مثله كاتبا ووزيراً لعبد المؤمن حتى نكبهما وقتلهما في أواخر سنة 553 (انظر المقري : نفح الطيب 7 / 111 ؛ السلاوي : الاستقصا 2 / 119) وقد نشر ليفي بروفنسال عدة رسائل من إنشائه في مجموع الرسائل الموحدية (ص 22 ـ 26 وص 71 ـ 93) . وانظر كذلك بحث الأستاذ محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص 166 .

محمد، [1] وأبو العلاء* إدريس بن (جامع ، وكان يقعد بين يدي) [2] (66 أ)
السيد أبي حفص ،

---

1) عبد السلام بن محمد الكومي نسبة إلى كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي، استوزره عبد المؤمن بعد إيقاعة بأبي جعفر ابن عطية ، وذلك في شوال سنة 553 عند خروج عبد المؤمن إلى غزوة المهدية ، ويقول ابن أبي زرع إن والد عبد المؤمن كان قد تزوج أم عبد السلام هذا ثم طلقها . هذا ولم يستمر عبد السلام الكومي طويلا في منصبه إذ أخذ عليه الاستبداد بعمله والاستئثار بالسلطة فضلا عما اتهم به من الغلول في غنائم قابس وشكايات أهل الأندلس من العمال الذين وجههم إليهم ثم لما نسبه إلى أبناء عبد المؤمن من شرب الخمر وغير ذلك من القبائح كذبا وبهتانا ، وأخيراً قبض عليه عبد المؤمن في أثناء حملته التي دخل فيها تلمسان سنة 555 واحتال في قتله بأن سمه في قدرة لبن (انظر المقري : نفح الطيب 7 / 110 ؛ ابن أبي زرع 2 / 155 ، 162 ـ 163 ؛ السلاوي 2 / 117 ؛ ابن عذاري ؛ البيان ص 43 ـ 44 ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ورقة 19 ـ 20 ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ـ ط . موللر ـ ص 216 ـ 217 ؛ وأويثي : تاريخ 1 / 192 ـ 193) .

2) أضفنا هذه الزيادة نقلا عن ابن عذارى (البيان ص 56) وابن أبي زرع (الروض 2 / 172) ، وأبو العلاء إدريس بن ابرهيم بن جامع كان من كبار رجال الدولة الموحدية ، وأبوه ابرهيم بن جامع كان أصله من طليطلة بالأندلس ونشأ بساحل شريس ثم انتقل إلى العدوة واتصل ابن تومرت وأصبح من جملة أصحابه (أهل الدار)* وكان من أبنائه إدريس المذكور الذي ظل وزيراً لعبد المؤمن حتى وفاته ثم لابنه يوسف من بعده حتى سخط عليه هذا وقبض عليه واستصفى أمواله في سنة 577 (انظر ابن عذارى : البيان ص 56 . 140 عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 244 ، 211 ؛ السلاوي : الاستقصا 2 / 96) .

قضاته رضي الله تعالى عنه :

أبو عمران موسى صهره [1] من تينملل، [2] وحجاج بن يوسف. [3]

كتابه رضي الله تعالى عنه:

أبو جعفر ابن عطية، أبو محمد عبد الله بن جبل [4] عطية بن عطية [5] ،

---

1) في الأصل : صهيره .

2) هو أبو عمران موسى بن سليمان الكفيف ، وقد مر ذكره في نظم الجمان عند إيراد أسماء أهل خمسين من أصحاب ابن تومرت ، كما أشار إليه أيضا صاحب كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 34) ، وكان موسى من شيوخ أهل تينملل وأعيانهم من ضيعة آنسا ، وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج منها ، وتزوج من ابنته زينب ، وهي أم ولديه يوسف خليفته على الملك وأبي حفص عمر ، وكان مصاهرة عبد المؤمن إياه أيام كان بتينملل برأي ابن تومرت (المعجب ص 237 ، 338) ويسميه ابن أبي زرع « موسى بن سهل » (الروض 2 / 172) .

3 هو أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها ، وكان من ناحية بجاية ، وهو من أهل العلم والأدب ، نال دنيا عريضة وأورث عقبه نباهة . وتوفي مكفوف البصر في الطاعون الذي أصاب المغرب سنة 572 (انظر ترجمته في التكملة لابن الأبار ، رقم 93) .

4) ذكره ابن صاحب الصلاة (المن بالإمامة ورقة 44) وابن عذارى (البيان ص 56) وابن أبي زرع (الروض 2 / 171) في الكلام عن كتاب عبد المؤمن ، وأما عبد الواحد المراكشي فإنه اعتبره من قضاته ، وقال إنه كان من أهل مدينة وهران من أعمال تلمسان (المعجب ص 200) ، وذكر ابن صاحب الصلاة أنه كان صاحب أبي الحسن بن الإشبيلي عند الخليفة يخطب بعده إذا خطب .

5) هو أبو عقيل أو أبو محمد ، أخو أبي جعفر ابن عطية الذي سبقت الإشارة إليه من قبل .

ميمون الهواري (1)، أبو الحسن ابن عياش (2). أبو علي الاشيري (3)

1) أشار إليه ابن صاحب الصلاة وابن عذارى وابن أبي زرع (في المواضع المشار إليها قبل ذلك)، ولعله هو الذي ترجمه له ابن الأبار فى التكملة (رقم 1136) وقال عنه إنه كان من سكان قرطبة وكان أديبا فقيها ، وإن له شعرا فيما جرى بين ابن رشد وأبي محمد بن أبي جعفر فى التفضيل بين الهيللة والحمدلة .

2) هو أبو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك الأزدي اليابري ، سكن أبوه قرطبة ونشأ هو بها ، واشتهر أولا بالزهد والورع حتى كان يسمى « الزاهد » ثم صحب بني حمدين الثائرين على المرابطين فى قرطبة ، وفر منها في الفتنة وانتقل إلى إشبيلية ثم انتقل إلى كتابة السيد أبى حفص وسار معه إلى تلمسان ولم يزل في صحبته وكتابته حتى استدعاه عبد المؤمن لكتابته ونال دنيا عريضة وعدل عن طريقته الأولى فى الزهد ، وتوفى سنة 568 متوليا الكتابة ليوسف بن عبد المومن .(ابن الابار : التكملة ، ترجمة 1721 ؛ ابن عذارى : البيان ص 140 ؛ ابن أبى زرع ؛ الروض 2 / 171 ، 175) ، وكان له ابن يدعى أبا محمد عياش بن عبد الملك ولى الكتابة أيضا ليوسف بن عبد المومن (المعجب ص 200 244)

3) هو أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن الأشيري من أهل تلمسان ، نشأ بها ودرس بالمغرب والأندلس ، وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة والنسب والغريب جيداً للنظم والنثر ، وله مجموع فى غريب الموطأ وكتاب في التاريخ سماه «نظم اللآلي ، في فتوح الأمر العالي» كان من بين الأصول التي اعتمد عليها صاحب الحلل الموشية كما نقل عنه صاحب نظم الجمان نفسه ، وكانت وفاته سنة 569 (ابن الأبار : التكملة ، ترجمة رقم 66) ؛ وقد روى له البيذق (أخبار المهدي ص 97) وابن أبى زرع (الروض 2 / 130 ـ 131) وصاحب الحلل الموشية (ص 124) أبياتا يمدح بها عبد المؤمن ويذكر قصة الاسد الذي مشى بين يديه ، وأشار إليه ابن الابار كذلك في الحلة السيراء (ط ، دوزي) ص 176 ؛ وقد اعتمد صاحب الحلل الموشية على كتاب أبى علي الاشيري فيما كتبه عن نهاية الدولة المرابطية والمواقع الدائرة بين الموحدين وتاشفين بن علي (انظر ص 107)، كما نشر الاستاذ ليفي بروفنسال قطعة فيها نقول عن تاريخه مع دراسة وترجمة فرنسية تحت عنوان «Notes d' histoire almohade », Hésperis, 1930) وقد تبين بعد ذلك أن هده القطعة انما هي بضعة أوراق من كتاب البيان المغرب لابن عذارى (انظر طبعة أويثي الثانية ص 18، 23).

أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندي [1].

1) اشتغــل أولا بالكتابة لبعض أمراء المرابطين ثم استكتبه أبو جعفر ابن حمدين، فلما دخل ابن غانية قرطبة ذهب إلى بلده رندة واستبد بضبطها زمنا ثم أخرجه منها أبو الغمر ابن السائب ، وتوجه أخيل بن إدريس الى مالقة وجاز منها إلى مراكش فاتصل بأبي جعفر ابن عطية الوزير وما زال حتى ولي قضاء قرطبة ثم قضاء إشبيليـة ، وكان من بين من استقبلوا عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح عند جوازه إلى الأندلس ومدحه، ونفاه عبد المؤمن مدة إلى مكناسة ثم عفا عنه، وقال المقرى إن سبب ذلك هو قوله إن الخلافة لا ينبغي أن يتولاهـا إلا قرشى ، وتوفى بإشبيلية سنة 560 أو 561 (أنظر في ترجمته الحلة السيراء لابن الأبار ـ ط . دوزي ـ ص 222 ـ 227 ، والتكملة لابن الأبار ـ ط . بن أبي شنب ـ ص 252؛ والمقتضب من تحفة القادم ص 61 ؛ وابن سعيد : المغرب 1 / 330 ـ 336 ؛ والمقرى : نفح الطيب 5 / 333 ـ 334 ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ورقة 43) .

الطلبة في حضرته السنية رضي الله تعالى عنه :

الخطيب أبو الحسن بن الإشبيلي (1) ، الخطيب أبو محمد ابن جبل (2) ، أبو بكر ابن ميمون القرطبي (3) .

* * *

فهذه المقدمة لدولته السعيدة ، وخلافته الحميدة ، التى شرق ضياؤها وسطع ، وعلا سناؤها وارتفع ، وأقرت عين الدين ، وقهرت كل الملحدين؛ وقرب الله تعالى بها من نصر الدين ما بعد ، وجلا به عن أبصار المهتدين الرمد ، وشفى العدل من الظلم بعد ما أشفى ، وأحيا به من مراسم الدين ما كان عفا، فلاح الدين سيفا مصلتاً (4) حده ، متواليا جده متعاليا جده، فشيد

---

1) تحدث عنه ابن صاحب الصلاة طويلا في كتاب المن بالإمامة (ورقة 49) فقال إنه « الفقيه الخطيب شيخ طلبة الحضرة ، هو الخطيب المصقع بين يدي الخليفة (يوسف بن عبد المؤمن) عند حضور الوفود الناطق بالفصاحة والبلاغة المنظومة نظم العقود . . . الخ » ، ويقول ابن صاحب الصلاة إنه كان عالي المكانة لدى يوسف ابن عبد المؤمن ثم لدى ابنه الخليفة يعقوب المنصور وإنه تزوج من ابنة القاضي ابن الملجوم مما رفع من مرتبته ، والتقى به ابن صاحب الصلاة نفسه بحضرة مراكش سنة 560 فسمع عليه قراءة عقيدة التوحيد والعقيدة المسماة بالطهارة وكتاب أعز ما يطلب بقراءة الكاتب أبي عبد الله بن عميرة، وكان إذا قرأ القارئ المذكور فصلا من تلك الكتب تولى شرح غامضها وتقريب معانيها على الطلبة ، وتوفي بحضرة مراكش دون ان يحدد ابن صاحب الصلاة تاريخ وفاته .

2) هو أبو محمد عبد الله بن جبل الذي سبق أن أشار ابن القطان إليه من بين كتاب عبد المؤمن .

3) ذكره ابن أبى زرع إلا أنه قال إنه كان من بين قضاة عبد المومن، وأورد بعض أخباره ابن صاحب الصلاة فقال إنه كان من أساتيذ مراكش وصل الى الحضرة العلية واستوطنها حتى نسى قرطبة وانثال إليه الطلبة من كل مكان ، وأورد له أبياتا يتغزل فيها في شاب من أهل أغمات ، وكان يتهاجى مع الشاعر اليكي (انظر روض القرطاس 2 / 172 ؛ والمن بالامامة ورقة 43) .

4) فى الاصل : مصلة .

مـن الشريعة مباني عالية ، وأبـدى بهمته الرفيعة من المكرمات معانـي سامية . فلا ترى* إلا ظـلال عدل ، وانهمال فضـل ، وتأثيل مجد ، وإقامـة (66 ب) رسم للهداية وحد ، وتمسكا بكتاب الله تعالى وسنـة نبيه ، وهدى صحابتـه وهدي مهديه ، والدين تشرق بهجته ، وتونق لهجته ، والحق يظهر سموه ، والعدل يقهر عدوه ، والفضـل يعلي مناره ، والبذل توارد [1] آثاره ، يدعـو العفاة لسان للإحسان فصيـح ، ويسعهم ميدان للامتنان فسيح ، يغص بهـم الفضاء ويسعهم فناؤه ، ويقضي لهم بنيل الاماني بشره واعتناؤه [2] ، فيردون من كوثر كثرة الإحسان عذبا صافيا ، ويتفيأون من اليمن والامان ظلا [3] ضافيا ، فالوفود تزجي [4] ركائبهـا ، وتثني ـ لو سكتو ـ حقائبها [5] ، فـلا قطعة من الارض إلا عمها ظل عدله ، ولا بقعة إلا وساح بأرجائها بحر فضله.

قرنت الدعة ببيعته والامـان ، وقـرت عين الاسلام وطابـت نفسي الايمان ، وأصبح الحق عالي المعالم ، والدين لا يخشى ظلامة ظالم ، منا من الله تعالى على عبيده وإحسانا ، وفضلا عمهم جماعات ووحدانا ، فـلا لسان إلا بالحمد والشكر ناطق ، ولا قلب عدو إلا طائش من المخافة خافق .

(67 أ) فأعظم بها خلافة * مهدية ، وبشارة حقق الله (بها) مـا في [6] الوعد

1) في الاصل : تواري ، ولعلها كما أثبتنا أي تتوارد ، وقد تكون أيضا «تواتر».
2) في الاصل : واغتناؤه .
3) في الاصل : ضلا .
4) في الاصل : ترجى .
5) في الاصل : حقائقها ، وهو تحريف ، وإنما ضمن المؤلف هنا بيتا من شعر نصيب بن رباح في مدح الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك :
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهلـه ولو سكتـوا أثنت عليك الحقائب
(انظر الاغاني لابى الفرج الاصبهاني 1 / 130) .
6) في الاصل : باقي .

النبوي الصادق ، قصم [1] كل باغ حاسد منافق ، وجعل كلمة الخلافة والامامة ، والسعادة المستدامة ، باقية لسيدنا ومولانا الخليفة الامام المؤمن بالله تعالى المرتضى لامره جل وعلا ، أمير المؤمنين أبي حفص [2] ابن سيدنا ومولانا الامير الظاهر أبي إبرهيم بن سيدنا ومولانا الخليفتين الامامين أمير المؤمنين المنتخب من صفوة أنجاله ، السالك مسلكه القيم في كافة أحواله ، أسنى الخلائف قدرا ، وأسماهم ذكرا ، وأقسطهم حكما، وأوسعهم علما ، ونظم في سمط ملكه كافة المشارق والمغارب ، وأبقاه للايمان غضبا مرهف [3] الغراربن ماضي المضارب ، تركز [4] رايته المنصورة في أقصى البسيطة (وترفع) [5] ويذاد بها من ناوأ الحق ويدفع، وهو سبحانه يديم اتصال هذه الكلمة له ولاعقابه الكرام، ويمدهم بالنصر العزيز والفتح المستدام بمنه .

1) في الاصل : وقسم .

2) هو الخليفة الموحدي الثاني عشر أبو حفص عمر المرتضى بن أبي إبرهيم إسحاق بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ولي الخلافة سنة 646 ، وتوفي قتيلا سنة 665 .

3) في الاصل : مرهب .

4) في الاصل : تركن .

5) إضافة يقتضيها ما يجري عليه المؤلف هنا من التزام السجع .

أخبار الاندلس في هذه السنة :

فيها ولي الزراجنة تيكلمت [1] قرطبة : وفيها قتل .

وفيها غزا الحشمي ينتان بن علي [2] القومس غشتون [3] زعيم النصارى فقتل الزعيم ، وحمل رأسه إلى مراكش فطيف به .

1) لسنا نعرف عن أبي زيد تيكلمت هذا إلا ما أمدنا بـه ابن القطان ، وقـد سبق أن ذكر في أحداث سنة 522 أن عامل المرابطين على إشبيلية أجـداي قـد استخلف تيكلمت على قرطبة ، ولهذا فإن من الغريب أن يقول هنـا إنه ولى قرطبـة في هذه السنة ، إلا إذا كان معنى قوله السابق أن استخلافه في سنـة 522 لـم يكن قد تم بصفة فعلية وإنما كان بصورة مؤقتة .

2) في الاصل : بنتان بن علي ، والصـواب ما ذكرنا ، وهو أبو يعقـوب ينتان ابن علي بن يوسف بن تاشفين ، أصغر أبناء علي بن يوسف على ما يذكر صاحب الحلل الموشية (ص 68 حيث ورد الاسم في النص « بنتيان ») وابن عذارى (البيان ـ القسم الموحدي ص 25) ، والاخبار التي نعرفها عنه قليلة ، ويرجع الفضل فيها إلى الجزء المخطوط الخاص بالمرابطين من البيان المغرب . ومجمل ما فيه أن ينتان هذا ولي عمل بلنسية في سنة 524 (1130 م.)خلفا لمحمد بن يوسف المعروف باسم يدر الذي توفي في هذه السنة ، وفي سنة 527 (1133) نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وستة أشهر من شوال 527 حتى صفر 529 (من أغسطس 1133 حتى نوفمبر / ديسمبر 1134) ، واشترك أثناء حكمه لإشبيلية في الحملة التي قادها أخوه تاشفين إلى عقبـة البقر ؛ وقد ذكـر اسمه أيضا صاحب كتاب « مفاخـر البربر » (ص 72) في قائمـة ولاة بلنسيـة في عهد المرابطين وقال إنـه خلف عليها القائد يدر بن ورقـاء ، إلا أن صاحب المفاخر سماه القائد ينيتان بن علي . كذلك أشار ابن عذارى إلى تلك الغزوة التي وجههـا ينتان الى إسبانيا المسيحيـة (لعلها منطقة قطلونيـة) والتـي هـزم فيها القومس غشتون المذكـور هنا ، وقـد حـدد تاريـخ ذلـك بجمادى الثانيـة سنـة 524 (مايو / يونيه 1130) . انظـر مقال أويثي : علي بن يوسف وأعمالـه بالاندلـس ص 106 ، 109 ، 113) .

3) في الاصل : يخشتون ، والصواب ما ذكرنا وهو الذي تذكره المراجع المسيحية باسم الكونت Conde Gastón de Bearne وكـان ينتا ابن علي قـد هـزم الجيـوش

وغزا الحشمي تاشفين بن علي بن يوسف صاحب غرناطة حصن السكة [1] ، فافتتحه * وقتل كل من فيه من النصارى وأسر [2] بعضهم . (67 ب)

المسيحية التي كان يقودها هذا القومس وأسقف مدينة وشقة Huesca ؛ وهو غير غشتون الذي كان من أصحاب الربرتير وتاشفين بن علي أثناء قتالهما للموحدين بعد إيقاع عبد المؤمن بقبيلة جزولة (انظر عن غشتون هذا البيذق : أخبار المهدي ص 96) .

1) غزوة تاشفين لحصن السكة معروفة في المراجع التاريخية الاسلامية والمسيحية على السواء ، وقد فصل الحديث عنها ابن الخطيب في « الإحاطة » (ط . محب الدين الخطيب 1 / 282 ؛ وط . عنان 1 / 459) ، إذ قال إن تاشفين بن علي بن يوسف خرج في رمضان سنة 524 بجيش غرناطة ومطوعتها - وكان عاملا على هذه المنطقة - واتصل به جيش قرطبة ، فتوجه إلى حصن السكة من أعمال طليطلة ، وكان قائده القومس فرند قد ألحق كثيرا من الاذى بالمسلمين ، فافتتح تاشفين الحصن عنوة وقتل من كان به وحمل قائده فرند وجملة من فرسانه أسرى معه إلى غرناطة . وتتفق المراجع المسيحية مع المصادر العربية في ذلك ، إذ ورد في « الحوليات الطليطلة Anales Toledanos » أن تاشفين هاجم هذا الحصن الذي كان النصارى يسمونه Ceca أو Azeca (حصن السكة) وأسر قائده المعروف باسم Tello Fernández (فرند المذكور في الاحاطة) وكان محاربا أصله من شلطانية Saldaña (في شمال إسبانيا) ؛ كذلك جاء في « حوليات ألفونسو السابع Crónica de Alfonso VII » أن تاشفين حطم هذا الحصن حتى سواه بالارض وأن قتلى النصارى في هذه الوقعة قد بلغ عددهم ثلاثمائة ، وأن تاشفين حمل فرند المذكور مع جماعة من أصحابه إلى قرطبة ، ثم أجازهم البحر الى مراكش للخدمة في حاضرة المرابطين (انظر بحث الاستاذ فرانسسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » في مجموعة « دراسات نقدية حول التاريخ الاندلسي » ، ط . مدريد 1917 ، المجلد التاسع ص 125 - 126) .

2) في الاصل : وأسرى .

أخبار الغرب وما والاه :

فيها ولي الزراجنة عمر بن علي بن يوسف فاس [1] ، فجار في ولايته فعزل: وولي يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت [2] ، ابن أخت علي بن يوسف وهو الوالي بتلمسان وما وراءها من طاعة الملثمين ، فاستناب [3] بفاس موسي بن أبي هارون .

وفي هذه السنة كان القحط والوباء بفاس .

1) سبق لابن القطان أن ذكر ولاية عمر بن علي بن يوسف على فاس في أخبار سنة 523 قائلا انه خلف عليها اخاه تميم بن علي بن يوسف (انظر ص 112 ، حاشية رقم 7) ، ولا ندري ان كان عمر المذكور هنا هو نفسه المتقدم ذكره أو أنه أخ له كان سميا له ، اذ أننا نعلم مما نص عليه ابن عذارى في البيان (القسم الموحدي ص 25) أن علي بن يوسف كان له ولدان يسميان عمر : أحدهما الكبير ، والآخر الصغير .

2) هو أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن ابرهيم المسوفي ، وأبوه أبو بكر بن ابرهيم هو المعروف بابن تيفلويت ابن عم علي بن يوسف بن تاشفين وكان مسكنه الصحراء ثم وفد على علي بن يوسف فزوجه من أخته وولاه على مرسية ثم بلنسية خلفا لابن الحاج ثم على سرقسطة ، وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم الفيلسوف ابن باجة السرقسطي ، وكانت وفاته سنة 510 بسرقسطة ؛ أما ابنه أبو زكريا يحيى المذكور هنا فإنه هو الذي أطلق عليه أيضا اسم ابن فنو أو فانوا كما سيأتي في نظم الجمان نفسه وذلك نسبة إلى أمه بنت يوسف بن تاشفين وأخت علي بن يوسف ، وولي يحيى بن فانو هذا عمل تلمسان كما ينص على ذلك المؤلف هنا ، وهو الذي كان عاملا على تلمسان حينما دخلها محمد بن تومرت المهدي ، فاجتمع به في خبر يقصه علينا البيذق (أخبار المهدي ص 62) ، وكان ليحيى هذا أخ يدعى علي بن أبي بكر كان عاملا على غرناطة للملثمين في سنة 539 (انظر الحلة السيراء لابن الأبار ط . دوزي - ص 208 وما بعدها ، وله ابن يدعى محمدا اشترك في الحروب الدائرة بين المرابطين والموحدين في المغرب على ما سيذكر ابن القطان (انظر الإحاطة- ط. عنان - 1 / 412 ؛ وبحث الاستاذ فرانسسكو كوديرا عن بني تاشفين ص 114 - 116).

3) في الاصل : فاستناف .

أخبار إفريقية وما إليها :

صاحبها في هذه السنة حسن بن علي بن يحيى بن تميم على ما كان عليـه ؛ وصاحب بجاية (يحيى)[1] بـن العزيز بالله ووزيـره ميمون بن حمدون : وبالمهدية (الحسن بن علي)[2] .

1) الزيادة عن البيان المغرب 1 / 311 .

2) زيادة يقتضيها السياق وتطابق التاريخ ، اذ أن الحسن بن علي ظل يحكم هذه المنطقة حتى سنة 543 .

أخبار مصر في هـذه السنة :

كـان بمصر في هذه السنة الآمر على ما تقدم ذكره، وفي هذه السنة مات على قول [1] .

وصفة مقتله ـ وكان جبارا عنيدا ـ أنـه لما أستبد بـالوزارة الغـلام الذي اسمه « حرز الملوك [2] » قتـل مولاه الـآمر ، وقد كان الآمـر ولي عهده أبا الميمون عبد المجيد المنتصر بالله تعالى [3] ، وكـان صغير السن فجاء الناس يهنون حرز الملوك بإبقائه على الحجابة ، وقـد كان أراد أن يستبد بالامر ، إلا أن أبا العباس [4] ابن الافضل أبى ذلـك ، فأخرج حـرز الملوك الدنانير . وأعطى العسكرية ، وأشار عليه * أنـه يمضى للموت ، (68 أ) فأراد الرجوع، فقالت له طائفة من العسكر: إلى أين ترجع ؟ أنت حاجتنا !

1) هذا القول هو الصحيح ، إذ أن الـآمر قتل كمـا هو معروف في الثاني من ذي القعدة سنة 524 (انظر المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة سنة 1948 ـ الملحق الحادي عشر عن الخلفاء الفاطميين) ، وكان قد ولي الخلافة في التاسع من صفر سنة 495 .

2) سبـق أن ذكر ابن القطان خبر هـذا الغلام (انظر ص 101 وتعليقنا على النص في الحاشية رقم 2) ، وقد علقنا من قبل على اختلاف المؤرخين في اسمـه إذ يكتبه المقريزي « هزار الملوك برغوارد » وابن تغرى بردي « هزبر الملوك جوامرد»، أما ابن عذارى فإنه اتبع ما أثبته ابن القطان هنا (البيان المغرب 1 / 311) .

3) لم يكن من صغر السن بحيث يتصور قارئ النص ، فقد كانت مـن عبد المجيد في ذلك الوقت ستا أو سبعا وعشرين سنة إذ أنه ولد في المحرم سنة 497 أو 498 (الخطط 2 / 172) .

4) كـذا ، وكنيته لدى سائـر المؤرخين المشارقـة « أبو علي » واسمه أحمـد ، هذا وقد أشار المقريزي في إيجاز إلى الاحداث التي يتحدث عنها ابـن القطان هنا (انظر الخطط 2 / 172) ، وراجع كذلك ابن الاثير : الكامل 8 / 332 ؛ وابن خلكان : وفيات الاعيان .

فقال لهم : لا تفعلوا يا قوم ، ما عندي مال . قالوا له : ما نريد منك مـالا . ونادوا بأصحاب الافضل ، فتكاثر الناس عليه، وساروا به للقصر .

فلما رأى حرز الملوك ما فعل الناس أقفل باب القصر، فأرادوا كسره وإحراقه . فأخرج لهم عبد نجيب رأسه ، وقال لهم : يا قوم ، ما تريدون ؟ قالوا : رأس حرز الملوك ! فأمر بقطع رأسه ورمى به إليهم .

وقال عبد المجيد لابي العباس ابن الافضل : قدمتك للحجابة مكانه [1] فقال له : ما أريد تقديمك . الله قدمني والعسكرية ! أعطني عشرة توابيت مالا ، فأعطاها إياه ، فأعطى الفارس خمسين مثقالا ، والراجل ثلاثين : فلما تمت قال : زدني . فزاده عشرة أخرى ، ففرقها . وما زال يفرق عشرة في عشرة حتى كملت ثمانون تابوتا .

وقد كان الآمر [2] يقول : أما أنا فمقتول . ويلي الامر بعـدي أبـو العباس ابن الافضل ، فإن تم له العام وهو في الامر ففيه يبقى حتى يموت وإن مات قبل العام فهو الذي رأينا في كتابنا !

فمكث تسعـة أشهر وأياما ، وقبض على عبد المجيد وثقفـه ، وسأل : هـل في القصر صبي من أبناء الآمر والمستعلى ؟ فقيل له : لا ، إلا امـرأة حامل . فجعـل أبو العباس* يقـول للناس : إن الإمام يولد الآن ! وقطـع (68 ب) الخطبة والأمر عن عبد المجيد ، وجعل يدعـو للأمير [3] المنتظر ، وادعى أنه وصله كتاب محمد بن الحنفية وأنه خرج ؛ وكـان يقول : أنا النـائب

---

1) ذكر المقريزي في الخطط (2 / 172) أن ابن الافضل استبد بالوزارة في 16 من ذي القعدة سنة 524 .

2) في الاصل : الأمير .

3) في الاصل : للأمر .

عنه ، وكان يخطب لنفسه « النائب [1] عن الإمام ، أبو العباس أمير الجيوش سيف الإسلام » ، فبقى كذلك إلى أن تم له عام كامل . فتحيل عبد المجيد ، وأغرى [2] العسكرية به فقتلوه [3] .

وظهر عبد المجيد ، وتلقب بالحافظ لدين الله ، وقدم للحجابة [4] شخصا نصرانيا يعرف بالاسقف [5] ، فجعل يعلن بالكفر فى الاسواق ويدعو إلى عبادة عبد المجيد ، فوجهه للصعيد . فأراد القيام عليه والانتصار بالحبشة النصارى ، فاستعمل شمعا عدتها اثنتا عشرة [6] شمعة ، فى كل شمعة الف دينار ، فنمى الخبر إلى عبد المجيد ، فخرج إلى نزهة . ورجع فى طريقه على الاسقف ، فوجده فى كنيسته والشمع عنده ، فسأله عنها ، وذكر له أن بعض القبط يبعثها إلى الكنيسة العظمى ، فطلب منه بعضها . فحملت بين يديه ، فأمر بكسرها ، فوجد فيها المال ، فاستقره ، فأقر [7] وطلب منه

1) في الاصل : النائم .

2) في الاصل : وأغوى .

3) ذكر المقريزي أن مقتل « أبى علي » بن الافضل كان في 16 من المحرم سنة 526 وأن الحافظ أخرج يومئذ من معتقله ، فاتخذ هذا اليوم عيداً سماه « يوم النصر » ، وصار يعمل كل سنة .

4) فى الاصل : للمجابة .

5) ذكر المقريزي أن الحافظ قدم للوزارة بعد مقتل أبي علي ابن الافضل يانس صاحب الباب ، فظل عليها حتى مات في ذي الحجة سنة 524 بعد تسعة أشهر، فلم يستوزر أحدا ، وتولى الامور بنفسه إلى سنة 528 ، فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير ، فتوفي بعد شهرين ، فجعل مكانه ابنه حيدرة مما أدى إلى حسد ابنه الآخر حسن له وثورته على أبيه ، إلا أنه قتل بعد ذلك ، وولي حينئذ على الوزارة بهرام الارمني النصراني في جمادى الآخرة سنة 529 ، وهو الذي يذكره ابن القطان هنا باسم « الاسقف » .

6) في الاصل : اثنا عشر .

7) في الاصل : فأمن .

العفو ، فلم يعفه ، وأمر بعذابـه إلى أن مات . وخرج عبد المجيد لرؤيـة الخليج ، فأمر به* فصير على لوح ، وأرسل فى التيار [1] فحمله [2] . (69 أ)

وكان لعبد المجيد ولد ، وقيل ابـن عم ، اسمه حسن [3] ، فجعل يستميل العسكرية ويعطيهم الاموال ، ويقول لهم : إن عبد المجيد لا يصلح للأمر . وأنا أفعل معكـم وأصنع ، ويعدهم ويمنيهم ، فقاموا على عبد المجيد حاملين [4] ، فلما استوسق الامر لحسن أخذ فى قتل رؤساء الاجناد، فقاموا عليه في شهر رجب من سنـة ثمان وعشرين وخمسمائـة ، وزحفوا إليـه بالسلاح ، فهرب من داره ، ودخل فى دار عبد المجيد ، فصاحوا : أخرجه لنا ، وإلا جعلناه عليك نارا ! وجاءوا بالحطب والنـار . فقال عبد المجيد لحسن : أخرج رأسك ، وانظر الى مـا أحدثت . فأخرج رأسه فرأى أمة لا

---

1) في الاصل التيان .

2) ما ذكر هنا عن مقتل « الاسقف النصراني » بهرام الارمنى يختلف عما أورده المقريزي ، إذ أنه يذكر أن الذي قام بالايقاع به إنما هو رضوان بن ولخشي الذي كان متولي الغربية ، فقد جمع الناس لحرب بهـرام وسار إلى القاهرة ، فدخلها وقتل بهرام واضطلع بالوزارة سنة 531 (الخطط 2 / 172 ـ 173) .

3) هو ولده كما ذكر المقريزي ، وهو الذي ثار على أبيه الحافظ ، وقد فصل المقريزي خبر ثورته في الخطط (3 / 27 ـ 29) ، وفيـه يذكر أن حسنا شق عليه تولى أخيه حيدرة لعهد أبيه الحافظ واضطلاعه بوزارته ، فسعى فى نقض ذلك بالايقاع بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانيـة ، فحاول أبوه الحافظ مداراته وتدارك أمـره وكتب له بولاية العهد ، فلم يزده ذلك إلا جرأة على أبيه ، وحينئذ بعث الحافظ إلى بلاد الصعيد يستنجد بعساكر الريحانيـة ، وأفسد حسن أمره فى هـذه الاثناء بالإساءة إلى أعيان الامراء والاجناد ، فأجمعوا على قتلـه وشددوا الحصار عليه ، فلجأ إلى قصر أبيه ، وقيده هذا ، ثم أرغمه الجند على أن يقتله ، فتولى ذلك له الطبيب ابن قرفـة النصر في أعد له سقية قاتلة .

4) في الاصل : حاملا .

تحصى ، فلما أيقن [1] بالهلاك قال له عبد المجيد : إن قبضوا عليك عبثوا فيك وعذبوك ، وتكون وصمة عظيمة بهذه البيتة التي نحن منها ، ولكن اشرب السم تسترح ويسترح منك ! وأعطاه سما ، فشربه فمات من حينه ، فغسله وكفنه ، فأخرجه لهم ، فحملوه وصلوا عليه ودفنوه ؛ وبقى عبد المجيد إلى أن توفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

فانظر إلى هذه المحاولات الشنيعة ، والامور الفظيعة : [2] قتل الآمر حرز الملوك ، وقتله ، واستيلاء ابن الافضل وقتله ، وظهور عبد المجيد ،* (69 ب) وما كان من الاسقف من الكفر والامر بعبادة عبد المجيد ثم قتله ، ثم استيلاء حسن بن عبد المجيد ـ أو ابن عمه ـ والقيام عليه إلى أن قتل نفسه بسم ، ورجوع عبد المجيد إلى الولاية ؛ كل تلك الامور على نسقها إلى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة يبين لك من ذلك ما كان في الارض من ظلمات المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضي الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى ، واتساق كلمة الامر المطاع العالي ، المخصوص بالمكارم والمعالي ؛ فتحقق بذلك [3] صدق البشارة النبوية الكريمة بهذه الخلافة المهدية القويمة القائمة بأمر الله تعالى وإحياء كلمته ، وإعلاء الحق وهداية أمته . وكم برهان قاطع ، ودليل ساطع ، أبرزه الوجود . فتحصل منه العلم اليقين المقصود ، والحمد لله رب العالمين ، والله سبحانه يعلي مناره ، ويديم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضياءه [4] وأنواره ، إلى يوم الدين .

1) في الاصل : يقن .
2) في الاصل : الفضيعة .
3) في الاصل : ذلك .
4) في الاصل : ضياؤه .

أخبار العراق في هذه السنة :

لا أدري من أمرها غير أن العباسي فيها* هو المسترشد على ما ذكر (70 أ) في سنة ولايته .

باب

في ذكر أنباء سنة خمس وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله في هذه السنة فإنهم كانوا وادعين بتينملل . [1] ولوفاة الامام المهدي رضي الله تعالى عنه كاتمين .

وأما أخبار غيرهم في هذه السنة ففيها ولى قرطبة الزراجنة ابن أخي علي بن يوسف : عبد الله بن أبى بكر المعروف بابن قنونة [2] .

ووقعت النار بسوق الكتانين بقرطبة ، واتصلت بسوق البز ، فاخترقت أموال الناس .

---

1) يتفق هذا مع ما يذكره سائر مؤرخي الدولة الموحدية من سكون الموحدين خلال هذه السنة .

2) في الاصل : فنونة ، أبو محمد عبد الله بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف باسم ابن قنونة أو ابن جنونة كما سماه صاحب « مفاخر البربر » ، وقنونة اسم أمه ، ويسميه ابن عذارى في البيان المغرب (القسم المرابطي) أبا عبد الله بن تنجمار (أو إنجمار) ، ولى على قرطبة في السنة التي يذكرها ابن القطان وعزل عنها في سنة 526 ثم سجن لشكايات ترددت منه (انظر بحث أويثي عن علي بن يوسف ص 111 ؛ ومفاخر البربر ص 82) .

ورجم الناس ابن المناصف [1] بسبب المعونة [2] .

والعباس في هذه السنة المسترشد كما كان .

---

1) يعني قاضي الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ الازدي المعروف بابن المناصف المتوفى سنة 536 ، وقد سبق التعريف به من قبل بمناسبة إيراد ابن القطان خبراً عن ولايته قضاء الجماعة بقرطبة سنة 522 (انظر ص 106 ، حاشية رقم 3) ، وقد جاء الاسم هناك خطأ « عبد الله بن محمد بن أصبغ » .

2) في ألاصل : نسبت المعونة ، ولعلها كما أصلحنا ، ونرجح أن المؤلف يعنى بلفظ « المعونة » هنا ما جرت العادة به في الاندلس من وجوب اضطلاع أهل كل حي في المدينة بإصلاح أسوار الجهة التي يسكنونها ، فقد ذكر ابن عذاري في البيان المغرب (القسم المرابطي ، ورقة 33) أن العمل في إصلاح أسوار قرطبة بدأ في سنة 520 ، ولعل القاضي ابن المناصف أخذ الناس ببعض الشدة في ذلك مما أدى إلى ثورة أهل قرطبة عليه ورجمهم إياه ، بل ربما كان ذلك هو السبب الذي أدى إلى عزله بعد ذلك بسنتين (في سنة 528) على ما سيذكر ابن القطان بعد .

بـاب

فى ذكـر أنباء سنة ست وعشرين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله :

في هذه السنة فتحت تاسغيموت [1] .

وفي هذه السنة أيضا فتحت درعة وتادلا على قول [2]

وفي هذه السنة وحد الفلاكي؛ [3] وشرح حديله أنه رجل كان من ذعار

---

1) فى الاصل : تاسقيموت ، والتصويب عن كتاب البيذق (أخبار المهدي ص 131) ، إلا أن هذا يجعل فتح الحصن المذكور لا فى هذه السنة وإنما فى سنة 517 ونسب البيذق هذه الغزوة إلى عبد الرحمن بن زجو (ص 84) ، وقال إن حصن تاسغيموت كان من بين الحصون التي بناها المرابطون من أجل ضرب الحصار على الموحدين والتضييق عليهم وإن الذي بناه هو ميمون بن ياسين ، وكان فيه القائد أبو بكر ابن اللمطي بمائتي فارس وخمسمائة راجل من قبيلة هزرجة وإن عبد الرحمن ابن زجو وجنود الموحدين اقتحموه وقلعوا أبوابه وحملوها الىتينمليل فجعلوها على باب الفخارين (ص 128) . كذلك قتلوا فى الحصن ابن وزروال الذي كان من قواد المرابطين به (ص 131) ؛ وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الغزوة إشارة موجزة، الا أن الاسم ورد هناك محرفا إلى « تاسعون» (وانظر كذلك عن هذه الغزوة كتاب اويثي تاريخ 1 / 106 ـ 107) . وعن تاسغيموت وما بقى من أطلالها انظر بحث الاستاذين هنري تيراس وهنري باسيه عن « المشاهد والقلاع الموحدية » ـ مجلة إسبريس سنة 1927 .

2) من بين من قال بذلك من المؤرخين ابن خلدون (العبر 6 / 229) إذ أنه يجعل فتح درعة وتادلا في سنة 526 ، وسيتحدث ابن القطان عن غزوة تادلا مرة أخرى في سنة 530 .

3) فى الاصل : الملكان ، وهو تحريف لما أثبتنا ، ، وقد سبق لابن القطان ان تحدث عن الفلاكي الاندلسى هذا وعلقنا على ذلك فى موضعه (ص 85 ، حاشية 4) ، والخبر الذي ذكره ابن القطان هنا عن توحيد الفلاكي ساقه أيضا البيذق (أخبار المهدي ص 88) . (وانظر أويثي : تاريخ 1 / 107 ـ 108).

إشبيلية وفتاكها وقطاع الطريق، ثم تاب عن ذلك وصفح عنه والي إشبيلية وقدمه على الرماة والرجالة ، ثم وصل لعلي بن يوسف ، فأحسن إليه وقدمه* على حصة ، ووجهه إلى السوس قائداً عنه لمكافحة الموحدين (70 ب) أعزهم الله تعالى ، ووالي السوس حينئذ وانوودين بن سير [1]. فواصل الفلاكي [2] الضرب على الموحين ، مجتهداً في خدمة الزراجنة ، ثم انفسد ما بينه وبين علي بن يوسف ، وهداه الله تعالى فوحد ، وصار يفعل في حصون لمتونة وبلادهم مثلما كان يفعل لهم، وظهرت نصيحته للموحدين أعزهم الله تعالى ، وألحفوه [3] ملاءة كرامتهم وجاههم ، واستفتح لهم حصونا في السوس ، ولم يزل في خدمتهم إلى أن ارتد بعد هذا .

---

1) في الاصل : أبو دين . . . ، وهو تحريف ، وقد سبق أن علقنا على اسم هذا القائد (انظر ص 118، حاشية 5) .

2) في الاصل : الملكان ، وهو تحريف لما أثبتنا ، وقد سبق لابن القطان ان تحدث عن الفلاكي الاندلسي هذا وعلقنا على ذلك في موضعه (ص 85 ، حاشية 4) والخبر الذي ذكره ابن القطان هنا عن توحيد الفلاكي ساقه أيضا البيذق (أخبار المهدي ص 88) . (وانظر أويثي : تاريخ 1 / 107 ـ 108) .

3) في الاصل : وأتحفوه .

وصفة فتح تاسغيموت [1]

وهو حصن مانع [2] مرتب على الجبل. وكان له باب من حديد، وكان في الحصن هجيكة [3] من هزرجة يحرسونه ، فدبر معهم الموحدون أعزهم الله تعالى كيفية فتحه ، وأن يمكنوهم منه ليلا ، فكان ذلك ، فأحرق الباب وقتل والي الحصن أبوبكر بن ورصوال [4] ، وقتل من فيها من الملثمين ، وحملت صفائح الحديد من بابها ، فركبت على تينملل شرفها الله تعالى ، وكانت هذه المحاولة المنجحة في أول هذا العام .

1) في الاصل : تاسقيموت .

2) كذا ، وهو يعني بلا شك « منيع » .

3) كذا ، وربما كانت كلمة بربرية بمعنى « حامية » .

4) هو الذي ذكره البيذق باسم « ابن وزروال » (أخبار المهدي ص 131) ، وجاء اسمه لدى ابن خلدون « أبو بكر بن مازر » (العبر 6 / 229) .

وصفة فتح درعة .

(71 أ) أن سيدنا ومولانا الخليفة أمير* المؤمنين رضى الله تعالى عنه توجه إليها ودخل حصن تازاجورت (1) ، وكان واليها يحيى بن مريم الزرجانى، فضربت عنقه ، وقتل فيها من شيع التجسيم نيف على عشرين ألفا ، وأخذت زوجة الوالى المذكور ميمونة بنت ينتان بن عمران ، وبقيت فى الجبل حتى افتك بها من كان فى تلمسان من رجال الموحدين أعزهم الله تعالى (2) .

1) كان ابن تومرت المهدي قد وجه قبل ذلك حملة إلى تازاجورت ، وهي غزوته الثامنة ، وكانت حينئذ بلا سور ، ففتحها وأسر من بها (البيذق ص 77) ، على أنه يبدو أن المرابطين استعادوها وسوروها حتى وجه إليها عبد المؤمن هذه الحملة وهي التي تحدث عنها البيذق كذلك (ص 85) . إلا أنه ذكر ان والى الحصن هو يدر بن ولجوط لا يحيى بن مريم كما يذكر ابن القطان . (وانظر كذلك أويثي تاريخ 1 / 110 - 111) .

2) هي ابنة ينتان بن عمران أو عمر كما يذكر البيذق ، وكان من كبار رجالات المرابطين ، وإليه يرجع الفضل في إطلاق سراح محمد بن تومرت من سجن علي بن يوسف بن تاشفين ، وذلك أن الفقيه مالك بن وهيب الإشبيلي كان قد حرض علي بن يوسف على تثقيف ابن تومرت بعد مجادلته افقهاء دولته ، فتشفع له ينتان بن عمران هذا وأبو بكر سير بن وربيل ، فقال ينتان : يا أمير المسلمين ، كيف تسجن رجلا يعرف الله ، وهو أعرف أهل الارض بالله ؟ (انظر تفاصيل القصة فى أخبار المهدي ص 67 - 69 ، وكذلك الحلل الموشية ص 83 ، ولو أنه يسميه « بنتيان ») ؛ على أن أول غزوة للمهدي وهي غزوة تاودزت كانت ضد الجيش المرابطي الذي كان يقوده ينتان هذا (أخبار المهدي ص 74) وقد أشار البيذق إلى بنت لهذا القائد اسمها تاماجونت لا ندري إن كانت هي نفسها ميمونة المذكورة هنا أم أختا لها ، إذ يقول إن عبد المؤمن بعد إحدى غزواته للسوس حمل معه عددا كبيرا من النساء يبلغ نحو أربعمائة من الاسيرات ، وكان فيهن تاماجونت المذكورة فقالت هذه لعبد المؤمن : أشفع والدي ينتان فى المهدي ؟ فقال لها : صدقت وأطلقها

وفي هذه السنة كان فتح جلاوة ، وذلك أنه توجه الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى [1] في آخرين من عظماء الموحدين أعزهم الله تعالى وحصة منهم إلى أوصليم [2] من بلاد جلاوة ، وهم المردة الذين كانوا جرحوا الامام المهدي رضي الله تعالى عنه ، [3] فدخلوه عنوة ، وقتل كل من فيه .

وفي هذه السنة كان فتح حصن هزرجة ، وذلك أنه تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه إلى الخميس ان يعب [4] إن وصروال من هزرجة ، فدخله وأحرقه ، وقتل الباغين أهله ، ودخل مدينة جشجال وأحرقها وقتل من فيها، ثم تحرك رضي الله تعالى عنه إلى داي مرة ثانية، ورد سرية إلى بلد هزرجة وهم غافلون، فقتلهم قتلا ذريعا.

ثم تحرك رضي الله تعالى (عنه) إلى أجلاحال من غجدامة [5] الجبل، وهم الذين قتلوا أبا محمد عطية مع عجوزته يوم العيد ، وكان من أصحاب الامام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فجمعهم الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وقتل منهم نيفا على ثلاثمائة رجل ، ثم أقبل إلى تينملل .

وفي هذه السنة وحد قبائل من هزرجة وهسكورة ، ثم ارتدوا .

وأطلق معها جميع النساء (ص 88) وحينما فتح عبد المؤمن فاس قتل أسرى المرابطين واستثنى منهم أبناء ينتان المذكور (ص 102) ؛ كذلك ذكر ابن عذارى في أخبار سنة 540 أن عمر بن ينتان وصل إلى عبد المؤمن فارا من أمير لمتونة فلقى من الكرامة ما لا مزيد عليه ثم ارتد ودخل فاس فلما فتحها عبد المؤمن حصل في يد الموحدين مع جملة من الناس ، فأمر بقتلهم وبقى هو معفوا عنه « لما تقدم من وصية المهدي على ذرية ينتان » (البيان المغرب ص 20) .

1) هو عمر الهنتاتي المعروف باسم « إينتي »

2) في الاصل: أو صيلم، وقد سبقت الاشارة إلى هذا الحصن (ص 93 ، حاشية1).

3) هذه الغزوة التي يشير إليها فى النص هي التي قام بها المهدي سنة 522 وجرح فيها .

4) كذا وردت هذه الكلمات الثلاث في الاصل ، ولم نهتد إلى وجه فى تأويلها

5) في الاصل : غجراية ، وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم .

أخبار الاندلس وغيرها في هذه السنة :

فيها اشتدت المجاعة والوباء بالناس بقرطبة . وكثر الموتى ، وبلغ مد القمح خمسة عشر دينارا ، وكثر الشر وابن قنونة [1] الزرجاني لا يفتر ولا يني [2] عن قتل أهله .

وضربت خيل النصارى على قرى إشبيلية من جهة حصن القليعة ، فأوسعتها غارة وسبيا وقتلا ونهبا ، ثم أغارت خيل النصارى على قرى إشبيلية ثانيا ، واقتحمت الشرف . والناس على غرة وغفلة ، فقتلت منهم عالما لا يحصى ، وأسرت من النساء والولدان ما يعجز وصفه [3] . وقربت النصارى من إشبيلية ، فطارت الهيعة فيها ، فجزع الناس ، وخرج إلى إشبيلية عمر بن مقوز [4] على وجه الاستظهار مع من خف من الملثمين

---

1) هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الذي سبق أن أشرنا إليه عند ذكر ولايته على قرطبة .

2) في الاصل : يأتي .

3) كان ذلك في المعركة التي تطلق المراجع المسيحية عليها اسم Azareda فى شرف إشبيلية Ajarafe في رجب سنة 526 (مايو - يونيه 1132) . انظر أويثي : علي بن يوسف . . . ص 107 .

4) في الاصل : مقرو ، ولعل الصواب ما أثبتنا وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم بمناسبة الكلام عن احد أفراد هذه الاسرة وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج المعروف بابن مقور أو مجوز (انظر ص 110، حاشية 1) ، أما ابن مقوز المذكور هنا فهو أخو يحيى بن علي المشار اليه فى الموضع السابق ، واسمه عمر بن علي ابن الحاج ، ولي إشبيلية سنة 524 واستشهد في معركة Azareda في شرف إشبيلية سنة 526 ؛ وقد ترجم لهذا القائد ابن عبد الملك المراكشي فى كتاب «الذيل والتكملة» (مخطوط الاسكوريال رقم 1682 ، ورقة 26 ب) واسمه فى كتاب الذيل « عمر بن مقوز » أما ابن الخطيب فإنه ذكره باسم ابي حفص عمر بن علي بن الحاج وقال إنه استشهد فى تلك الغزوة التي شنها النصارى على إشبيلية (الاحاطة - ط . عنان 1 / 460) وقد ظن الباحث فرانسسكو كوديرا عند ما رأى اختلاف الاسم أنهما شخصان مختلفان ، بينما الحقيقة أنهما اسمان لشخص واحد (انظر بحثه عن « أسرة بني تاشفين » ص 132) .

وسرعان الناس، فلقيته خيل النصارى وهاجمته، فنكص فارا، فأدرك فقتل وقتل معه جماعة من المسلمين، وغلقت أبواب* إشبيلية، ودهش الناس، (72 أ) ثم رجع النصارى - دمرهم اللـه تعالى - إلى بلادهم بعد نكاية عظيمة فـي الملثمين. (1)

وفي هذه السنة أيضا ضربت النصارى على جهـة يابرة، فعمد إليهم تاشفين. وهو إذ ذاك صاحب غرناطة وابن قنونة، وكان صاحب قرطبة، فالتقوا معهم فهزموا هم النصارى وقتلوهم وأنقذوا الغنيمة (2).

---

1) أورد ابن الخطيب نبأ مهاجمة النصارى لاشبيليـة وإيقاعهم بالمسلميـن فيها فقال إنهم هاجموا إشبيلية في آخر سنة 526، فصبحوها في النصف من رجب وبرز لهم عمر بن علي بن الحاج في نفر من المسلمين فاستشهد جميعهم، ونزل العـدو على فرسخين من المدينة فجللها نهبا وغارة. (الاحاطة - ط. عنان 1 / 459 - 460)، وتشير المراجع المسيحية أيضا إلى هذه الغزوة، فقد جـاء في حوليات ألفونسو السابع » Crónica de Alfonso VII أن قائد جيوش طليطلة والمكلف بقتـال المسلميـن في منطقة غرب الاندلس (Extremadura) وكـان يدعى رودريجو جونثالث Rogodri Gonzáles هاجم اشبيلية، فخرج له أميرها المسلم، والتحمت بينهما معركـة عنيفة قتل فيها هذا الامير وكـثير من رجاله، وعاد رودريجو جونثالث محمـلا بالغنائـم. وتنـص الحوليات الطليطلية Anales Toledanos على اقتحام رودريجـو جونثالث هنـا شرف اشبيلية وقتاله للمسلمين بها وانتصاره على اميرها الذي تسميه « عمر » (أي ابـن الحاج المذكور) وقتله اياه في معركـة Azareda التي سبقت الاشارة اليها وذلـك في سنة 1130 م. (انظر بحث فرانسسكو كوديرا : أسرة بني تاشفين ص 130 - 13؟).

2) تحدث ابن الخطيب وصاحب الحلل الموشية عـن غزوة تاشفين هـذه عقب كلامه عن مهاجمة النصارى لإشبيلية (الإحاطة - ط. محب الدين الخطيب 1 / 283 ؛ وط. عنان 1 / 460 - 461 ؛ والحلـل ص 100 - 101)، فذكر ابن الخطيب أن خبـر غزو النصارى الإشبيلية لم يبلغ تاشفين حتي خف بأعقاب النصارى متبعا لهم، فأدركهم عند فـلاة بقرب الزلاقة، وكـان النصارى قد قصـدوا بطليوس Badajoz وباجة Beja ويابرة Evora، فـدارت المعركـة هناك، وهيأ اللـه لتاشفين انتصارا عظيما استؤصـل

ولما رجع تاشفين من هذه الغزوة وافاه كتاب علي بن يوسف بولاية قرطبة وغرناطة وإشبيلية [1]، وعزل عبد الله بن قنونه عن قرطبة وسير إلى إشبيلية فسجن فيها، ودخل تاشفين قرطبة واليا في شعبان [2].

وأكلت الجراد زرع قرطبة.

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد على ما كان عليه

فيه الجيش النصراني، وعاد تاشفين ظافرا إلى بلده في جمادى من هذا العام أي 526. كذلك أشارت بعض المراجع النصرانية إلى تلك الغزوة، فقد جاء في حوليات ألفونسو السابع عقب الحديث عن مهاجمة النصارى الإشبيلية أن نفرا من قادة شلمنقة Salamanca حينما علموا بنبأ مهاجمة رودريجو جونثالث لإشبيلية وانتصاره على المسلمين فيها ألقى ذلك في نفوسهم الامل وقوى عزيمتهم على مهاجمة بطليوس، وكان تاشفين حينما علم بنبأ مقتل ابن الحاج أمير إشبيلية قد جمع جيشا كبيرا وتوجه إلى لقاء نصارى شلمنقة، فالتحمت بين الفريقين معركة مزق فيها الجيش المسيحي ولم ينج منه إلا نفر قليل، وعاد تاشفين إلى قرطبة ظافرا، وتضيف الحوليات إلى ذلك أن مثل هذه الكارثة قد حل بالنصارى بعد ذلك ثلاث مرات متوالية (انظر كوديرا: أسرة بني تاشفين ص 132 ـ 135).

1) يختلف هذا عما جاء في الإحاطة ـ ط. عنان 1 / 454 (نقلا عن عبد الملك الوراق) إذ ذكر هناك أن علي بن يوسف ولي ابنه تاشفين على غرناطة والمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده سنة 522؛ ولو أن قوله «ثم قرطبة» قد يدل على أن ولايته إياها كانت متأخرة بعض الشيء مما يحتمل معه أن يكون ذلك قد تم في السنة التي يذكرها ابن القطان.

2) يتفق ابن عذارى مع ابن القطان في هذا التاريخ إذ يحدد تعيينه على قرطبة إلى جانب ما كان تحت يده من بلاد الاندلس في 20 رجب سنة 526 (6 يونية 1132). انظر أويثي: علي بن يوسف ص 111).

بـــاب

في ذكر أنباء سنة سبع وعشرين وخمسمائة

أما الموحدون أعزهم الله تعالى فلا أعرف لهم في هذه السنة حركة.

وأمـا أخبار غيرهم ففي هذه السنة خـرج السليطـن النصرانـي الطاغية [1] وابن هود [2] إلى بلد المسلمين، فهبطوا إلى إشبلية، وانبسطت خيلهم واقتحمت [3] ما وجدت، ثم هبطوا إلى شريس فدخلوها وقتلوا من وجدوا فيها واستباحوا وبالغوا في نكاية المسلمين، ثم رجعوا إلى بلادهم.

---

1) من الواضح أنه يعني به ألفونسو السابـع ملك قشتالة ما بيـن سنتي 1126 و 1137 م . (520 ـ 531 هـ .) وإنما يسميه ابن القطان « السليطين » لانه اتخذ لقب « امبراطور Emperador » فى سنة 1135 م . (529) ، أما عن اشتراك ألفونسو السابع بنفسه فى تلك الغزوة فإنه لا المراجع المسيحية ولا المراجع العربية الاخرى تؤكد ذلك فى صراحة ، وهو خبر ينفرد به ابن القطان .

2) في الاصل : الطاغية بن هود ، هذا ونلاحظ كذلك أن ابن القطـان هو المؤرخ الوحيد الذي يشير الى اشتراك ابن هود مع القشتاليين في تلك الغزوة الموجهة إلى إشبيلية وشريس Jerez ، ولا شك أنه يعني سيف الدولة أحمد المستنصر بن عماد الدولة عبد الملك بن المستعين أحمد بن المؤتمن يوسف بن المقتدر أحمد بن سليمان بن أحمد بن هود ، وهـو من سلالـة بني هـود ملوك سرقسطة في عهـد الطوائف ، وكان ابن هود هـذا هو صاحب قلعـة روطة Rueda من عمل مدينـة تطيلة Tudela بالثغر الاعلى ، ولكنه لم يستطع الاستقرار بها ، فسلمها للنصارى واشترك فى الفتـن التي أثيرت على المرابطين فـى الاندلس ، فاستولى على قرطبة زمنا فى سنـة 539 عند ما ثار ابن قسى على الملثمين ، ثم ملك جيان وتنقل بينها وبين غرناطة ومرسية وقتـل فى سنـة 540 فى غـارة للنصارى على مرسيـة (انظر ابن سعيـد : المغرب، 2 / 438 ؛ ابـن الخطيـب : أعمـال الأعـلام ص 175 ـ 176 ؛ وابـن خـلـدون : العبـر 4 / 163 ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ص 208 ـ 210) .

3) فى الاصل : واكتحمت .

(72 ب) وتوجه تاشفين إلى حصن أنطاطة (1) *بمقربة من قنطرة السيف (2) فنزل عليها بالعساكر ، وقاتلها ، فافتتحها المسلمون عليهم وقتلوا كل من فيها وسبوا النساء والصبيان ، وهدم الحصن إلى أسفله (3) .

---

1) ربما كانت هذه الغزوة هي التي يشير إليها ابن الخطيب في الاحاطة (ط . عنان 1 / 459 ، وقد قرأها الاستاذ محمد عبد الله عنان : « شنت إشطين » وقال إنها جاءت في المخطوطين اللذين اعتمد عليهما : « بشط اشطن ») ، وقرأها كوديرا في مخطوط المجمع التاريخي الملكي بمدريد « أنتطش أو « أشطش » (أسرة بني تاشفين ص 128) ؛ أما أويثي في مقاله عن « روض القرطاس والمرابطين » (مجلة إسبريس - سنة 1960 - ص 529 - 540) فإنه قال ان خير تفسير لهذا العلم الجغرافي هو أنه الذي يقع الان في البرتغال ويسمى Idanha - a - Vella قريبا من الحدود البرتغالية الاسبانية في منطقة Castell - Branco على بعد 150 كيلومترا من ماردة ، وعلى أية حال فابن الخطيب يجعل هذه الغزوة في سنة 528 لا في سنة 527 كما يذكر ابن القطان .

2) كذا في الاصل ، ولسنا ندري ما إذا كان النص صحيحا على هذه الصورة أم سقطت منه بعض الالفاظ ، فابن أبي زرع الذي يشير إلى هذه الغزوة يقول (روض القرطاس 2 / 90) : « فيها غزا الامير تاشفين بن علي قنطرة محمود فدخلها بالسيف » ، ومن هذا نرى أن هذا الموضع كان اسمه « قنطرة محمود » لا « قنطرة السيف » كما جاء في نص ابن القطان . وقد أورد الادريسي في جغرافيته موضعا يسمى « قنيطرة محمود » على ضفاف نهر تاجه بين القنطرة وشنترين (نزهة المشتاق ص 189 وترجمة سافيدرا الاسبانية ص 53) . وانظر تعليق أويثي على هذه الغزوة في مقاله المشار إليه ص 540 .

3) يشير كوديرا في بحثه عن « بني تاشفين » (ص 134 - 135) إلى أن ابن الخطيب في كتاب آخر له - غير كتاب الاحاطة ، وإن كان لم يحدد أي كتاب هو - (مخطوطة الجزائر رقم 1617) تحدث عن غزوة لتاشفين قد تكون هي المقصودة هنا ، إذ يقول - نقلا عن ابن الصير في المؤرخ المرابطي - إنه في سنة 527 بلغ تاشفين أن نفرا من قادة النصارى وعظمائهم أغاروا على بطليوس وباجة ويابرة ، فتصدى لهم تاشفين بجيش عظيم وأوقع بهم مقتلة كبيرة ، وفك سراح أسرى المسلمين وعاد ظافراً إلى غرناطة في جمادى الاخرة سنة 528 .

وأكلت الجراد زرع هذه السنة .

وفي هذه السنة قتل المسترشد العباسي ، وصلى عليه ابنـه الراشد بالله تعالى أبو جعفر منصور المذكور [1] .

وقيل [2] إن موت الآمر صاحب مصر كان في هذه السنة ، بعث الله تعالى قوما من عباده لم يعرف من هم [3] تحالفوا وتعاقدوا على قتل الجبار العنيد بمصر الملقب بالآمر . قيل إنهم قصدوا إليه من بلاد الشام ، فأقاموا بمصر ، وعلموا بيوم ركوبه ، وكان إذا ركب سدت الديار والحوانيت في ممره ، ولا يمر بطريقه أحد سواه ، ويجعل نصف عسكره أمامه ونصفهم وراءه . وفي وسط كلتا المسافتين اللتين أمامه وخلفـه فارسان بينهما

---

1) ليس صحيحا أن مقتل المسترشد العباسي كـان في هذه السنة، إذ المعروف أنه قتل في سنة 529 ، والمسترشد هو أبـو منصور الفضل بن احمد المستظهر بن عبد الله المقتدى ، بويع بالخلافة في ربيع الاخر سنة 512 ، ومولده في سنة 485، واغتاله الباطنية في السابع عشر من ذي القعدة سنة 529 ، وبويع بعده ابنه أبو جعفر منصور المتلقب بالراشد (انظر النجوم الزاهرة لابن تغـري بـردى 5 / 256 ـ 257) ، هـذا ويبدو أن ذلك الخطأ قد تناقله بعض المؤرخين المغاربة الاخرين ، نـذكر منهم ابـن عذاري الذي يعتمد في إيراده على كـتاب « المقباس » للوراق (انظر البيان المغرب 1 / 311)

2) في الاصل : وقال : هذا وقد كان موت الآمر وولاية الحافـظ في سنة 524 كـما سبق أن ذكر ابن القطان في أخبار تلك السنة ، ولو أن المؤلف لم يكـن متأكدا كل التأكد من ذلك .

3) ذكـر المقريزي أن هؤلاء كانـوا عـدة من النزاريـة (الخطط 2 / 378) والنزارية هم الطائفة التي كـانت ترى أن الخلافة من حق أبي منصور نـزار بن المستنصر عم الخليفة الآمر ، وهو الذي قتله أبوه بيده ، وأن المستعلى والآمر مغتصبان للخلافة دون وجه حق ، وقد كـانت هذه الجماعة شديدة التعصب لرأيها ، وهي التي دبرت مصرع الآمر كـما ذكر المقريزي وكـما نص عليه أيضا ابن تغري بردى (النجوم 5 / 184 ـ 185) والمقري (نفح الطيب 3 / 61) .

وبينه مثل ما بينهما وبين العسكر ، وحوله أربعة من خواص عبيده وصاحب مظله ، (1) هؤلاء هم الذين يحفون به ويسمون « الركابية » ، وهو راكب على فرس قد عود أنه لا يبول ولا يتغوط ، وقد اعتم بعمامة عظيمة يخرج مقدمها على جبهته مقدار شبر ، قد أمسك بعضها ببعض «إبر مغروزة فيها» ويسدل من ورائه منها ذؤابة ، وكان كبري* اللون أعين (2) غليظ الشفتين (78 أ) ضخم الجسم ، بين عينيه لؤلؤة كبيرة لم يخرج قط من البحر أعظم منها قدر بيض الحمام ، كانت خرجت من البحر أيام المستنصر جد هذا الجبار العنيد فقصد بها ، فكان هذا المارد إذا خرج يعلقها بين عينيه ، ليس على رأسه ولا منكبيه رداء ولا طيلسان ، ويداه في كميه ، لا يمسك عنانا ولا يشتغل بشيء سوى ركوبه على السرج ، وكان يفرش له طريقه بتراب لم تطأه قدم قط .

فقصد هؤلاء القوم إلى طريقه الذي عهد سلوكه عليه ، وفيه فرن على ممر الشارع ، وكانوا عشرة رجال ، فقصدوا إلى الفران ومعهم دقيق ، وقالوا له : نريد منك أن تخبز لنا خبزا من هذا الدقيق فإنا قوم غرباء مسافرون . فقال لهم الفران : مولانا اليوم يمر على هذا الشارع ، فإن أنتم أبطأتم فلا يصح لكم ما تريدون ، وإن أنتم عجلتم صح لكم ذلك . قالوا له : الساعة نفرغ من ذلك وأرغبوه في الاجرة ودفعوها إليه ، فأذن لهم وشرط عليهم العجلة . فجعلوا يتأنون ويحدثون أشغالا والفران يتعجلهم إلى أن مر عليهم مقدم العسكر الاول الذي يمشي أمامه ، فاعنف عليهم الفران في الخروج ولم يمهلهم ؛ فلما رأوا ذلك منه اجتمعوا عليه ودسوه في داخل الفرن ، وسدوا فمه بغطائه فشووه .

1) في الاصل : مضله .

2) أي نحاسي اللون كبير العينين .

وأقاموا* بالفرن وبابه مغلق عليهم إلى أن سمعوا وقع حوافر (73 ب) فرسه ، فأول مـن خرج من الفرن كهـل منهم ، وجعل يسجـد إلى الارض وينادي : أنا بالله وبعدل مولانا ! ، ويسجد سجدة أخرى ويقول مثل قوله ، ويقترب منه وهو يمشي إليه إلى أن ألقى يده في شكائم الفرس ، وسل من حزامه سكينا وضرب بهـا بطن الفرس ، فسقط جميع ما في بطنـه ، وسقط على الارض .

وخرج أصحابه من الفرن بعد ذلك ، وألقى يده في مجامع ثياب ذلك الجبار ، وضربه ضربة فرى بها أوداجه ، وتبادر أصحابه فضربوه بسكاكينهم ضربات كثيرة . وألقى الله عز وجل السبات على ركابية الجبار إلى أن فرغ من قتله . وحينئذ صرف الله تعالى أرواحهم إليهم ، فوقعوا على الفاعلين فقتلوهم أجمعين . ووجهوا إلى مقدمة الجيش بسـد الدرب القريب منه ، وفعلوا كذلك بالذين من خلفهم . وذكروا لهم أن مولانا كبـا به فرسه ، وكان هذا الموضع قريبا من النيل ، فأتوا بزورق وحملوه وفرسه ، وأدخلوه الزورق ، وأزالوا الدم مـن ذلك المكان وغيره ، وغيـروا مـن أمـره ما استطاعوا وقذفوا به ، وحملوه إلى قصره بالقاهرة . وانقضى خبره وتمت مدته ، وأراح الله تعالى منه عباده وبلاده (1) .

---

1) يتفق ما جاء في هذا الخبر في جملة مع ما ذكره المقريزي فـي وصف اغتيال الآمر (الخطط 2 / 379) وابن تغرى بردي (النجوم 5 / 184 ـ 185) وابن خلدون (العبر 4 / 71) وابن الاثير (الكامل 8 / 332) وابن حماده (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 60) والمقري (نفح الطيب 3 / 61) ، على أن خبر ابـن القطان يشتمل على كثير من التفاصيل الشائقة التي ينفرد بها . وقد ذكر ابن عذارى في البيان (1 / 311) أن الذي قتل الآمر هو الغلام الذي اسمه « حرز الملوك » والذي يسميه المقريزي هزار الملوك .

(174 أ) *(واختلف الناس على) [1] من يلى الأمر من بعده ، إذ لم يترك ولداء فأرادت عمته أن تولى بعده فتاه « حرز الملـوك [2] » ، فأدخلتـه القـصر وعزمت على ذلك ، وسمع هذا الأمراء والقـواد ، فأنفـوا [3] أن يلى عليهم من صفته تلك ، وزحف جميع العسكرية لما بلغهم ذلك إلى القصر ، فصاحوا ، فأغلق فى وجهم ، فقالوا : إن لم يخرج إلينا الفاعل الصانع الذي تريدون أن تـؤمروه لنضرمنه نـارا على (من فيه [4]) ! فأمـرت العمـة بحـرز الملوك [5] ، فقتل ورمى رأسه إليهم ، فسكـنت سورتهم . فـولوا أمرهم ابن الأفضل بن أمير الجيوس ، فتولى عليهـم بمدة من عشرين شهـرا ، ثم عدوا عليه فقتلوه. وتولى الأمر بعده شيخ من آل عبيد من ولد المستنصر [6] كان يغسل مـوتى القصر [7] . فأحسن السيـرة ، وجمع النـاس . ودام أمره إلى سنة أربعين وخمسمائة [8] . وتلقب بالحافظ لأمر الله .

1) فى هذا الموضع قطع بقدر ثلاث كـلمات ، وقد أكملنا السياق بما لا نظنـه يخرج عن معنى ما أثبتنا .

2) فى الاصل : « هزار ملك » ، وقد تكرر ذكره قبل ذلك كما أثبتنا هنا .

3) فى الاصل : فاتفقوا .

4) كلمتان غير واضحتين في الاصل .

5) في الاصل : بهزار ملك .

6) فى الاصل : المنتصر .

7) المعروف أن عبـد المجيد الحافظ بـن أبي القاسم محمد بن معد المستنصر ولي الخلافة بعد مقتل الآمر ، على أنه كفيل للولد الذي كان الآمر قبل وفاته أشار إلى أنه سيولد له من جارية عينها ، ثم إن هذه الجارية لم تلد فمضت خلافة الحافظ بعد ذلك ، وكان حرز الملوك (أو هزار الملوك كما يسميه المقريزي) قد وزر لـه هو ويانس متولي الباب ثم أبو علي أحمد بن الافضل (انظر ابن تغرى بردي: النجوم 5 / 240 - 241) .

8) كـذا ، والمعروف أن خلافة الحافظ استمرت حتى جمادى الآخرة سنـة 544 إذ توفي فى هذا الشهر .

بــاب

فى ذكر أنباء سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى فقيل إن الموحدين أعزهم الله تعالى قتلوا ابرهيم بن تاعياشت فى غزوة أثارها . وكـانت الدبــرة عليه . وكـبا بــه فرســه فقتــل . وهــو ابراهيـم بــن يوسف الزرجــانى [1] (وللمؤرخين) [2] المعتنين بهذا الشأن اختـلاف في (ميقـات) [2] ذلك وكيفيته ، * وهذا أشبه ما (رأيته في ذلك) [2] . (74 ب)

1) سبق أن عرفنا بابن تاعياشت هـذا تعريفا وافيا (راجع ص 82 ، حاشية5).

2) كلمات غير واضحة في الاصل .

أخبار غيرهم :

فيها عزل علي بن يوسف الزرجاني أبا عبد الله ابن أصبغ [1] عن القضاء بقرطبة ، وولى أبا عبد الله محمد بن (الحاج [2]) قضاءها ؛ وولى على قضاء إشبيلية أبا بكر ابن العربي [3] ؛ وشرع فى بناء سور إشبيلية من جهة الوادي بأمر علي بن يوسف [4] .

وفي هذه السنة نازل ابن رذمير إفراغة [5] ، وحاصرها ، وهزم ابن رذمير لعنه الله تعالى وقتل رجاله ، ثم مات هو على أثر ذلك .

---

1) انظر ما سلف أن كتبناه عن القاضي ابن أصبغ المعروف باسم ابن المناصف عند إيراد ابن القطان خبر ولايته على قضاء قرطبة (ص 106 ، حاشية 3) .

2) مكان هذه الكلمة بياض فى الاصل ، وقد استكملناها بفضل ما تدل عليه المراجع الاخرى ، وابن الحاج هذا هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم بن لب بن بيطير التجيبي ، ولد سنة 458 ، وكان من جلة العلماء والمحدثين رأسا فى الشورى ، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة ، وتقلد قضاء الجماعة فى هذه القاعدة مرتين ، ولم يزل متوليا للقضاء للمرة الثانية حتى قتل وهو ساجد لاربع بقين من صفر سنة 529 ، وسيذكر ابن القطان نبأ اغتياله بعد قليل (انظر فى ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1162 ، والنباهي : المرقبة العليا ص 102)

3) سبق أن عرفنا بأبي بكر ابن العربي الإشبيلي (راجع ص 15، حاشية 3) .

4) وافانا ابن عذارى بتفصيل عظيم القيمة عن الإصلاحات والترميمات الكثيرة التي اضطلع بها المرابطون فى أسوار قواعد الاندلس ولا سيما غرناطة وقرطبة وإشبيلية والمرية ابتداء من سنة 520 ، ويبدو أن الفضل فى هذه الاعمال كان يرجع إلى النصيحة التى أسداها الفقيه ابن رشد القرطبي لعلي بن يوسف (انظر تفصيل الاخبار الخاصة بذلك فى القسم المرابطي من البيان ورقة 32 ـ 33 ، والترجمة الاسبانية لتلك النصوص في مقال الاستاذ أويثي : علي بن يوسف ص 101).

5) سيعود ابن القطان للحديث بالتفصيل عن موقعة إفراغة فى أخبار سنة 529، والصحيح أن تاريخ هذه المعركة فى سنة 528 كما ذكر المؤلف هنا لا كما ينقل بعد عن الوراق .

وفي هذه السنة (1) فنادق قرطبة حتى كان (2) .
وأكلت الجراد ما كـان على الارض من (زرع وكلأ (3)) .

---

1) قطع فى الاصل بقدر كلمة .
2) قطع بقدر كلمتين أو ثلاث .
3) كلمتان غير واضحتين فى الاصل لطمس وقطوع ، ولعلها كما أثبتنا .

بـاب

فى ذكر أنباء سنة تسع وعشرين وخمسمائـة

فى هذه السنة كان الاعلان بموت الامـام المهدي رضي الله تعـالى عنه [1] . والاعلان ببيعة سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المؤمنين، فرفع الغطاء ، وسطع الضياء ، وبهرت الشمس ما دونها من السحاب، وتبلج الحق واضحا بغير حجاب، وكملت السنة، وهملت المنة، وخلص العدل من محاقه، ودام الفضل فى اتساقـه ، ....

.... [2]

(75 أ) *نبايعك على ما بايعنا عليه الامام المهدي رضي الله تعالى عنه !

فمد يده فبايعوه ، واتصلت البيعة ثلاثة أيـام [3] ، فأشرقت الارض

---

1) أشرنا من قبل إلى اختلاف المؤرخين حول تاريخ الاعـلان بموت المهـدي وبيعة عبد المؤمن (راجع ص 207 ، حاشية 2) .

2) ينقطع النص هنا لخرم وقع فيه ، ولننقل في هذا الموضع عن كتاب أخبار المهدي للبيذق (ص 85) نصه عن بيعة عبد المؤمن ففيه إكمال لمـا ذهب هنا من خبر ذلك ، وقد جعل البيذق ذلك بعد غزوة عبد المؤمن بجزولة ورجوعه إلى تينملل :

« وصياح بالقبائل ، وضم الموحدين ، وحفل (في الاصل: وجعل) المجلس، فاستعمل ركائز ، وحال بين الرجال والنساء ، ثم وعظ الناس ، وقال لهم في آخر كلامه : بقى عندكم عهد بيعة المهدي (رضه) ، قالوا : نعم . فقعد ، ثم وعظ أبو إبراهيم ، ثم وعظ عمر آصناج ، ثم سائر المشيخة رضي الله عنهم أجمعين . ثم قال لهم : المهدي قد توفى رضي الله عنه . فبكى الناس ، ثم قال لهـم : اسكتوا . فسكتوا . فقال أبو إبراهيم وعمر آصناج وعبد الرحمن بن زجو ومحمد بن محمد لعبد المؤمن : امدد يمينك نبايعك . . . الخ » .

3) كذا ذكر البيذق أيضا (انظر الموضـع المشار إليـه في الحاشية السابقـة) وكتاب أويثي : تاريخ 1 / 109 ـ 110 .

بنور إمامته، ونال أهلها عظيم حظوته وكرامته، ولاحت غرر الفتوح زاهرة وأقبلت المسرات متتابعة متواترة ، والحمد لله رب العالمين .

وصارت حصون الفلاكي كلها لهم، وصار الفلاكي يغير على جهات السوس وجهات أغمات ، والمواحدون فى كل يوم تنمى أحوالهم ، وتزيد عساكرهم ورجالهم ، وزاد فيهم صنهاجة الجبل وهسكورة الجبل ، ودخلوا تارودانت وإيجلي . وهما مدينتان من السوس الاقصى .

وذكر ابن الراعي رسالة سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهم التي يذكر فيها دخول تارودانت ، فرأيت أثباتها هنا ، ليتبين منها كيفية فتح السوس :

« وذلك أن فيها فتح السوس وأن الموحدين أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره ، من فوقه إلى أسفله . فقتل أهله ، وأنجلى من لم يقتل منهزمين إلى كل أفق مما حواليه من هنكيسة وجزولة ، وبعضهم قد نحصر مع الملثمين بتيونوين ، فكان آخر هزائمهم التي هزمهم الموحدون أعزهم الله تعالى فيها هي الهزيمة التي قتل فيها توجين [1] ؛ ثم قنطوا من سوس ويئسوا منه ، فانقبضوا بتيونوين فى ذل وخزى ورعب ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يقدرون على حركتهم ، والحمد لله الذي أظهر ضعفهم ، وأخذهم بسوء فعلهم .

ولما بلغوا هذا المبلغ زادهم الله تعالى استدراجا ومكرا ، فقام المخذول العلج * الاعرج [2] من أجر فرجان ، فاقتحم بنفسه فى طريق (75 ب) إيغيران تطوف فى حال غفلة من الموحدين أعزهم الله تعالى الذين

1) لم يرد ذكر لهذا القائد المرابطي في أي مرجع آخر .

2) يبدو أنه يعني به القائد المعروف « الربرتير El Reverter » الذي تكرر ذكره فيما سبق ، كما يقول أويثي في تاريخه (1 / 112) .

عليها [1] حتى جاز عليهم . ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هاربيـن ، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا إلى بلاد السوس . ولا شك في أن الله تعالى قد علم في ذلك خيرا ، إذ هو المدبر لهذه الامور ، ولم يكلها إلينا، والحمد لله رب العالمين .

ولم يصل العلج إلا بنحو أربعمائة برذون ، فلما وصل إلى تيونويـن تسامع به من فر الى الاطراف من بقية أهل سوس ، فكان هو معبودهـم ومتبعهم ، فاتكلوا عليـه ونسوا ربهم . وجهلـوا أمـر الله تعالى ، واغتروا بقدومه . فرجعوا إلى أوطانهم . وحسبوا أنه يمنعهم من بأس الله مع أنهم لم يجدوا في الدنيـا مهربـاً ولا ملجأ ، فبادروا إلى النـزول في بلادهـم ، فميزنا عسكرا مباركا من خيل ورجل ، فخرجوا إلى نـاحية تارودانت ، وبعثنا تلك الليلة سرية إلى أسفل السوس ، فوجدوا بلاد المجسم معمورة قد سكنوا بأهاليهم ومواشيهم ، فقتلوهم وغنموا أموالهم بقرا وغنما ودوب [2] وعبيدا . وسبوا ذراريهم وأهاليهم ، ورجعوا سالمين غانمين ثم بعثنا سرية أخرى في الليلة التي تليها إلى بقية تلك الناحية ، أعني أسفـل السوس ، فقتلوا مقتلة أكثر من الاولى ، وغنموا أكثر مما غنم [3] أصحابهم .

(76 أ) وأما العسكر فقصدوا إلى تارودانت حتى دخلوها، فوجدوا البقية * التي رجعت إليها هاربين قد بعث إليهم الملثمون المحصورون بتيونوين حين عاينوا عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى قد أقبل إليهـم فقالوا لهـم : انجوا بأنفسكم! قد غشيكم عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى، فهربوا إلا بعض من كان في أطراف البلد مثـل تاجندويت ورقالـة ، فقتـل الموحـدون من وجدوا .

1) في الاصل : عليهم .
2) في الاصل : ودوابا .
3) في الاصل : غنموا .

ثم نزل الموحدون فى وسط تارودانت ، واستقروا بهـا ساكنيـن وهزموها وحرقوها وأطلقوا النار فى القصب ، إذ لا يقدر عليه من كثرته إلا بالنار ، ونحن ننظر [1] إلى الدخان قد علا وارتفع في الهواء [2] ، وتألف فصار كالسحاب المتراكم ، والكفرة بتيونوين لا يقدرون على اكثر من النظر إلى الدخان والنيران تضرم فى منازلهم وأوطانهم ، وهم مع العلـج لم يزدادوا بقدومه عليهم إلا شدة هول وحصار وخوف وجوع . ولما أيقن البربر وغيرهم بعجز العلج انكسرت قلوبهم ، واستمرت الهزيمة عليهـم ؛ والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم ، وانتقم منهم بحربهم ،.[3]

ومما كـان فى هذا العام حركة الخليفة رضي الله تعالى عنـه إلى بنـي يبغز [4] ، وسببها أنهم قتلوا أبا محمد عبد العزيـز الغيغائـي [5] من أصحاب الامام المهدي رضي الله تعالى عنه ، كان توجـه داعية لهـم . فغدروه وقتلوه ؛ وتحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى أشفشد من بلد بني يبغز [6] سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

---

1) في الاصل : ننظروا .

2) فى الاصل : الهوى .

3) ينفرد ابن القطان بتفصيل هذه الاخبار دون غيره من مؤرخي الدولة الموحدية . وانظر أويثي : تاريخ 1 / 110 ـ 113 .

4) فى الاصل : يبغز ، وبنو يبغز بطن من هنتاتة على مـا يذكر صاحب كتاب المقتبس (أخبار المهدي ص 41) .

5) فى الاصل : الغيغادي ، وهو أبو محمد عبد العزيـز بن عبد الله الغيغـائي هو الذي سبق لابن القطان أن ذكره من بين طبقـة أهل الدار من طبقـات الموحـدين (انظر ص 19) وقد ذكره أيضا صاحب كتاب المقتبس فاعتبـره مرة من أهل الدار ومرة أخرى من أهل الجماعة (أخبار المهدي ص 29 ، 33) .

6) فى الاصل : يعز .

فلما نزلت المحلة هنالك أخذت بنو يبغز [1] حزم الحطب، فربطوها على ظهور الجمال، وأضرموا فيها النار ليلا. واطلقوا الجمال في المحلة، فنفر الناس، وصارت بنو يبغز [1] إثر جمالهم حتى وصلوا الى خباء سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه، وجللوها بالرماح، وكان سيدنا ومولانا الخليفة * رضي الله تعالى عنه قد أخذ بالحزم ليلتين، فحاد عن خبائه المعروف له، وأخفى موضع مبيته احتياطا، فسلمه الله تعالى، وله الحمد كثيرا [2].

(76 ب)

ومن تلك الليلة رتبت ساقت تيطاف المبيت في الليل إيهيتيجمي [3] وكانت ملحمة عظيمة، وأخذ رجلان من بني يبغز في خباء سيدنا ومولانا

---

1) في الاصل : يعز .

2) لعل هذا الخبر الذي يرويه ابن القطان هنا في واقعية وإيجاز ودقة هو الذي نسج حوله بعض المؤرخين المتأخرين أسطورة من أساطير البطولة نراها مروية بشكل متباين لدى عبد الواحد المراكشي وابن أبي زرع . أما الاول فإنه يذكر أن قوما من قرابة محمد بن تومرت تآمروا على أن يدخلوا على عبد المؤمن خباءه ليلا فيقتلوه، فإذا فعلوا أصبح الامر لهم ، فعلم بذلك أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى الهزرجي ، فسأل عبد المؤمن أن يدعه يبيت تلك الليلة في خبائه ، فأجابه عبد المؤمن إلى ذلك ، ودخل أولئك القوم وتولوا النائم بالحديد حتى مات و كانوا يظنونه عبد المؤمن ، فلما أصبحوا وعلموا بالامر فروا إلى مراكش ، أما عبد المؤمن فإنه لما علم بالخبر أعظمه ووجد على أبي ابراهيم وجدا شديدا (انظر المعجب ص 233 ـ 234) ؛ أما ابن أبي زرع فإنه يقول إنه لما طالت بالموحدين الاقامة بالمشرق (أثناء غزوة إفريقية) والتغرب عن أولادهم عزمت طائفة منهم في سنه 555 على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه إذا نام ، فعلم بذلك احد المخلصين للخليفة فأخبره بالخبر وطلب منه أن يبيت بخبائه تلك الليلة ويفديه من الموت ، ففعل واستشهد الرجل، فلما أصبح عبد المؤمن بنى قريبا من موضع مصرعه قبة وجامعا ثم أمر ببناء مدينة حول المسجد ، وهي المدينة التي أصبحت تحمل بعد ذلك اسم « البطحاء » (روض القرطاس 2 / 162) . وانظر عن هذه الاسطورة كذلك بحث الاستاذ أويثي، عن «الاسطورة والتاريخ في نشأة الدولة الموحدية» في كتاب تاريخ الدولة الموحدية 2 / 606 ـ 608) .

3) كذا في الاصل ، ولم نهتد إلى وجه في تأويلها .

الخليفة الامام رضي الله تعالى عنه . فقيل لهما [1] عند الصباح : مـا كـان غرضكما [2] ؟ فقالا : قتل الخليفة . فأمر بقتلهما ، وتراجع الناس . ومكث سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه هنالك أربعين يوما ، ثم رجـع إلى تيئملل .

---

3) فى الاصل : لهم .

4) فى الاصل : غرضكم .

آخبار الاندلس [1] فى هـذه السنة :

فيهـا وثب على قاضي قرطبـة أبي عبد الله بن الحـاج فـي المسجد الجامع في صلاة الجمعة فى السجدة الاولى من الركعة الاولى وهو ساجـد فقتل واحتمل في نعش بدمائه، فمات في داره عشي ذلك اليوم الذي هو يوم الجمعة لخمس بقين من صفر [2] ، وقتل قاتله في الحين في صحن الجامع [3] .

وخرج تاشفين الزرجاني وهو صاحب قرطبة لخيل ظهرت وأغارت، واستنفر الناس. فخرجوا وأوعبوا ، وخرجت عساكر إشبيلية ويابرة. [4] واجتمع عليهم بشر كثير . فنزل المسلمـون فى موضـع يعرف بلبكار [5] ليكون اللقاء (فى) [6] يوم آخر ، فعاجلتهم خيل النصارى وهجمت عليهم بالليل ، فتخلخلت المحلة . وخاف [7] الناس وتخادلوا ، فقتل من المسلمين ناس كثير ، ومضت أسبابهم وأمتعتهم ، وفر المسلمون تحت ظلام الليـل على وجوههم ، وقصد النصارى نحو خباء تاشفين ، فكانت للمسلمين هنالك جولة ، ثم ثبت النفر اليسير ، وأصيب من النصارى هنالـك زعيـم

---

1) فى الاصل : الموحدين ، وقد أصلحناها بما يتفق مع السياق .

2) فى الاصل : سفر .

3) انظر تعليقنا السابق (ص 207 حاشية 2) .

4) في الاصل : وتابرة ، والصواب ما أثبتنا ، ويابرة (وتكتب أيضا « يابورة ») هي التي تسمى الآن Evora في البرتغال .

5) في الاصل : بالنكار ، ويكتب أيضا « فحص البكار » ، وهو الموضع الذي الذي يسمى الآن Albácar على بعد 20 كيلومترا إلى الشمال من قرطبة .

6) إضافة يقتضيها السياق .

7) فى الاصل : وخاض .

منهم ، وصد الله تعالى بلطفه النصارى، ونكصوا على أعقابهم، * وأصبح [1] (77 أ) تاشفين في موضع محلته ، فثاب الناس إليه ، وأقبلوا عليه ، وأخذ بهم في الانصراف إلى حصن قصرش [2] من حصون المسلمين، ثم رجع بالناس الى قرطبة، وتفرقت العساكر ، ورجعت النصارى بغنائمهم الى بلادهم [3]

---

1) فى الاصل : وأصلح .

2) بالاسبانية الآن Cáceres

3) أشار أيضا إلى تلك الغزوة ابن الخطيب فى ترجمته لتاشفين فى كتاب الاحاطة نقلا عن أبى بكر الصيرفى (مخطوطة مكتبة الجزائر التى أشرنا إليها من قبل ، ورقة 107 على ما يذكر كوديرا فى بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 137 ـ 138؛ ولم يرد هذا النص فى طبعة محب الدين الخطيب ولا طبعة الاستاذ محمد عبد الله عنان لكتاب الاحاطة) . ويقول ابن الخطيب فى ذلك النص إن جيوش تاشفين فوجئت بمهاجمة الجيوش المسيحية ، فتفرق عنه أصحابه ولم يبق هو إلا في عدد قليل لا يتجاوز أربعين رجلا ، إلا أنه ثبت فى هذه المعركة ثباتا منحه الله فيه النصر ، وابن الخطيب يحدد مكان هذه الموقعة بفحص البكار ولكنه لا يحدد تاريخها . ويضيف كوديرا في تعليقه عليها أن « حوليات ألفونسو السابع » تشير إليها أيضا ، فتقول إن تاشفين خرج من قرطبة ومعه الزبير بن عمر أمير قرطبة (ويطلق عليه المرجع المسيحي اسم Azubel) وقائد آخر تسميه Abenzeta أمير إشبيلية مع غيرهم من زعماء المسلمين في جيش ضخم متوجهين لمغاورة طليطلة ، فلما بلغ جيش المسلمين الى اليسانة Lucena خرج اليهم ألف من فرسان أبلة Avila وشقوبية Segovia وعدد كبير من الرجالة ، وهم متوجهون للاغارة على بسائط قرطبة ففاجأوا معسكر تاشفين ، وأخذ المسلمون على غرة ، فوقع الاضطراب في صفوفهم ، ثم عاد فريق من المسلمين فالتفوا بتاشفين وذبوا عنه ذبا شديدا ، واشتد وطيس المعركة ، فجرح تاشفين ، واضطر الى الهرب على فرس بغير ركاب وقد أصيبت ساقه ، فبقي بعدها أعرج بقية حياته. هذا هو مجمل ما يقوله المرجع المسيحي حول تلك المعركة ، ومن الواضح أن الخبر على هذه الصورة فيه من المبالغة وسعة الخيال الشيء الكثير ، اذ أننا نرى من وصف ابن القطان للموقعة ـ وهو مؤرخ متحامل على المرابطين متصيد لاخبار هزائمهم ـ أن تاشفين لم يفر من ميدان المعترك ولم يصب تلك الاصابة التي يتمدح بها المصدر المسيحي ، على أن الخبر اذا عرى من تلك المبالغات يتفق في جملته مع ما يذكره ابن الخطيب وابن القطان هنا (انظر بحث كوديرا المذكور ص 136 ـ 137) .

ومحت الجراد ما على الارض من زرع وكلأ ، وأمر الناس بـالخروج إليها ، فساقوا منها خمسة آلاف عدل وثلاثمائة وثلاثين عدلا. وما غاب عن العيون أكثر تركت في الموضع الذي قتلت فيه ولم تحمل (1) .

وقتل يهـودي مسلما ، فاستطـال المسلمون على اليهـود . فنهبـت أموالهـم ، وهدمت ديارهم . وذلك بقرطبة .

وبقيت قرطبة أشهراً دون قاض، ثم وليها أبو جعفر حمدين بن حمدين (2) .

---

1) الى ابن القطان يرجع الفضل في امدادنا بهـذه الاخبـار حول فتك الجراد بحقول الاندلس فيما بين سنتي 527 و 531 ، ويبدو أن تلك الاضرار قد أصبحت من مشاغل الحكومة المرابطية التي وجهت اليها اهتماما خاصا ، كما نرى في الرسالة التي كتبها عن علي بن يوسف الكاتب الاندلسي أبو بكر ابن القبطورنه « يحض على قتل الجراد » ، وقد نشرنا هذه الرسالة في جملة ما نشرناه من الرسائل المرابطيـة (انظر بحثنا « وثائق تاريخية جديدة . . . » ص 164 ، 186 ـ 188)

2) هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي القرطبي ، أصلـه من باغـه من عمل غرناطة ، ولي قضاء الجماعة في قرطبة في شعبان سنة 529 ، وذلك بعد الفترة التي أعقبت اغتيال أبي عبد الله بن الحاج الذي قتل في المسجد الجامع في صفر من هذه السنة على مـا سبق أن أورد ابن القطان وغيره من المؤرخين ، أي بعد أن بقيت قرطبة من غير قاض أكثر من خمسة شهور، وظل ابن حمدين على قضاء قرطبة حتى سنـة 532 اذ صرف عن هـذا المنصب بأبي القاسم أحمد بن محمد بن رشد. ثم استعفى ابن رشد فأعفي وعاد ابن حمدين إلى تولي القضاء سنة 536 . وفي سنة 539 قام بإعلان الثورة على حكم المرابطين بعد أن بلغته أنباء ثورة ابن قسي في غرب الاندلس ، وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله ، ودعي له على منبر قرطبة وأكثر المنابر الاندلسية ، ولكن ولايته لم تطل ، وتعاورته المحن وخرج إلى العدوة المغربية وأقام هنالك وقتا ، ثم عاد فاستقر بمالقة وتوفي بها سنة 548 (انظر في ترجمته الضبي : بغية الملتمس ، رقم 685 ؛ ابن الابار : التكملة ، رقم 119 والحلة السيراء ـ ط. دوزي؛ تاريخ المسلمين باسبانيا؛ وابن الخطيب: أعمال الاعلام ص252 ـ 254 حيث يسميه أحمد بن محمد ؛ ومن الابحاث الحديثة : فرانسسكو كوديرا : اضمحلال دولة المرابطين في الاندلس ص 53 ـ 67 ، ص 295 ـ 298 ؛ وبوسك ڤيلا : المرابطون ص 288 ـ 291) .

قال الوراق :

ومن أغرب ما كان في سنة تسع وعشرين [1] هزيمة الطاغية ابن ردمير [2] - لعنه الله تعالى - مدينة إفراغة من الثغر المصاقب لبلاد الفرنجة وذلك أن اللعين لما تغلب على الثغر الاعلى : مدينة سرقسطة وذواتهـا ، ومدينة تطيلة وذواتها ، وقلعة أيوب وذواتها . وسواها . وهزم عساكر

---

1) هكذا ذكر ابن القطان في تاريخ هذه الموقعة نقلا عن الوراق ، وقد قدمنا أن الصحيح هو ما سبق أن أورده من قبل من أنها كانت في الثالث والعشرين من رمضان سنة 528 (17 يوليه 1134) ، ويؤيد ذلك ما يذكره الضبي في ترجمته عالمين توفيا في سنة 528 المذكورة (بغية الملتمس ص 95 ، 406) وما تذكره سائر المراجع المسيحية التي أورد رواياتها كوديرا في بحثه عن « اضمحلال دولة المرابطين» (ص 269 - 272) ، وقد جاء في الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري أن الموقعة كانت في سنة 525 (انظر ص 24 - 25 من النص العربي) ولو أن ذلك يبدو مجرد خطأ مطبعي إذ أن ليڤي بروڤنسال ينص في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب (ص 31) على أنها كانت سنة 528 . أما ابن الاثير فقد تحدث عنها في أخبار سنة 529 (الكامل 8 / 351) . وانظر كذلك ما كتبه عنها ابن الخطيب في الاحاطة (مخطوطة الاسكوريال) تحت ترجمتي يحيى بن علي بن غانية وأبي محمد عبد الله بن أبي بكر، ثم في أعمال الاعلام ص 259 - 260 ؛ وأخيراً بحث بوسك ڤيلا عن المرابطين ص 240 - 241 .

2) يعني به ألفونسو الاول ملك أرغون الملقب بالمحارب ، وقد مر ذكره من قبل (انظر ص 109 ، حاشية رقم 1).

لمتونة وقهرهم فى مواطن كثيرة. ورأى ذلك البرشلوني [1] مضاهيهم فى الثغر الاعلى ، فاشرأب إلى التغلب على مـا يجاوره من البلاد : لاردة وإفراغة وغيرهما ، ونظر لمتونة إلى ذلك ، فخافوا أن ينفتق عليهم فتق آخر من البرشلوني. فصالحوا البرشلوني باثنى عشر ألف دينار يؤدونها له فى كل سنة صلحا عن هذا الثغر الذي يصاقبه. ويستريحون [2] من شره ولا يكابدون حربين، وذلك عن أمر علي بن يوسف؛ ولم يخف عن اللعين ابن رذمير هذا التدبير ، فآسفه وغاضبه [3] وقال : هؤلاء الفعال الصناع

1) فى الاصل : البرشلولي ؛ والذي يشير إليه ابن القطان هنا من معادنة المسلمين لقومس برشلونة ودفعهم الجزية له جديد لا نعرفه فى أي مرجع آخر من المراجع التي تحدثت عن ملابسات وقعة إفراغه (بالاسبانية Fraga) ؛ أما هذا « البرشلوني » فلا بد أنه يعني به « ريمند بن برنجار » (المعروف في المراجع الاسبانية باسم Ramón Berenguer III والملقب بالعظيم El Grande) ، ولى إمارة برشلونة بين سنتي 1096 و 1131 م. (497 ـ 525 هـ .) ؛ ويبدو من الغريب أن يصل الامر بالمسلمين إلى دفع الجزية له ، إذ أن هذا الامير لم يعرف له كبير نشاط من الناحية العسكرية ضد المسلمين ، وكل ما عرف من ذلك عنه هو توجيهه حملة غير موفقة إلى مسلمي مدينة مربيطر Murviedro سنة 499 هـ . (1098) ثم اشتراكه مع القراصنة الجنويين والبيزيين فى غزو جزيرتي ميورقة ويابسة سنة 508 (1114) ، وحتى هذه الحملة لم يتح لها نصيب كبير من النجاح ، إذ أن القوات المتحالفة اضطرت إلى الجلاء عن ميورقة ويابسة فى سنة 509 بعد أن وجه علي بن يوسف أسطولا كبيرا لاستنقاذهما (انظر مقالنا « وثائق تاريخية . . . » ص 158 ـ 160) ؛ أما أبناء ريمند ابن برنجار الذين وزع عليهم مملكته بعد وفاته فلم يعرف لهم أيضا نشاط حربي يذكر (انظر عن حكم هذا الامير كتاب أجوادو بلييه : تاريخ إسبانيا فى العصور الوسطى ص 632 ـ 634) . وعلى أية حال فلهذا النص قيمته في بيان ما كان بين مملكتي برشلونة وأرغون من تنافس .

2) فى الاصل : ويسترحون .

3) كذا فى الاصل ، وربما كان الاقرب : وأغضبه ، وقد تكون : وغاضه ، فالناسخ كثيرا ما يخلط بين الضاد والظاء .

يؤدون الاتاوة للصانع الفاعل، ولو أعطوني أنا درهما واحداً لاخذته، ويعلم أني قهرتهم وغلبتهم ! وحلف بأيمان مغلظة عنده : لانزلن على تلك البلاد * التي يؤدون عليها الجزية [1] ، فأصيرها فى ملكي ، وأقطع منفعتها عن (77 ب) الفاعل الصانع البرشلوني، حتى يعلم أهل الارض أني قهرتهم فى كل وجه!

فجيش جيشه ، ونزل على مدينة إفراغة ، لما كانت أمنع تلك المدن وأحصنها ، وأهلها أسد ذلك الصقع ، فنازلها وأقسم بجميع أيمانه لا يقلع عنها حتى يستحوذ عليها .

وكان القائد ببلنسية يدر بن ورقاء [2] ، والقائد بمرسية يحيى بن علي بن غانية [3] . فلما مات يدر جمع علي بن يوسف عمله إلى ابن غانية

1) فى الاصل : الخزية .

2) سبق أن علقنا على شخصية أبى عبد الله يدر بن ورقاء هذا (ص 109، حاشية 3) .

3) هو أبو زكريا يحيى بن علي بن غانية الصحراوي ، وغانية اسم أمه ، وتزوج عامل قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانية هذه بعد موت أبيه وكفله ، فنشأ يحيى فى كنفه ، وولاه مدينة إستجة Ecija فهي أول ولاية له ، ثم رغب يدر ابن ورقاء صاحب بلنسية إلى السلطان علي بن يوسف في توجيه يحيى إليه ليستعين به على العدو لما اشتهر من بسالته وغنائه فأجيب إلى ذلك ، ووصل يحيى إلى بلنسية وأقام بها ، ويبدو أن يدر بن ورقاء أسند إليه عمل مرسية من قبله في سنة 511 على ما يذكر ابن عذارى في القسم المرابطي من البيان ، فلما توفى يدر بن ورقاء في سنة 524 ضم علي بن يوسف عمل بلنسية مع عمل مرسية إلى يحيى بن غانية كما يذكر ابن القطان هنا ، وأصبح نظره بذلك يشمل شرق الاندلس كله . وقد ظهر غناؤه وطار صيته ولا سيما بعد هزيمته لابن رذمير (ألفونسو المحارب) فى إفراغه سنة 528 ، كذلك كان له بلاء عظيم فى مدافعة النصارى عن مدينة الاشبونة (لشبونة) فى غرب الاندلس ، ثم ولاه تاشفين بن علي على قرطبة فى سنة 538 ، فاستقامت أحوال الاندلس بحسن سيرته إلى صفر من عام 539 حينما نشبت ثورة ابن قسى بغرب الاندلس على المرابطين ، ثم ثورة أبن حمدين بقرطبة ، وكان يحيى قد توجه

فسكن مدينة بلنسية ، واجتمع عليه عسكرها . ولما طاول ابن رذمير حصار مدينة إفراغة وضاقت بهم الامور كتبوا إلى يحيى بن غانية يشكون إليه [1] ويرغبون إليه في إدخال القوت عندهم ، فما بقي لهم من القوت إلا اليسير ، وإن أنت لم تفعل خضعنا لابن رذمير وأعطيناه المقادة » .

فلما قرأ كتابهم نظر لهم في الميرة ، واستجاش وأرضخ [2] العطاء لاهل عسكره ، وأخبرهم أنه باق على لقاء عدوه ابن رذمير ، وأعتق بعض إمائه [3] وعبيده ، وكتب وصيته . فقال له بعض خاصته : تغزو بهذا العسكر وليس للمسلمين عسكر بالاندلس سواه ؟ فكيف تلقى علي بن

إلى لبلة Niebla لاخماد ثورة ابن قسي حينما بلغته ثورة ابن حمدين ، فكر راجعا إلى إشبيلية فثار به أهلها وناصبوه الحرب فلجأ إلى حصن برجانة، ثم تحرك إلى حرب ابن حمدين فهزمه واستولى على قرطبة في شعبان سنة 540 ، ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه في دخول قرطبة وأبلى ابن غانية في دفاع النصارى أحسن البلاء ، ودخل الملك القشتالي قرطبة بالفعل حينما بلغته أنباء استفحال سلطان الموحدين، فرأى من حسن الرأي أن يهادن ابن غانية ، حتى يكون سداً بينه وبين الموحدين ، واستقر يحيى بقرطبة ، وتنقل بعدها بين شتى قواعد الاندلس حتى لجأ أخيراً إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين بالاندلس فاقام بها شهرين ثم توفي في الرابع عشر من شعبان سنة 543 (ديسمبر 1148) ، وكان ليحيى أخ هو محمد الذي ولي في سنة 520 على جزيرة ميورقة ، واستقر بها نسله مكونين بها إمارة مستقلة خلال نحو قرن (انظر الترجمة الضافية التي أفردها ابن الخطيب ليحيى ابن غانية في الاحاطة - مخطوط الاسكوريال رقم 1763 - ورقة 391 - 392 ؛ والبحث الذي أفرده المستشرق الاستاذ ألفريد بيل Alfred Bel عن بني غانية « Les Benou Ghanya » - ط . باريس سنة 1903 - ص 1 - 14 والمراجع المذكورة في ثنايا البحث .

1) في الاصل : يشكوا إليها .

2) مشتق من الرضخ وهو العطية ، ويقال راضخ الرجل أي أعطاه من ماله وهو كاره .

3) في الاصل : وإيمائه .

يوسف بعد [1] اليوم وقد انهزمت ؟، (قال [2] :) فليصنع بي ما شاء، إلا إن فتح الله تعالى للمسلمين في هذا الغزو ! .

وقصد قصده. وكان اللعين ابن رذمير مل الثواء والاقامة على مدينة إفراغة . ونشب في يمينه التي خرجت منه، وكان قد جاءه بعض الرهبان من داخل الفرنجة ، وقال له : أنا أدعو عليهم ، فينهدم حصنهم ، وتدخل عليهم عنوة ! وصح قوله ذلك عند ابن رذمير وجاء هذا الراهب إلى قرب سور إفراغة ، فصعد ربوة من الربى ، ونظر السور ' وكان خبر الراهب قد سمع به أهل إفراغة ، فلما رأوه قائما على الربوة لم يشكوا * في خبره (78أ) أنه هو ' وكان عندهم منجنيق قوى ، فصوبوه إلى الربوة وغرض الراهب ووضعوا في كفته حجراً كبيراً ، ورموا به إلى غرض الراهب وهو في دعائه على المسلمين يجد جده ، فأصابه حجر المنجنيق على هذه الحالة ، فذهب بنصفه وبقي نصفه في موضعه !

وقد كان اللعين ابن رذمير تهيأ للدخول ، وعسكره واقف بإزائه بإزاء الراهب ، فلما رأى ذلك هاله وانصرف إلى موضع محلته مهين النفس خائب الامل، ثم ما زال أمره مختلا. وأهل إفراغة يدبرون الحيل عليه، وهو يدبرها أيضا عليهم ، إلى أن وافت عساكر المسلمين. فلما نظر أهل إفراغة إلى مجيئها ، وخرج ابن رذمير من معسكره إليهم ، فتحوا باب مدينتهم وخرجوا الى محلته ، فنهبوا جميع ما كان [3] فيها من الطعام والادم ، وأدخلوه مدينتهم ، ولقي اللعين ابن رذمير المسلمين موقنا بالظفر والغلبة على عادته ، فانعكس عليه الامر ، وكانت الدائرة عليه ، فأهلكه الله تعالى وجنوده ، وقتلهم المسلمون أبرح قتل .

---

1) في الاصل : على بعد .

2) إضافة يقتضيها السياق .

3) في الاصل : كانوا .

ومن أغرب مـا جرى من أخبار هذه السنة أن طائفـة من النصارى لجأوا الى كهف ظنوا أنه ينجيهم ، فسقط عليهم ، فلم ينج منهم أحد آيـة من الله عز وجل ؛ وفر اللعين ابن رذمير فى شرذمة قليلة جدا ، ولحق بمدينة سرقسطة واله العقل مخبول الذهن ، واستخذى للمسلمين الذيـن فيها ، وألان لهم القول ، ثم خرج منها الى وشقة فـأقام بهـا مختبلا أشهراً قليلة ، وحان أجله إلى نار الله الحامية [1].

وولى قضاء فاس في هذا العام عبد الحق بن عبـد الله بن معيشة [2] فأراق الخمر ، وكسر الدنـان ، وتشدد على أهلهـا ، وكتب الى علي بن

---

1) ذكر ابن الاثير (الكامل 8 / 351) أن ابن رذمير لم يعش بعد هزيمته في إفراغة إلا عشرين يوما . والواقع أن المراجع المسيحية لا تتفق على تاريخ وفـاة الملك المسيحي ، فحوليات ألفونسو السابع تجعل وفاته فى 25 يناير سنة 1134 ، وهو أمر مستحيل اذ معناه أنه توفي قبل معركة إفراغـة بسبعة أشهـر ، ويـرى الاستـاذ كـوديرا أن أرجح الاقوال هو ما ذكره خيمينث دى إمبون Jiménez de Embún الذي يقول إن وفاة ألفونسو المحارب كانت فى 7 سبتمبر من هذه السنة أي بعـد معركة إفراغة بنحو شهرين ، وهو ما يمكن أن يتفق مع ما يذكره ابن القطان هنا (انظر اضمحلال دولة المرابطين ص 271 ـ 272) .

2) أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة ولي قضاء فاس بعد وفـاة أبـي عبد الله محمد بن داود . وقـد احتفظ لنا بجملة من أخباره ابن أبـي زرع فى روض القرطاس (1 / 86 ـ 88 ، 101) ، وانظر كذلك ابن عـذارى : البيـان المغـرب (1 / 312) .

يوسف إن الجامع ضاق عن المصلين ، فأذن له في الزيادة فيه ، فكان البناء فيه في بقية هذه السنة (1) .

1) يذكر ابن أبي زرع في حديثه الطويل عن جامع القرويين بفاس أن الذي يرجع اليه فضل الزيادة في المسجد هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن داود الذي كان قاضي المدينة في أيام علي بن يوسف قبل ابن معيشة، وكانت فاس قد كثرت فيها العمارة حتى ضاق الجامع بكثرة الناس في أيام الجمعة حتى كانوا يصلون في الاسواق والشوارع والطرق ، فاستأذن ابن داود علي بن يوسف في الزيادة فيه فأذن له ، وبدأت أعمال الزيادة التي يبسط ابن أبي زرع وصفها، وأتم تركيب الباب والقبة في شهر ذي الحجة سنة 528 ، ثم توفي القاضي ابن داود فولى القضاء بعده ابن معيشة المذكور، فواصل أعمال الزيادة كما جعل الابواب مغشاة بالصفر وعمل أمام الباب قبة وزاد في سعته ، وبدل الصومعة ، وشرع في بناء المحراب والقبة التي عليه منقوشين بالذهب واللازورد وأصناف الاصبغة ، فتم له كل ذلك ، وجاء على غاية الكمال ، ثم ولي قضاء فاس أبو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي، فواصل أعمال الزيادة والنقوش حتى شعبان سنة 538 ، على أن كثيراً من هذه النقوش والزخارف قد غطي وزال اذ أنه لما أوشك الموحدون على دخول المدينة خشي فقهاؤها أن ينتقدوا عليهم ذلك فعملوا على تغطيتها (انظر ابن أبي زرع : الروض 1 / 83 ـ 89) .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاثين وخمسمائة
أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة كانت وقعة مصكروطن [1]، وخروج سير بن (علي بن) [2] يوسف الزرجاني .

قال البسع :

إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه هبط قبل عام أحد وثلاثين إلى أجرفرجان ومصكروطن ، وخرج المجسم سيـر بن علي بن يوسف (وهو ولي) [3] عهد أبيـه بالجيوش ، وسيـدنا الخليفة رضي الله تعالى عنـه (متعلق) [4] بالجبـال ، يطاول في حروبه ، فإذا رأى ضالتـه وثب عليها وثوب الليث علـى الفريسة ، فالتقوا علـى مصكروطن ، فهزمهم سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، وكانت وقعة أخذ فيها من أموال المجسمين شيء عظيم .

وغزوة تادلا .

قال ابن صاحب الصلاة :

إنهـا أول غزوات سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه بعـد

---

1) يسمى البيذق هذا الموضع « مسكروطان » (أخبار المهدي ص 129) .

2) في الاصل : سير بن يوسف ، والصواب ما أثبتنـا حسبما سيأتي في هـذا النص بعد قليل .

3) كـلمتان مطموستان في الاصل ، ولعلهما ما قرأنا .

4) بياض في الاصل بقدر كـلمة ، ولعها مـا كتبنا أو شيء في معناها ، وانمـا أثبتناها لان هذا التعبير سيتكرر بعد ذلك في النص على نحو ما ذكـرنا .

الاعلان في عام ثلاثين [1] ، فميز الجيش بتينملل ، وقسم البركة ، وتشاور مع الموحدين أعزهم الله تعالى في أي وجهة يقصد ، فأشاروا بتادلا ، فأضمر ذلك في نفسه سرا ، ثم نهض موريا بوجهته حتى صبح تادلا وجهاتها ، فقتل وسبى ، وامتلأت أيـدي الموحدين أعزهم الله تعالى .... [2] ، ففر عنه [3] أصحابه وتركوه ، فكر منصرفا ، فكبا به فرسه وسقط عنه ، فأدركه الموحدون أعزهم الله تعالى وقتلوه .

أخبار غيرهم :

منها موالاة تأثير الجراد في زرع الاندلس التاثيـر الفاحش، وموالاة البناء في الزيادة في جامع فاس على يد القاضي ابن معيشة ، وتوزع المال الذي ينفق في ذلك على أهلها وسد ثلمات [4] سورها ، وزاد فيه أبراجا ، وبني سورا يحيط بالمقابر ،* وتوزيـع عشرين ألف دينار على أهل فـاس (79 أ) معونة للجيش ، بكتاب علي بن يوسف الزرجاني .

والعباسي في هذه السنة هو الراشد .

1) يجعل ابن أبي زرع خروج عبد المؤمن لهذه الغزوة في الرابع والعشرين لربيع الاول سنة 526 (روض القرطاس 2 / 132) ، ويذكر السلاوي نقلا عن ابن مطروح القيسي أن عبد المؤمن سار في شوال سنة 526 اولا الى مراكش ، فحاصرها ثم ارتحل عنها ثم الى تادلا، الى سلا. فتلقاه اهلها مطيعين، فدخلها في الرابع والعشرين من ذي الحجة في السنة المذكورة (الاستقصا 2 / 98) . كذلك جعلها ابن خلدون في سنة 526 ، وذكر انها كانت قبل غزوة تاسغيموت (العبـر 6 / 22) ، ويوافـق صاحب الحلل الموشية هؤلاء المؤرخين على أن غزوة تـادلا كانت أولى غزوات عبـد المؤمن بعد اعلان البيعة له (ص 118) . وانظر أويثي : تاريخ 1 / 114 .

2) يستشف من السياق أن هناك كلمات سقطت من النص في هذا الموضع .

3) لسنا نعرف على من يعود الضمير هنا ، ويبدو أن اسم القائد المرابطي الذي يعود عليه الضمير قد سقط في الخرم الذي أشرنا إليه في الحاشية السابقة ، على أننا نقطع بأن القائد المعني ليس هو سير بن علي بن يوسف المذكور قبل ذلك . فهو لم يمت في هذه الوقعة .

4) كلمة غير واضحة في الاصل .

بـــاب

ذكر أخبار سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

لا أدري ما كـان فيها من غزوات الموحدين أعزهم الله تعالى غيـر أن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه متعلق بالجبال ، وأمره في غاية الاستفحال [1] .

وذكر ابن صاحب الصلاة لـه رضي الله تعالى عنـه غزوة إلى بني يبغز [2] لم يؤرخها ، وقال إنها ثالثة غزواته رضي الله تعالى عنه ، فهي في هذه السنة أو ما يقاربها . قال إن سيدنا ومولانا الخليفـة الإمام رضي الله تعالى عنه لما أراد النهوض من حضرة تينملل لغزو بني يبغز [3] تقدم إليهم مـن إخوانهم المجاورين لهم مـن أنذرهـم ونصحهم ، فانقادوا وأذعنـوا ووحدوا ، فقدم أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنـه عليهم ، وانصرف إلى تينملل قافلا ظافرا ظاهرا .

وكـان في هـذه السنة بالاندلس غزوة تاشفين بن علي بن يوسف لخيل من النصارى ، فهزمهم على مقربـة من قصر عطية ، واحتـوى على أسلابهم وانهابهم ،

وغزوته أيضا التي نازل فيها أشكلونـة ، فدخلها المسلمون بالسيف علوة ، وقتلوا كل من فيها ، وأسروا نساءهم واحتووا على أسلابهم وأنهابهم

1) في الاصل : الاستعجال .

2) في الاصل : يبغز .

3) في الاصل : يغز .

ظافرين [1] ، وساقوا جملـة من نسائهم وغنائمهـم ، وسيقت نواقيص [2] كثيرة فيها ناقوص [2] عظيـم ، وكان يوم دخول ذلك كله بروز عظيـم بقرطبة وسرور كثير .

وفيها كان بناء تاشفين الناعورة [3] على النهر الاعظم بقرطبة .

وخروج الجراد وإضرارها بالزرع كثيرا .

وكان في هذه السنة تمام الزيادة في جامع فاس ، وعزل ابن معيشة عن قضائها [4] .

والعباسي في هذه السنة هو الراشد .

---

1) أشار ابن أبى زرع أيضا إلى هاتين الغزوتين من غزوات تاشفين ، وفيمـا يلي نص ما يقول (روض القرطاس 2 / 91) : « وفي سنـة 530 هزم الامير تاشفين جموع الروم بفحص عطية وأفنى منهم خلقا كثيراً . . . وفي سنة 532 جاز الامير تاشفين من الاندلس إلى العدوة بعد أن غزا مدينة أشكونية (كذا ، وفي الطبعات الفاسية للروض : أشقولية) وحمل من سبيها إلى العدوة ستة آلاف سبية وفتحها عنـوة ، فوصل إلى مراكش ، فتلقاه والده علي أمير المسلمين في زي عظيم وفرح بـه » . كذلك تحدث عن غزوة تاشفين لفحص عطيـة ابن عذارى في القسم المرابطي المخطوط من البيان المغرب ورقة 21 ظ ؛ وقد نقل السلاوي ما كتبه ابن أبى زرع (الاستقصا 2 / 62) . على أن خبر ابن القطان أكثر دقة في تحديد المواضع والتواريخ ، وهاتان الغزوتان كانتا في غرب الاندلس (البرتغال الحالية) . وانظر ما كتبه عنهما كوديرا في بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 141 ـ 142 ؛ وتحقيق أويثي لهمـا في بحثه « روض القرطاس والمرابطون » ـ مجلة إسبريس ـ الرباط سنة 1960 ـ ص 540 .

2) كذا في الاصل .

3) فى الاصل : الناعوت .

4) ذكر ابن أبي زرع أن ابن معيشة عزل والمنبر والبناء وباب الجنائز والصحن من جامع القرويين بفاس لم يكمل بناؤها بعد ، وأن متولى القضاء بعده ، وهو أبـو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي هو الذي أتم كـل ذلك ، وكـان الفراغ منـه فى شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائـة (روض القرطاس 1 / 88)

بـــاب

ذكرى أنباء سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

(79 ب) في هذه السنة* كانت هزيمة زناتة بجبل غياثة [1] ، وذلك أنه تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه من حضرته تينملل ـ زادها الله تشريفا ـ إلى جبل غياثة ، ونزل به ، فخرج المجسم سير ابن علي بن يوسف ولي عهد أبيه في عساكره يريد غياثة ، فنزل بجراندة [2] بمقربة من المقرمدة عند وادي أبي حلوا ، ونزلت محلاته بها، فوافاه بها عسكر الغرب عليهم عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت المجسم [3] . فنزل قريبا منه على أميال . وحشدوا زناتة . فاجتمعت لهم

1) ينفرد ابن القطان بالحديث عنهذه الغزوة دون سائر مؤرخيالدولة الموحدية.

2) يسميها ابن عذارى : كراندة ، ويعرفها بأنها الجبال المجاورة لفاس (البيان المغرب ـ القسم الموحدي ـ ص 12) .

3) أبو بكر بن ابرهيم المسوفي الصحراوي المعروف بابن تيفلويت جد عبد الله هذا كان من امراء المرابطين المعروفين، وهو صهر علي بن يوسف كان زوجاً لاخته وأباً لولده منها يحيى، وهو الذي كان واليا على غرناطة سنة 500 ثم على سرقسطة حتى وفاته في سنة 510 (انظر في ترجمته ابن الابار : معجم شيوخ ابي الصدفي ص 67؛ ابن الخطيب : الاحاطة ـ ط . عنان ـ 1 / 412 ـ 417 ؛ ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي ـ الاسكندرية سنة 1960 ـ ص 443) ، أما أخت علي بن يوسف المذكورة فهي فانو أو فنو التي كانت أماً ليحيى ـ أبي عبد الله المذكور هنا ـ ولعلي بن ابي بكر الذي عرف ايضا باسم « ابن فنو » ، وكان واليا على غرناطة في سنة 539 أثناء ثورة ابن اضحى على المرابطين (انظر ابن الابار : الحلة السيراء ـ ط . دوزي ـ ص 208 وما بعدها) . ويكاد ابن القطان يكون المؤرخ الوحيد الذي احتفظ لنا بأخبار عن عبد الله بن يحيى (بن فانو أو فنو) المذكور هنا (انظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تاشفين ص 114 ـ 116 ، ونلاحظ أن هذا الباحث خلط بين يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ويحيى بن غانية) .

جموع من قبائلهم يقدمهم يحيى بن فانو [1] ، وهو أخو عبد الله بن يحيى لابيه ، فكان عسكر يحيى هذا نيفا على خمسة آلاف فارس .

وعنـد احتفال جموعهم هذه وحـد زيري بن ماخوخ [2] من أشيـاخ

---

1) إذا صح هذا النص وكـان هذا القائد المرابطي المشهور أخاً لعبد الله بن يحيى بن أبي بكر المذكور قبل ذلك فمعنى ذلك أن صحة اسمـه « يحيى بن يحيى بن أبي بكر»، ففانو اذن التي ينسب اليها ليست أمه في الواقع وانما هي أم أبيه يحيى وقد تـكون نسبته اليها بسبب شهرتها لـكونها أخت علي بن يوسف بن تـاشفين سلطان المرابطين . ولا نعرف من أخبار يحيى هذا الا ما ذكره البيدق من أنه كـان عاملا على آخر سيف حينما دخلها محمد بن تومرت بعد عودته من رحلته الى المشرق، إذ يقول إن المهدي حينما حل بآخر سيف وأقبل على الامر بـالمعروف والنهـي عن المنـكر استصرخ به عامتها وكـانت قتلت نعامة لوزير يحيى فعزم الناس بها ألف مثقال فطلب عامـة البلد من ابن تومرت الشفاعة لهم لدى العامل فسار ابن تومـرت إلـى يحيى (بن يحيى) بن فانو وأعلمه بالامر فأنـكر يحيى ذلك وأمـر أن يعزم الوزيـر ما اخذ من الناس من المظالم وهم بقتله فقال له المهدى : ما عليـه قتـل إنما عليـه الادب ورد المظلمة (أخبار المهدي ص 62) ، ونرى ممـا يذكـره ابن القطـان هنـا أنه كـان يتولى قيادة عسكر تلمسان في سنة 532 وأنه توفي أثنـاء قتالـه للموحديـن لمرض أصابه كـما سيأتي .

2) لعل زيرى بن ماخوخ هذا هو الذي يذكره ابن خلدون باسم « أبي بكـر ابن ماخوخ » وكـان من قواد المرابطين على زناتة ومن أمراء قومه بني ومانو ، وقد خرج بعد ذلك على المرابطين وأصبح من كـبار قواد عبد المؤمن بن علي ، ويقـول ابن خلدون إنه وصل إلى عبد المؤمن وهو بمكانه من الريف هو ويوسف بـن يـدر أحد أمراء بني ومانو أيضا فبعث عبد المؤمن معهما ابن يغمور ويوسف بن وانوديـن في عسكر من الموحدين فأثخنوا فى بلاد بني عبـد الواد وبني بـاجدى سبيا وأسراً ، وأمدهم عساكر لمتونة ومعهم الربرتير قائد الروم فاجتمعت عليهم زناتة وبنو عبد الواد فأوقعوا في بني ومانو واستنقذوا غنائمهم وقتـل أبـو بكـر (زيري) بن ماخـوخ في ستمائة من قومه ، وذلك فى سنة 537 ؛ وكـان لابي بكر هذا أخ اسمه تـاشفين بـن ماخوخ خرج بعد هزيمة أخيه ومقتله صريخا إلى عبد المؤمن على لمتونة وزناتة، فارتحل معه إلى تلمسان ، فـأمره على قومه وسيره لقتـال عسكر بجاية الذيـن استنجد بهـم المرابطون فهزم تاشفين ذلك العسكر هزيمة شديدة (انظر البيذق : أخبـار المهـدي ص 108 ؛ ابن خلدون : العبر 6 / 230 ـ 231 ؛ السلاوي : الاستقصا 2 / 94 ـ 95).

زناتة ، ولحق بسيدنا ومولانا الخليفة الامـام رضي الله تعالى عنه ، وطلب عسكرا تظهر به خدمته فـي عساكر الغرب فأعطى حصة قدم عليها أحـد أشياخ الموحدين أعزهـم الله تعالى ، فضرب على محلاتهم وهـم غارون ، فانهزموا وقتل من أدرك ، وسبى محلاتهم ، وجلا الفتح والسلب إلى أعلى جبل غياثة للمحلة المباركة المؤيدة المنصورة

ومات يحيى بن فانو قائد عساكر تلمسان من زناتة وغيرهم لمرض أصابه ، فوجه الزرجاني سير بن علي ولـده محمد بن يحيى بن فانو [1] عوضا منه ليتدارك جموع زناتة قبل افتراقهم ، فكان كذلك ، اجتمعت عليه عساكر أبيه ، فوصل بهـم ونزل على مقربة من وجدة ، وكـانت طلائعهـم على محشر قلال .

1) أشار البيذق وابن عذارى وابن خلدون والسلاوي وابن الاثير إلى المعارك التي دارت بين محمد بن يحيى بن فانو هذا وعبد المؤمن بن علي ، ويبدو أن هذه المعارك اتصلت ما بين سنة 532 التي يعرض ابن القطان أخبارها هنا وسنة 537 التي تنص المراجع الاخرى على أن مقتل ابن فانو حدث فى خلالها ، ويفصل ابن عذارى هذا الخبر فيقول إن الموحدين كـانوا قد اقتسموا فى سنة 537 بعد وفاة علي بن يوسف ابن تاشفين على ثلاث فرق : فرقة منهم بجبل غياثة ، وفرقـة بجبـل الريف بطويـة ومليلة وغمارة ، وفرقة مع يوسف بن وانودين وابن زجـو وابن يومور . وتوجهوا إلى جبل مديونة وجهة تلمسان ، فخرج إليهم الوالي على تلمسان حينئذ محمـد بن يحيـى ابن فانو بعسكر من زناتة وغيرهم فالتقى معهم وقتل محمد بن يحيى المذكـور في واد كان هنالك ، وانهزم عسكره ، وينص ابن خلدون والبيذق على أن الذي أوقع بمحمد بن يحيى وقتله هو القائد الموحدي يوسف بن وانودين ، ويذكـر هذا المؤرخ الاخير أن هذه الغزوة كانت فى خندق الجمر الذي يسمى بوادي الزيتون وأن ابـن وانودين قتل فيها قائداً مرابطيا آخر مع ابن فانو يسميه أبا بكر بن الجوهر (انظـر أخبار المهدي ص 94 : العبـر 6 / 230 ؛ البيـان المغرب ص 14 ؛ الاستقصا 2 / 94؛ الكامل 8 / 299 ؛ وانظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تـاشفيـن ص 115 ؛ أويثي ؛ تاريخ 1 / 115 ـ 116 ، 127) .

واتصل بسير بن علي أن سيدنا ومولانا الخليفة الامام رضي اللـه تعالى عنه يريد بلاد غمارة . فنصب له ألفي فارس على طريقه: يقيم الالفان جمعة ، ثم يبدلون بألفين آخرين ، هكذا يتناوبون طول مدة المقام بجبل غيائة ، وكان المقام به شهرين اثنين .

وإن زيري بن ماخوخ راسل إخوانه من زناتة ، واتفق معهم على أن يعملوا الهزيمة يوم* اللقاء ، فوجه سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى (80 أ) عنه حصة مختارة مع زيري بـن ماخوخ من جبل غيائة حتى وصلوا إلـى محلة محمد بن يحيى مـع زناتة ، فضربوا فيهم فركبـوا وهيأوا صفوفهـم . وعبأوا عسكرهـم ، فاقتتلوا معهم ، وكان يوما شديدا ، وكان النصر فيـه للموحدين أعزهم الله تعالى ، فانهزمت قبائل زناتة وعسكر محمد بن يحيى.

أخبار غيرهم :

فى هذه السنة كان انصراف أبي جعفر ابن حمدين عن قضاء قرطبة، وولاية أبي القاسم ابن رشد (1) لقضائها .

---

1) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، ولد سنة 487 ، ووالـده هو قاضي الجماعة الفقيه المعروف الذي توفي سنة 520 ، أما أبو القاسم المذكور فقـد لازم أباه كثيرا وأخذ عنه ، ولي قضاء الجماعة سنة 532 بعد صرف أبي جعفر ابن حمدين الذي ولي في سنة 529 كما ذكـر ابن القطان من قبل ، ولكـن ابن رشـد استعفي من هذا المنصب بعد فترة قصيرة ، ويقول ابن بشكوال إنـه كان محببا إلى الناس طالبا للسلامة منهم بارا بهم ، وكانت وفاتـه فى 13 رمضان سنة 563 (انظـر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 172 ؛ وابن الابار : المعجم ، ترجمـة 38) .

ووصول المجسم تاشفين بن علي بن يوسف من غرناطة إلى قرطبة، وخروجه منها إلى العدوة مستدعى من أبيه [1] .

وخروج العدو [2] دمره اللـه تعالى إلى بلـد المسلمين في جيـش عرمرم ، فأجازت جملة منهم الوادي الكبير في أعلاه بمقربة من بياسة وأبدة . ووصلت بالغارة إلى البراجلة ، وأوقعت بالمسلمين نكاية صغرت في جانب ما وقى الله تعالى بتوالي نزول المطر وإكبابه مدة من عشرين يوما ، فمد النهر ، ولم تقدر الخيل المغيرة على عبوره إلى محلتهم، وصنعوا معادي للجواز ، فانقطع بعضها وغرق من كـان فيها ، وتبعهم قائـد جيان ، فأصاب منهم فوارس . وانصرف العـدو ـ دمره الله تعالى ـ بعد أن قاتل حصن شبيوطة من عمل أبدة فأعجزه ، وارتاد تاشفين لما خرج من قرطبة نحو العدوة مدافعتهم ، فتلوم لاجل المطر وغيره أربعين يوما ، فكفى الله تعالى أمر النصارى ، وأجاز البحر في صدر جمادى الاولى ، ودخل مراكش في أول رجب من هذه السنة .

وفي هذه السنة كانت ولاية ابن المناصف [3] لقضاء غرناطة .

وفيها كان غزو المراكب المصرية التي وصلت من الإسكندرية ، منها

---

1) ذكر ابن الخطيب في ترجمته لتاشفين بـن علي أن خروجه من الاندلـس إلى المغرب كان في سنة 531 أو في 532 دون أن يقطع برأي في ذلك ، على أن ابن القطان كان أكثر دقة إذ سنرى في بقية هذا النص أن خروجه كان في جمادى الاولى سنة 532 ، ووصل إلى مراكش في أول رجب من هذه السنة (انظـر الإحاطة لابن الخطيب ـ ط ، عنان ـ ص 361) .

2) ينفرد ابن القطان بذكـر تفاصيل هـذه الوقائع ، وانظر كـذلك بحث الاستاذ أويثي : روض القرطاس والمرابطون ص 540 ـ 541 .

3) هو القاضي أبـو عبد الله محمـد بن أصبـغ الازدي القرطبي المعـروف بابـن المناصف ، وقد تكررت الاشارة إليـه فيما سبق .

المركب الغيطاني والمركب العجزي [1] ، وكانت عظيمة الجرم جدا ، وكانت فيها أموال عظيمة وخلق كثير [2] .

وفيها كان موت الراشد العباسي [3] ، وولاية عمه المقتفي لامر الله تعالى أبي عبد الله محمد .

---

1) كذا ، ولم نستطع تبين معنى هاتين الكلمتين .

2) يبدو هذا الخبر كما يرويه ابن القطان هنا غامضا مضطربا ، ولعله يشير إلى ما ذكره ابن عذارى في البيان المغرب (1 / 312 ـ 313) ـ ولو أنه يجعل ذلك في سنة 536 ـ من أن الحسن بن علي بن يحيى بن تميم صاحب المهدية استولى في تلك السنة على مركب كان لصاحب بجاية العزيز بن المنصور بن علاء الناس ، وكان قد أقلع من الاسكندرية ببضائع عظيمة وهدية إلى صاحب بجاية ، فتعرض له الحسن ابن علي المذكور واستولى عليه ـ وكانت العلاقات سيئة بين المهدية وبجاية ـ ويضيف ابن عذارى أنه كان مركبا كبيراً ، فأمر الحسن بن علي بتفريغه ، وبقي في ميناء بجاية فارغا حتى جاءت صدمة اكتوبر ـ هكذا يقول ابن عذارى ، ولعله يعني عاصفة شديدة هبت في هذا الشهر ـ فتكسر . إلا أنه استغل أخشابه فصنع منها مركبا جديدا ظل في مرسى المهديةحتى هجم عليه جرجي الصقلي بخمسة وعشرين غرابا (مركبا حربيا) فاستولى عليه في جملة ما غنمه من مراكب المهدية . وربما كان ابن القطان يشير إلى هذه الواقعة .

3) ولي الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد سنة 529 كما اسلف ابن القطان ، وتوفي سنة 532 ، وكان مولده سنة 502 ، وخرج بعد خلافته بقليل إلى الموصل لقتال السلطان مسعود بن محمد شاه السلجوقي ، فخذله أصحابه ، وقبض عليه السلطان مسعود وخلعه من الخلافة ثم حبسه إلى أن قتله في شهر رمضان سنة 532 بظاهر إصبهان (انظر النجوم الزاهرة 5 / 263) ، وولي بعده أبو عبد الله محمد الملقب بالمقتفي بالله بن أحمد المستظهر بن المقتدي .

وفيها كان موت عبد المجيد صاحب مصر [1] ، وكان قد عهد في حياته لابنه الاصغر وسماه الظافر ، فلما مات عبد المجيد اختلفت العسكرية، فقامت طائفة منهم مع ولده الاكبر ،* وقامت طائفة أخرى مع الاصغر ، (80 ب) وظهر الاكبر على الاصغر [2] ، وكان بالاسكندرية وال يعرف بابن السلار [3] ، فطلع بالعساكر والجنود لنصرة الظافر ، وزعم أن أباه جعله له حاجبا ، فكسر العساكر التي قامت مع الاكبر ، وقبض على الاكبر القائم،

---

1) أخطأ ابن القطان هنا مرة ثانية إذ أورد وفاة الخليفة الفاطمي الحافظ عبد المجيد في هذه السنة ، وإنما كانت وفاة الحافظ وولاية ابنه الظافر أبي منصور إسماعيل على مصر في جمادى الآخرة سنة 544 (انظر ابن تغرى بردي : النجوم 5 / 288 ، ابن الاثير : الكامل 9 / 24) ، هذا ويبدو أن ابن عذارى تابع ابن القطان على ذلك الخطأ ، إذ أرجح الظن أنه كان مرجعه فيما أورده من أخبار الفاطميين (انظر البيان المغرب 1 / 312) .

2) كان الظافر أبو منصور اسماعيل بن الحافظ عبد المجيد فعلا أصغر إخوته سنا ، ولد بالقاهرة سنة 527 (انظر ابن خلكان : الوفيات 1 / 214 ـ 215 ؛ ابن تغرى بردي : النجوم 5 / 288) ؛ على أننا لا نعرف في مختلف المراجع ما يشير إليه ابن القطان هنا من القتال بين الظافر وبين أخيه الاكبر .

3) هو أبو الحسن وأبو منصور علي بن إسحاق المعروف بابن السلار والملقب بسيف الدين الملك العادل ، كان كرديا من تربية القصر بالقاهرة وتقلب في ولايات الصعيد وغيره حتى ولي وزارة الظافر في رجب سنة 544 ، وكان الظافر قد استوزر أولا نجم الدين أبا الفتح بن مصال في أول ولايته ، ثم قدم ابن السلار من الاسكندرية لمحاربة ابن مصال ، فهرب هذا إلى الجيزة ، ودخل ابن السلار القاهرة ، وتولي تدبير الامور ، وحشد ابن مصال جماعة من المغاربة فانتصر عليه ابن السلار بدلاص في الوجه القبلي وذلك في أواخر سنة 544 ، وقد ظل ابن السلار على الوزارة حتى قتله على فراشه نصر بن العباس ، وكان أبوه العباس ربيباً لابن السلار ، وذلك في سنة 548 في شهر محرم، وسيورد ابن القطان خبر مصرعه (عن ابن السلار انظر ترجمته في وفيات الاعيان 3 / 92 ـ 95 ؛ الكامل 9 / 24 ـ 25 والدكتور حسن ابرهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ص 181 ـ 185) .

وكانت قد قدمت على الاسكندرية جارية كانت لعلي بن يحيى صاحب المهدية [1] ـ أفضت الإمارة إليه بعد وفاة أبيه ـ ولها جمال رائع ، فقيل لها: من أنت؟ قالت : من قصر صاحب المهدية، فبلغ خبرها ابن السلار [2] ......

.. ..

واليا عليها قدمه عبد المجيد المذكور ، وجعل له النظر لولي عهده الظافر، فارتفع قدره ، ونشأ العباس ربيبه فى رفاهية ، وتزوج وولد له ولد [3] .

فلما مات عبد المجيد المذكور ووطد ابن السلار دولة ولي عهده الظافر استوطن ابن السلار وربيبه العباس [4] مع أمه وزوجته وولده مصر ، وقدم وال آخر على الاسكندرية ، ويسمى هذا ابن السلار بأمير الجيوش شاهنشاه [5] سيف الدولة [6] . وكان والي مصر المسمى بالظافر

1) اسم هذه الجارية على ما تذكر المصادر الشرقية بلارة بنت القاسم بن تميم، بن المعز وزوجة أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي : وكانت قد وصلت إلي مصر في سنة 503 مع ولدها أبي الفضل عباس ، وكان طفلا إذ ذاك ، فتزوج منها ابن السلار واتخذ ابنها أبا الفضل عباسا ربيباً له درج في كنفه، حتى كان منه ومن ابنه نصر ما سيشير إليه ابن القطان بعد (انظر المراجع المذكورة في الحاشية السابقة) .

2) لم يترك الناسخ فراغا بعد هذه الكلمة ، غير أنه من الواضح أن عبارات سقطت من هذا الموضع ، وعلى أية حال فإننا نعرف من المراجع المصرية والشرقية أن ابن السلار تزوج من هذه الجارية واتخذ ابنها عباسا ربيبا له .

3) هو نصر بن العباس الصنهاجي الذي سيورد ابن القطان خبره دون أن يذكر اسمه .

4) في الاصل : العباسي .

5) في الاصل : شاه بن شاه .

6) الذي جاء في المراجع الشرقية أن لقبه كان « سيف الدين » ، وقد ذكر الدكتور حسن ابرهيم حسن أن ابن السلار كان سنيا غاليا على الرغم مما يشعر به ذلك اللقب « سيف الدين » من انضوائه تحت لواء المذهب الفاطمي (انظر تاريخ الدولة الفاطمية ص 183) .

من نحو ستة عشر عاما ، وكـان يميل إلى مخالطة الصبيان ، فدخل إليـه ولد العباس ، وتعرف به وخالطه .

فلما أراد الله تعالى إنفاذ وعده قال الظافر لولد العباس : اقتل ابـن السلار ، وتولي الحجابة أباك ونستريح معه . فعمل مـع بعض العبيد على قتله ، فقتله . فقام الناس والعباس يطلبون قاتله ولا يدرون من هو ، فقالت أم العباس للعباس [1] : والله ما قتله إلا ابنك ! فهم بقتل ابنـه ، فقالت له : تقتل ابنك وقـد قتل [2] محـل أبيك ، فتجمع عليك وزريـن [3] ؟ فكـف ، ورجع العباس حاجيا ، وذلك في سنة أربع وأربعين [4] .

فلما بقي أشهراً قال الظافر للصبي : قتلت ابـن السلار ، اقتل والدك العباس وتكون الحجابة لك ، ولا نجد من ينقـض [5] علينا فمـا زال حتى

---

1) في الاصل : العباسي للعباسي .

2) في الاصل : قيل .

3) في الاصل : فتجتمع عليك ورءين .

4) يختلف ما يذكره ابن القطان هنا عما أورده المؤرخون المشارقة والمصريون فبينما يجعل ابن القطان الخليفة الظافر هو محرض نصر بن عباس على قتل ابن السلار كافل أبيه ، ويقول إن عباسا لم يكن لديه علم بمشروع ابنه إذا بالمؤرخين المصريين يقولون إن عباسا نفسه هو الذي حرض ابنه على قتل ابن السلار ، وكـان ممن شجعه على ذلك أسامة بن منقذ ، وذلك أن ابن السلار أنفـذ عبـاسا إلى الشام ليشترك في قتال الصليبيين وكان في صحبته أسامة بن منقذ وابنه نصر ، فلمـا وصل إلى بلبيس تذكر طيب البلاد المصرية وعسر ما هو مقدم عليه من بـلاء الحرب ، فأظهـر شكـواه لاسامة بن منقذ ، فبين هذا له أنه يستطيع أن يتجنب كل ذلك بقتـل ابن السلار واتفق معه على أن يقوم ابنه نصر بتنفيذ خطة الاغتيال ، وأن ذلك إذا تم فإنه اي عباساً يستطيع أن يتولى الوزارة مكانه ، فعاد نصر إلى القاهرة ، وتولى القيام بهـذه الخطة الغادرة في 6 محرم سنـة 548 (انظـر الدكتور حسن ابرهيـم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص 184 ـ 185 والمراجع المذكورة في هذا الموضع) .

5) في الاصل : ينفص ، ويمكن أيضا أن تكون « ينغص » .

أسلم له. وأخذ فى ذلك مع بعض العبيد، فوشى العبد بذلك إلى العباس [1] فأشفق من ذلك ، ووجه عن ولده ، واستفهمه عن القصة ، وتوعده إن لم يصدقه ليقتلنه . فصدقه وعرفه أن الظافر أمر بقتله . فقال : لا بأس عليك! اعمل طعاما * وادع الظافر للاكل عندك والمبيت، وليأتك مستترا . فقال (81 أ) الصبي للظافر: بنيت دارا، واريد أن أعمل فيها طعاما، فعسى أن تشرفني وتكون أنت أول من يأكل طعامي فيها. قال له: وكيف يكون ذلك؟ قال: تأتي مستترا فى الليل في زي الاستاذين [2] ، وترجع مع السحر فى الغبش فأسعفه فى ذلك ، فلما كان بعد المغرب خرج مستترا إلى أن دخل دار العباس . فلما اطمأن به المجلس هجم عليه العباس ، وقتله ودفنه .

فلما أصبح وأقبلت الاجناد على جرى العادة إلى العباس ركب معهم (إلى [3]) القصر، وقال: نريد الدخول للظافر، فقيل له: هو مشغول، فقال : لابد من ذلك. وحمل الاجناد، فدخل القصر، فلما حصل فيه قال للصقالبة [4] أين الظافر ؟ قالوا : لا علم لنا . قال لهم : قتلتموه . فأرسل عن وجوه

---

1) في الاصل : العباسي .

2) يعني خدم القصر الخصيان .

3) زيادة يقتضيها السياق .

4) ورد في تاريخ أسامة بن منقذ وفي وفيات الاعيان أن العباس انما اتهم بقتل الظافر أخويه يوسف وجبريل فقتلهما (تاريخ أسامة ص 16 ـ 18 على ما يذكر الدكتور حسن ابرهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص 186 ؛ ووفيات الاعيان 1 / 214 215 ؛ 3 / 159 ـ 161) ؛ هذا وقد ذكر ابن القلانسي أن الظافر قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهما صالح بن الحسن حقيقة ، ولكن ابن تغري بردي الذي يورد هذه الرواية يقول إن جمهور المؤرخين اتفقوا على أن قاتله نصر بن عباس (النجوم الزاهرة 5 / 291) .

الناس والفقهاء والشيعة وقال لهم : ما جزاء من قتل ؟ قالوا : يقتل قال : فهؤلاء قتلوا الظافر وأخفوه . فضرب أعناقهم ، واستحوذ على القصر .

وكان في الصعيد [1] رجل تركي يعرف بكلكي [2] ، فسمع ما جرى . فعسكر وحشد ، وأقبل يريد مصر للعباس ، فسمع العباس خبره ، فأخذ جميع الاموال والذخائر وعياله وولده ، وخرج يريد الشام ليصير إلى حلب أو دمشق . فيجند ويدعو لبني العباس ويخلع العبيدية من مصر ، فخرجت إليه العرب والروم من عسقلان، فقاتلهم هو ومن معه، فقتلوا عن آخرهم ، واستولى العرب والروم على تلك الاموال .

وجاء التركي فدخل مصر ، فوجدها مقفرة وقصورها خالية وأموالها فانية ، فقال : يا قوم ، بقي من أهل البيت - يعني العبيدية - أحد ؟ قالوا : ما بقي إلا ولد للظافر من نحو خمسة أعوام . فأخرجه وأجلسه وسماه بالفائز بالله [3] ، وقام بحجابته ، وتلقب هو بالصالح .

وأما ولد العباس فحمل إلى بيت المقدس ، فاحتضنته أم الملك ، وكانت هي القائمة بالملك ، فصرفت الملك إليه - أعني ولد العباس - وتنصر وأقام معها ، إلى أن شرب مع خاصة قوادها وقال لهم : أنتم رغاء الامم ، تتبعون

---

1) في الأصل : السعيد .

2) كذا في الأصل ، ويبدو ذلك وهما من الناسخ ، فالمعروف أن والي الصعيد الذي استصرخ به نساء القصر اللاتي اتهمن العباس وابنه نصراً بقتل الظافر هو طلائع ابن رزيك الملقب بالملك الصالح الذي تكفل بالثأر من العباس وولي الوزارة حتى قتل أخيراً بدسيسة من صهره (زوج ابنته) الخليفة العاضد الذي كان آخر الخلفاء الفاطميين. وذلك في رمضان سنة 556 (انظر في ترجمته النجوم الزاهرة 5 / 311 وما بعدها ؛ ابن الأثير : الكامل 9 / 44 ؛ الدكتور حسن ابرهيم : تاريخ ص 186 - 187) .

3) هو أبو القاسم عيسى بن الخليفة الظافر أبي منصور إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد ، ولد في المحرم سنة 544 ، وولي الخلافة بعد مقتل أبيه الظافر في المحرم سنة 549 ، وتوفي في رجب سنة 555 ، عن إحدى عشرة سنة .

امرأة ذات فرج وتتركون من يملككم ديار مصر ؟ فنمى الخبر، للملكة فأمرت بتثقيفه . وخاطبت بني عبيد بأنها توجهه لهم ، فرفعوا لها فيه أربعين دينارًا مصريا ، وبعثته إليهم * في قفص من حديد ، فأدخلوه القصر في (81 ب) القاهرة . وقرضوا لحمه بالمقاريض . وحرقوه بالنار ، وذلك في سنة سبع وأربعين وخمسمائة [1] .

فهذه أخبار مصر إلى هذه السنة ، وتعذر تقطيعها على السنين فأوردناها هكذا جملة .

وكان بالمهدية حسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز من عام أربعة عشر وخمسمائة كما تقدم .

1) يتفق هذا الخبر في جملته مع ما أورده ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة (5 / 310 - 311) وإن كان ابن القطان قد انفرد ببعض التفاصيل الجديدة .

بـــاب

ذكر أخبار سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائـة
أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الامام رضي الله تعالى عنه من مدينة تينملل شرفها الله تعالى . ونزل في بلد بنـي ملول من منانـة الفحص من حاحـة ، فـزحف تـاشفين بن علي بن يوسف من مراكش بالعساكر ومعه الربرتير [1] ، فنزل بجيشه في تاحكوط من حاحة، وكانت منانة الجبل قد قتل علي بن يوسف أعيانهم . فوحدوا ، ثـم ارتدوا ، ثلاث مرات ؛ فأقام سيدنا ومولانـا الخليفة رضي الله تعالى عنـه في بني ملـول شهراً وثلاثة أيام يضرب عليهم ويقتلهم قتلا ذريعا في وعرهم العظيم ، فلما اجتمعت الغنائم وما في تلك الحومات من الحلى والثياب والزبيب والعسل والزيت والطعام والحنا وغير ذلك تحرك سيدنا ومولانـا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى قبيلة بني وجدزان ، ثم الى بني سوار من منانـة الجبـل ، وهم الذين قتل منهم (أبو) بكر بن علي بن يـوسف أشياخهم وأعيانهـم لاجل توحيدهم في كاسطت من منانة .

ثم سار سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه من بني سوار إلى أجـر فـرجـان ، فتبعـه المجسم تـاشفيـن ، وسـد [2] لـه الطريـق لئـلا ينفذ إلى جبل مزورح حيث الطريق ، فرتب سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه العساكر ، ولحقت بـه الجيوش من مزورح وغيره بالـدرق

1) في الأصل : اللبلتير .

2) في الاصل: ومد.

والرماح ، فكان القتال فى أجر فرجان ، فانهزم تاشفين ، وقتل أصحابه كل مقتل ، فضرب أخبيته وقاتل ، فأخرج عنها ، فانهزم ، ثم ضرب أخبيته ثلاث مرات حتى فر * بنفسه إلى جهة الميزقـانوت ، فضمت [1] السلاح (82 أ) وأحمال الثياب والنبال والمحلات والبغال والعبيد والحيوان وغير ذلك .

وكان عسكر جزولة قد وصلوا مدداً لمراكش فتثبطوا بها عن اللحاق بتاشفين ، حتى كانت الهزيمة عليه ، فوصلوا الى موضع الهزيمة، وطمعوا أن يستنقذوا [2] الغنيمة وأن يكون لهم أثر يرقع ذلك الخرق ؛ فجعلت لهم الكمائن والخنادق والاوعار ، وقدم سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه الغنائم بين يديه ، وقال للكمائن : إذا سمعتم الطبول فادفعوا

فضربت جزولة فى ساقة الغنيمة ، وقتلوا نـاسا ، وطمعوا في أن يحوزوا الغنيمة ، فلما توسطوا الوعر ضربت الطبول ، وخرجت الكمائن فقتلت جزولة عن آخرهم ، وأخذت دوابهم وأسلحتهم ، وكانوا آلافا من الفرسان والرجالة ، وسار أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه على أمسكر، وظن الجبل الجبل [3] على بلاد جنفيسة ظافراً ظاهراً، والحمد لله رب العالمين .

وقد قيل في هذه الغزوة غير هذا المساق وإن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه عزم على أن يبني حائطا في أضيق موضع من هذه المضايق يمنع به الملثمين من الانصراف إذا انصرفوا حتى يهلكوا في تلك الهضاب ، فأحس تاشفين بذلك ، فهرب نحو مراكش ، ورجعت عنه جزولة من رجراجة، وقد أرصد لهم في طريقهم عسكر عليه الشيخ أبو حفص أصناج

---

1) كذا ، وربما كانت تحريفا للفظ : وغنمت .

2) في الأصل : يستنفروا .

3) كذا في الأصل ، ولم نهتد إلى وجه في تأويلها .

فقتلهم واستاق من خيلهم إلى تينملل ثلاثة آلاف [1] فرس اقتسمتها الموحدون أعزهم الله تعالى وقووا بها ؛ ثم أنابت جزولة بعد ذلك ووحدوا [2] .

1) في الأصل : الألف .

2) يكاد ابن القطان ينفرد بهذا الخبر وما تضمنه من تفاصيل حول هذه الغزوة؛ انظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 1 / 117 ـ 118 .

أخبار الاندلس وغيرها في هذه السنة :

منها غزوة الزبير بن عمر [1] ، افتتح فيها حصن مورة .

وغزوة عسكر شنترين ويابورة لعسكر من النصارى * أرادوا دخول (82 ب) بلاد المسلمين ، فالتقوا على غير وعدة ، فكانت للمسلمين جولة ، ثم كر المسلمون عليهم . فانهزم النصارى - دمرهم الله تعالى - ، وقتلوا منهم خلقا كثيراً وأسروا منهم جملة ، واحتوى المسلمون على أسلابهم وأنهابهم .

وغزوة المسلمين للسليطين [2] : وذلك أن اللعين طاغية النصارى

---

1) في الأصل : الزبير بن عمراني ، والصواب ما أثبتنا ؛ وهو أبو محمد الزبير بن عمر ، كان من أعظم قواد المرابطين في الاندلس ، وكان على ما يذكر ابن الخطيب وزيراً لتاشفين بن علي بن يوسف أثناء عمله على الاندلس ، ووصفه ابن الصيرفي بأنه كان ندرة الزمان كرما وبسالة وحزما وأصالة (انظر الإحاطة - ط . محب الدين الخطيب - 1 / 279 ؛ وط . عنان 1 / 458) ، وقد اشترك في موقعة إفراغة التي هزم فيها المرابطون جيوش ابن ردمير (ألفونسو الأول المعروف بالمحارب ملك أرغون) سنة 528 (انظر ابن الأثير : الكامل 8 / 351) ، ولما استدعى علي بن يوسف ابنه تاشفين من الأندلس ليوليه عهده خلفه على عمل قرطبة سنة 533 ثم ضم إليه عمل قرطبة ، وظل عليهما حتى اشتشهد في المعركة التي دارت بينه وبين مونيو ألنسو Muño Alonso قائد طليطلة المسيحي ، وذلك في سنة 538 ، وتسميه المراجع المسيحية Azuel (انظر « نبذ تاريخية من أخبار البربر » ص 82 ؛ وأويثي : علي بن يوسف ص 111 ، 118 ؛ وكوديرا : انحلال دولة المرابطين ص 17 ، 27 - 28) وأورد ابن سعيد في المغرب (1 / 102 ، 242 ؛ 2 / 127 - 128) أخبار بعض من اتصل به من الشعراء ، ونقل بعض ذلك المقري في نفح الطيب (5 / 36 - 37) ، وكان في قرطبة متنزه مشهور ينسب إليه ويعرف بمنية الزبير (النفح 2 / 18) .

أما هذه الغزوة التي يشير إليها ابن القطان فلم تمدنا المراجع الاخرى بأي شيء عنها.

2) كذا ، ويفهم من السياق أن العبارة كان ينبغي أن تكون « وغزوة السليطين للمسلمين » .

السليطين (غزا [1]) أريليه [2] في شهر رمضان المعظم من هـذه السنة ، فنهدت إليه عساكر الاندلس من جميع أقطارها أجناداً ومطوعة ، ثم كفوا ورجعوا من الطريق ، وأسلموا أهل أريليه [2] ، فحلت بهم الفاقرة ، وقطع عنهم الماء ، واشتد بهم الحصار ، فأسلموا الحصن للنصارى .

وفي هذه السنة هلك سير بن علي بن يوسف في آخر صفر [3] وكان علي بن يوسف قد فتن به وقدمه ولي عهده ، ولم يكن أهلا لشيء فعكف [4] على البطالة ، ودخل مستوراً [5] على أخيه عمر يريد زوجته ، فجرح جراحة عجلت منيته ، فجزع عليه أبواه .

وفيها كانت ولاية تاشفين بن علي بن يوسف للعهد كما كان أخوه سير قبله في الثامن من شهر ربيع الاخر

وفيها كانت ولاية الزبير بن عمر لقرطبة [6] وغرناطة .

---

1) إضافة يقتضيها السياق .

2) في الاصل : إربليه ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وإنما يعني القلعة التي كانت تسمى Aurelia والتي أصبح اسمها الاسباني بعد ذلك Oreja ؛ وهذه الغزوة لا نعرف عنها شيئا في المراجع العربية الاخرى ، فابن القطان هو أول من أمدنا عنها ببيان، أما المراجع المسيحية فقد أفاضت في الحديث عنها معتبرة إياها من أكبر انتصارات الجيوش النصرانية على المرابطين . وتشير إليها الحوليات الطليطلية Anales Toledanos فتقول إن الامبراطور (أي ألفونسوا السابع ملك قشتالة الذي تسميه لمراجع العربية السليطين) اقتحم أرض المسلمين واستولى على أريليه المذكورة ، كذلك تشير إلى هذه الغزوة « حوليات الامبراطور Crónica del Emperador » (انظر كوديرا : انحلال (دولة المرابطين ص 26) .

3) حول مصرع سير وأقوال المؤرخين في كيفية وقوعه ،وهي أقوال قطع ابن القطان الجدل فيها بهذا النص الصريح انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 183

4) في الأصل : فعاكف .

5) في الأصل : مقصورا .

6) في الأصل : للقرطبة .

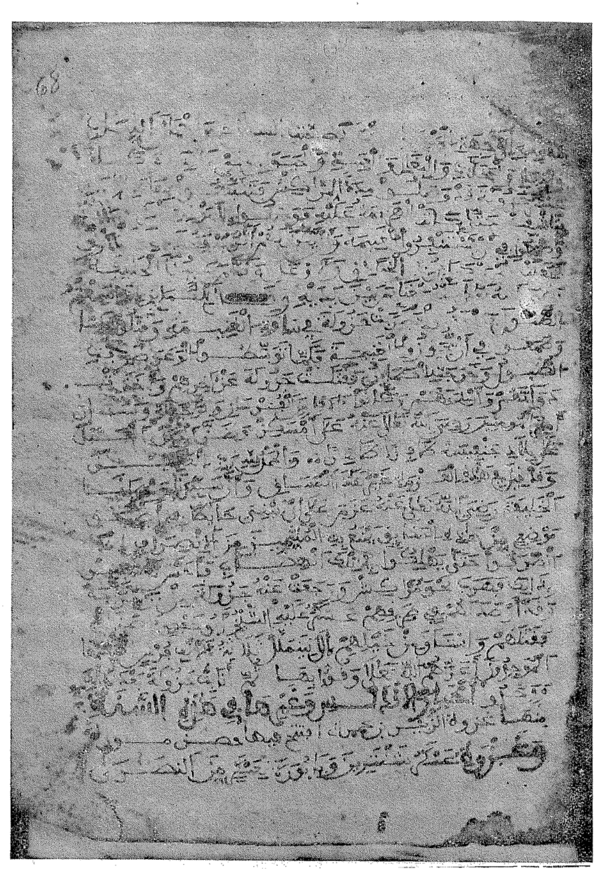
وفيها وقع الحريق في سوق مدينة فـاس . واحترق مـن رأس عقبة الخرازين إلى باب [1] واحترق سوق الثياب والقراقين [2] وغير ذلك [3] من الاسواق إلا البقالون ، وكان ذلك في أول الليل . فتلفت فيه اموال جليلة . وافتقر فيه خلق كثير . فـاشتد القاضي علي بن سليمان على اهل الريبة حتى رجع بعض الشيء من ايديهم .

1) كلمة مطموسة لم نستطع تبينها .

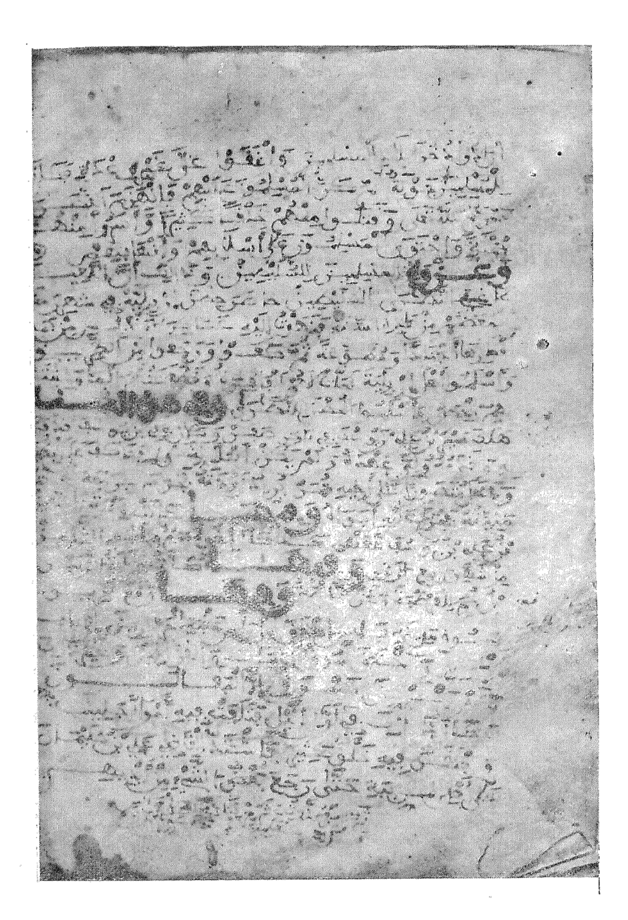
2) القراقون هم باعة الأقراق - جمع قرق وهو ضرب من الأخفاف أو الصنادل . انظر حول هذا اللفظ ومشتقاقه ماكتبـه دوزى في ملحق القواميس العربية 2 / 334 والمقال القيم الذي اختصه به الباحث الأستاذ خايمه أوليفر أسين تحت عنوان « القرق في الأنــدلس » :

(jaime Oliver Asin : « Quercus »en la España Musulmana) - مجلة الأندلس، المجلد الرابع والعشرون ، سنة 1959 ، ص 125 - 181 .

3) كلمتان مطموستان لم نتبين منهما شيئا .



الورقة الاخيرة (82) وجه



الورقة الاخيرة (82) ظهر

1

فهرس أسماء الاعلام

حرف الالف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

-"-

2

فهـــرس الاعـــلام الجغرافيـــة

والقبائل والطوائف والفرق

ـ حرف الالف ـ

— حرف الباء —

ـ حرف التاء ـ

ـ حرف الثـاء ـ

ـ حرف الجيم ـ

ـ حرف السين ـ

ـ حرف الشين ـ

ـ حرف الصاد ـ

ـ حرف الطاء ـ

ـ حرف العين ـ

ـ حرف الغين ـ

ـ حرف الفاء ـ

ـ حرف القاف ـ

ـ حرف الكاف ـ

ـ حرف اللام ـ

ـ حرف الميم ـ

ـ حرف النون ـ

ـ حرف الهاء ـ

ـ حرف الواو ـ

ـ حرف الياء ـ

تصويبات واستدراكات

صفحة	سطر		خطأ	صواب
4	7	(من أسفل)	ابن يعقوب	أبي يعقوب
6	8	(من أسفل)	مومعة	موقعة
	6	(من أسفل)	السابقة	السابعة
7	9	(من أسفل)	سانجه	شانجه
8	3	(من أسفل)	جديد	جديدة
9	6	(من أسفل)	أقليش	أقليس
12	2		الحرث	الحدث
15	12		حبيس	حبيش
19	16		ابن باشكوال	ابن بشكوال
20	15		مظطرب	مضطرب
	18		وخليفة	وخلفه
22	8	(من أسفل)	بادس	باديس
23	1		أخد	أحد
24	10		قسطنطينة	قسنطينة
	12		منها	فيها
25	2	(من أسفل)	Fraqments	Fragments
	2	(من أسفل)	Qhronique	Chronique
28	15		الفرات	الغرات
	4	(من أسفل)	العزة	الغزاة
29	7		وضبظ	وضبط
31	6		يميس	يعيش
	15		محمد بن بن ويكلدان وعبد الكريم أفعو	محمد بن ويكلدان وعبد الكريم ويعقوب أفعو

صفحة	سطر	خطأ	صواب
32	4 (من أسفل)	يونس يويجس	بونس بويجس
35	1	لقبه	لقبته
	10	بتومرت	يتومرت
36	3 (من أسفل)	الفرص	الفرض
38	8 (من أسفل)	المشرف	المشرق
	2 (من أسفل)	الكتاب	لكتاب
39	6 (من أسفل)	guest	Guest
41	4	والاضراس	والاخراس
	10 (من أسفل)	المغرب	المغرب الاوسط
	5 (من أسفل)	ديزي	دوزى
43	10 (من أسفل)	ن ا	ق ا
46	5 (من أسفل)	النيابوري	النيسابوري
49	12	وسطح	وسطع
51	10	كالة	كاملة
	16	والضمير	والضير
52	11	المطمنة	المطمئنة
56	4 (من أسفل)	موضوعها	موضعها
57	1 (من أسفل)	البقر	البقرة
60	2	أعطيني	أعطني
61	14	وملائكة	وملائكته
	16	من وقعة	من وقعة فخ
64	8 (من أسفل)	الدرهم والدرهم	الدرهم والدينار
	2 (من أسفل)	أوهوج	أهوج
71	4 (من أسفل)	ضرم	خرم
72	1	الغور	الغرر
	2 (من أسفل)	سورة يوسف، آية رقم	سورة يوسف، آية رقم 51
74	1 (من اسفل)	أويمى	أويشي
76	5 (من أسفل)	السادس عشر من رمضان عام	السادس عشر من رمضان سنة
77	7 (من أسفل)	البجيرة	البحيرة
83	6	رضي الله عنه	رضي عنه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
84	9	واستحوذا	واستحوذوا
	5 (من أسفل)	وبني يعز	وبني ييغز
85	3 (من أسفل)	واستخدمة	واستخدمه
86	13	وحضر	وحفر
87	8 (من أسفل)	أبوا حفص ... الهنتتي	أبو حفص ... الهنتاتي
	5 (من أسفل)	لمحمد بن تومر	لمحمد بن تومرت
	3 (من أسفل)	كتابة	كتابه
88	14	الاربعين ألف	الاربعين ألفا
95	5 (من أسفل)	Hésperir	, Hésperis
99	11	ابن تفرى بردي	ابن تغرى بردي
101	7-10-11 (م أسفل)	ابن تفرى بردي	ابن تغرى بردي
103	12	قبابل	قبائل
106	10 (من أسفل)	حكلم	حكم
107	8	بغية الانفس	بغية الملتمس
	12	بنفس	بنص
	4 (من أسفل)	أوصى	أوحى
108	13 (من أسفل)	خمس	خمسة
	10 (من أسفل)	أبى المصراف	أبي المطرف
	7 (من أسفل)	ابن بسكوال	ابن بشكوال
109	8 (من أسفل)	40 — 20	24 — 20
110	8	ابن العزيز	ابن عبد العزيز
112	15	هنا	عنها
116	5 (من أسفل)	بقبيلة	بقيلة
117	11 (من أسفل)	سجمى	بحمى
	5 (من أسفل)	ص 68	ص 78
	3 (من أسفل)	للتحص	المتحصن
120	9	وثت	وثب
	14	فيرمونة	فيرمونه
	2 (من أسفل)	الحسن	للحسين
123	8-7 (من أسفل)	وإنما الصواب في ضبط الاسم هو ما أثبتنا	وإنما الصواب في ضبط الاسم هو فتح الهاء وضم الميم وسكون الشين

صفحة	سطر	خطأ	صواب
124	8 (من أسفل)	مردنيس	مردنيش
	7 (من أسفل)	1 /	1 / 305 — 311
125	4	بكور علي	بكور بن علي
126	13	واتصل الالم	واتصل به الالم
128	8	ثم أفاء الله تعالى	ثم أفاء الله تعالى عليهم
129	10	واحفظ	وحفظ
131	1	مصر	مضر
	2	العزب	العرب
	3	الأحكام	الإحكام
	11 - 16		(هذه الحاشية كلها لا مبرر لها)
133	12	بقيته التي تبدى	بقيته تبدو
134	5	جحيم	جميم
	16	وقد ابن حبوس	وقد كان ابن حبوس
137	11	سفره	سفرة
138	5	المقاتنين	المفاتنين
	6 - 7	ولد : أذفونس	ولد أذفونش
	15	أخضى	أخفى
	19	ترجمة	ترجمته
139	1	فألقى	فألفى
140	7	جمح	جمع
143	11	228	328
	13	222	322
148	7 (من أسفل)	ووادي آسن	ووادى آش
149	10 (من أسفل)	آثار	آثاره
151	9 - 10 (من أسفل)	إراده . . . . ابن عباس	إيراده . . . . ابن عياش
155	11 (من أسفل)	أخضر	أخفر
156	10 (من أسفل)	والامحاس	والامحاش
159	10	الاحول	الاحوال
160	6	أعملنا	أعلمنا
	7 (من أسفل)	فليتوقعوا	فليتوقفوا
161	1 (من أسفل)	العرق . . . والغرق	لفرق . . والفرق

صفحة	سطر	خطأ	صواب
1[illegible]	7	وابدلوا	وابذلوا
	9	وسبروا	ويسروا
	10	ولا تنفرا	ولا تنفروا
1[illegible]	5	شنتفيلية	شنتفيلة
	7	سرح	صرح
	10 (من أسفل)	بيد ذلك	بعد ذلك
	2 (من أسفل)	ذكر	ذكره
1[illegible]	5	شريس... واتصل ابن تومرت	شريش... واتصل بابن تومرت
1[illegible]	3	ترجمه	ترجم
1[illegible]	2 (من أسفل)	ينتا	ينتان
1[illegible]	10 (من أسفل)	الطليطلة	الطليطلية
1[illegible]	10 (من أسفل)	فانوا	فانو
1[illegible]	5 (من أسفل)	من	سن
1[illegible]	4	عبد نجيب	عبد المجيد
	14	تعسة	تسعة
1[illegible]	2	والعباس	والعباسي
1[illegible]	13	تينمليل	تينملل
1[illegible]	5	الموحين	الموحدين
1[illegible]	14	Rogodri	Rodrigo
	17	هنا	هذا
2[illegible]	15 - 6	شريس	شريش
2[illegible]	14	لابن تغرى بردي	لابن تغرى بردي
2[illegible]	7 (من أسفل)	جملة	جملته
2[illegible]	8	الجيوس	الجيوش
2[illegible]	9 (من أسفل)	وصياح	وصاح
2[illegible]	4	والمواحدون	والموحدون
2[illegible]	3 (من أسفل)	انظر ص 19	انظر ص 33
2[illegible]	7	ساقت	ساقة
2[illegible]	9	بلبكار	بالبكار
2[illegible]	10 (من أسفل)	أبي الصدفي	أبي علي الصدفي
2[illegible]	10 - 9	آخر سيف . . . بآخر سيف	أجر سيف . . . بأجر سيف

صفحة	سطر		خطأ	صواب
230	11		فعزم	فغرم
	13		يعزم	يغرم
231	11	(من أسفل)	بطوية	بملوية
242	7	(من أسفل)	عرم	عزم
244	10	(من أسفل)	عمل قرطبة ... حتى اشتشهد	عمل غرناطة... حتى استشهد
245	7		مستورا	متسورا

